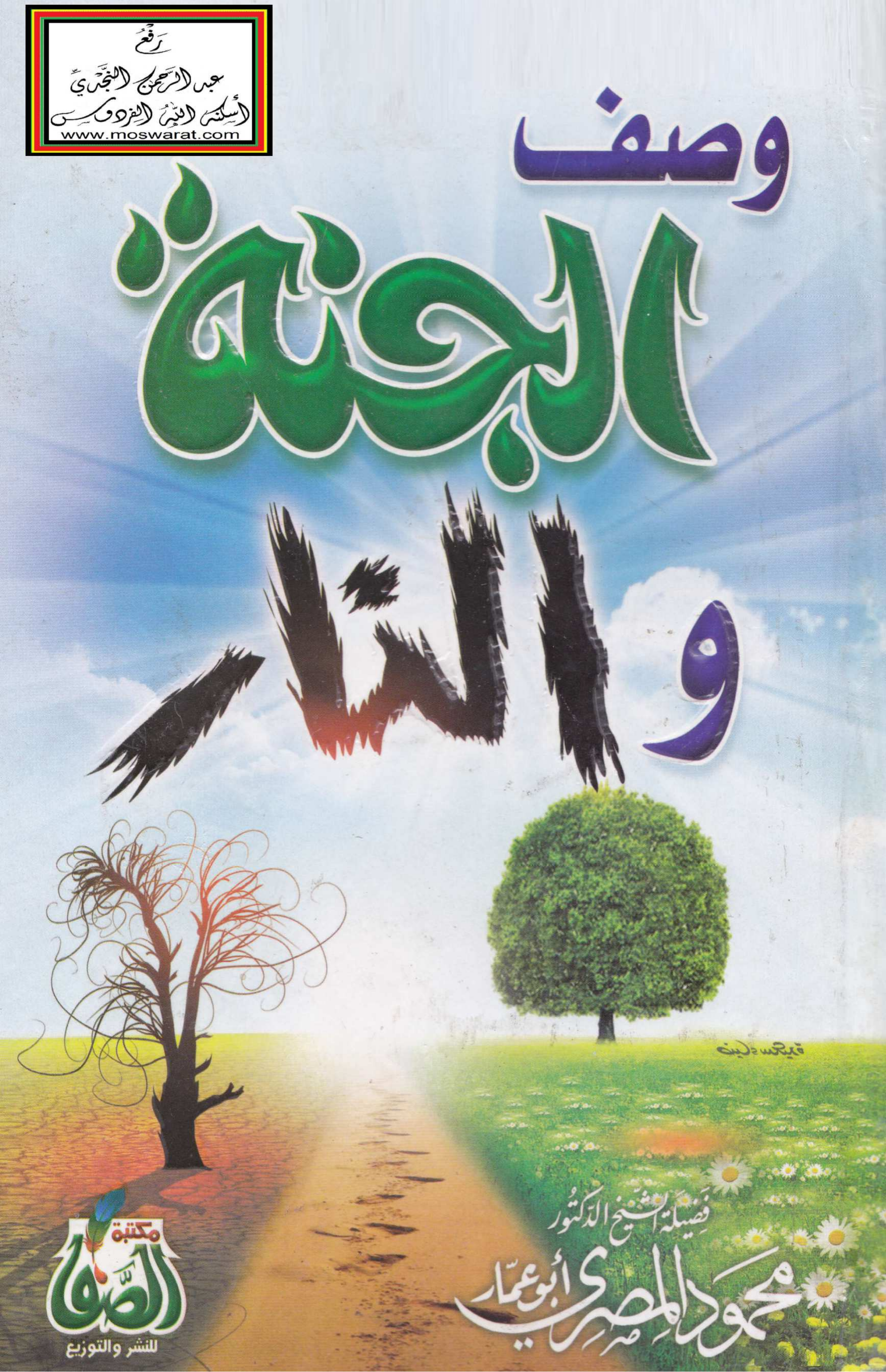
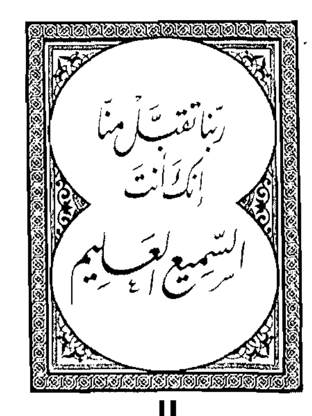

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
وصف
الجنة
والنار
فضيلة الشيخ الدكتور
محمود المصري أبو عمار
مكتبة
الصفا
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وصف

الجنة والنار





1434 هـ - 2013 م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٩١٤٠

الترقيم الدولي: 978-977-6430-88-4

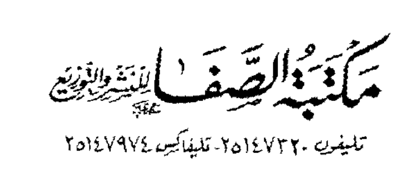




١٢٧ ميدان الأزهر، أمام الجامع الأزهر، القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

وصف
الجنة والنار

فضيلة الشيخ الدكتور
محمود المصري
أبو عمار




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله عز وجل لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنة، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمام البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله عَزَّوَجَلَّ فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر- رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب: «**وصف الجنة والنار**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين



بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد:

۞ فلقد قامت نصوص الشرع القويم على ركيزتين أساسيتين ألا وهما: الترغيب والترهيب..... ولابد للمؤمن منهما فى سيره إلى الله.

فلو غلب أحدهما على الآخر لاختلَّت الموازين عند المؤمن..... فإذا كانت النصوص تقوم على الترغيب فحسب لتواكل الناس على سعة رحمة

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الله فتركوا العمل لهذا الدين بل ولربما تكاسلوا حتى عن أداء الفرائض التى افترضها عليهم الخالق (جل وعلا).

وإذا كانت النصوص تقوم على الترهيب فحسب لقنط الناس من رحمة الله.

ولذا فإن من فقه الدعوة والداعية أن يوازن بين الترغيب والترهيب... فتارة يأخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن جل جلاله وتارة يُذكرهم بعذاب الله ليكون ذلك سوطًا رادعًا لهم عن الجرأة على محارم الله.

۞ والدعاة الحقيقيون: كالأطباء المَهَرة، يُقدِّمون كل شيء بحساب، ويُشخِّصون المرض، وينصحون بالعلاج الناجع؛ فإن وجدوا استجابة وهداية،فذلك من فضل الله على الخلق جميعًا؛ وإن لم يجدوا شيئًا من ذلك، فلا إحباط ولا تواني، بل يمضون إلى غاياتهم بقدر وسعهم.

كما ذكر القرآن الكريم على لسان سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، وقال - عز شأنه- مخاطبًا سيد الدعاة والخليقة كلها ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

والدعوة ككائنٍ حيٍّ له في كل وقت ما يناسبه من أقوال ... فتارة يناسبه الترغيب، وتارة يناسبه الترهيب، وتارة يناسبه الجمع بينهما في اتجاهين متوازيين ... وإلى هذا جاءت الإشارة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾[3].

(١) سورة هود: الآية: (٨٨).

(٢) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٤٥).

۞والإنسان فى هذه الحياة الدنيا ما هو إلا أيام فإذا ذهب يومه ذهب بعضه.. ولابد له من هدفٍ يضعه نُصب عينيه حتى إذا فترت الهمم وضعفت فإنه يتذكر الهدف فينشط مرة أخرى ويعاود السير إلى ذلك الهدف.

۞ وتالله مهما تعددت وتنوعت الأهداف والغايات، فإنَّها تتضاءل كلها أمام الغاية الكبرى ألا وهي: النجاة من النيران والفوز بالجنة والرضوان: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(1).

۞ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب (وصف الجنة والنار). والذي كتبت فيه وصفًا موجزًا للجنة من أجل أن تشتاق إليها قلوب المؤمنين والمؤمنات.

ثم كتبت بعد ذلك وصفًا موجزًا للنار وذلك من أجل أن نحذر منها وأن نبتعد عن أي عملٍ يقربنا من النار.

۞ ولا بد أن نعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد بعبده خيرًا فجَّر في قلبه عينين: عينًا يرى بها الجنة، وعينًا يرى بها النار ... فما من كلمة تخرج من فمه .. وما من فعل يصدر عنه إلا عَرَضه على الجنة والنار .. فإن كان هذا القول أو ذاك الفعل يوصل إلى الجنة أمضاه .. وإن كان هذا القول أو ذاك الفعل يوصل إلى النار توقف ... لأن هدفه الأسمى بعد رضوان الله: النجاة من النار والفوز بالجنة....تلك الدار التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

۞ نعم... إنها الجنة وكفى.

إنها جنة الرحمن التى اشتاقت إليها قلوب المؤمنين فى كل زمان ومكان... فلقد تعبت القلوب من عناء الدنيا وتعبها وأصبح لسان حال كل واحدٍ منا: متى نخرج من هذه الدنيا ونسعد بلقاء الله (جل وعلا) فى جنته؟

فذكر الجنة يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس... نعم والله فكل نعيم دون الجنة سراب وكل عذاب دون النار عافية.

۞ وفي المقابل .. لا بد أن نحذر من النار .... إنَّها النار التي أُوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، وألف عام حتى ابيضَّت، وألف عام حتى اسودَّت، فهي الآن سوداء قاتمة ..... إنها النار التي أُلقي فيها حجر فما وصل إلى قعرها إلا بعد سبعين سنة .... إنها النار التي حرها شديد وقعرها بعيد، ومقامعها من حديد .... إنها النار التي تزيد على نار الدنيا سبعين ضعفًا .... إنها النار التي يُؤتَى بها يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة فلا يبقى مَلَكٌ مُقرب، ولا نَبيٌّ مُرسَل، إلا جثى على ركبتيه، وقال: «**اللهم سلِّم سلِّم**»(١) ....إنها النار التي حذرنا منها النبي ﷺ فقال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»(٢)، وحذرنا منها الحق ﷻ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(٣).

أجارنا الله وإياكم وسائر المسلمين من النار.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٦).

❁ فهيا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع وصف الجنة والنار لترتفع حرارة الإيمان في قلوبنا .. ومن ثَـمَّ ترتفع حلاوة الطاعة ولذة القرب من الخالق (جلَّ وعلا).

❁ هيا نقرأ وصف الجنة والنار وكأننا نراهما بقلوبنا وأعيننا فيكون ذلك حاديًا لنا؛ لأن نجتهد في طاعة الله (جلَّ وعلا) ونحذر من معصيته لنضع أقدامنا على طريق الجنة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

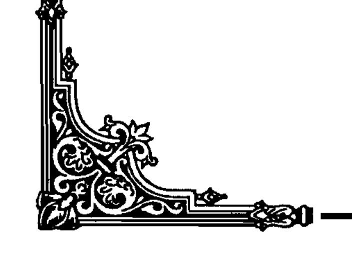
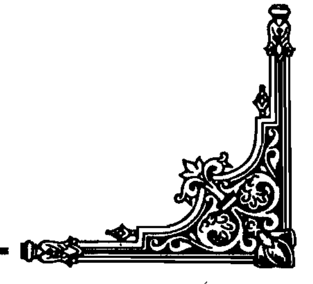
❁ أسأل الله (جلَّ وعلا) أن يجمعني وإياكم في الفردوس الأعلى إخوانًا على سُررٍ متقابلين .. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



وصف الجنة

ادخل جنة الدنيا حتى تدخل جنة الآخرة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها، فلن يدخل جنة الآخرة.. قالوا: ما هى؟. قال: إنها جنة الإيمان.

وقال مرة: ما يصنع أعدائى بى؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى، إنَّى رحت فهى معى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان يقول فى محبسه فى القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا، ما عَدلَ عندى شكر هذه النعمة ... أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير.

وقال مرة: المحبوس مَنْ حُبس قلبه عن ربه - تعالى -، والمأسور من أسره هواه.

ولمَّا دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾(١).

قال ابن القيم: وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدّها، ومع كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرَّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم فى وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض،

---

(١) سورة الحديد: آية (١٣).

أتيناه، فما هو إلاَّ أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كلّه، وينقلب انشراحًا، وقوةً، ويقينًا، وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(١).

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

* **كان بعض العارفين يقول**: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه: لجالدونا عليه بالسيوف».

وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره والأُنس به سبحانه وتعالى».

وقال آخر: «إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا حتى أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب».

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقرُّ عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عَزَّوَجَلَّ، من قرَّت عينه بالله، قرَّت

(١) انظر «صحيح الوابل الصيب» ص (٩١-٩٥).

(٢) سورة النحل: آية (٩٧).

به كل عين، ومَنْ لم تقر عينه بالله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[١].

ما العيش إلا فى الجنة

* قال الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ:

تفكرت فى نفسى فرأيتنى مفلسًا من كل شىء!

إن اعتمدت على الزوجة لم تكن كما أريد. إن حَسُنَت صورتها لم تكمل أخلاقها، وإن تمت أخلاقها، كانت مريدة لغرضها لا لى، ولعلها تنتظر رحيلى.

وإن اعتمدت على الولد فكذلك، والخادم، والمريد لى كذلك، فإن لم يكن لهما منى فائدة لم يريدانى.

وأما الصديق فليس ثَمَّ، وأخٌ فى الله كعنقاء مغرب، ومعارف يفتقدون أهل الخير، ويعتقدون فيهم قد عدموا، وبقيت وحدى.

وعُدت إلى نفسى - وهى لا تصفو إلىَّ أيضًا، ولا تقيم على حالة سليمة - فلم يبق إلا الخالق سبحانه، فرأيت أنى إن اعتمدت على إنعامه، فما آمن ذلك البلاء، وإن رجوت عفوه، فما آمن عقوبته، فوا أسفًا لا طمأنينة ولا قرار.

بالله ما العيش إلا فى الجنة، حيث يقع اليقين بالرضا، والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى فأما الدنيا فما هى دار ذاك[٢].

---

(١) «الوابل الصيب»: (٦٩-٧١).

(٢) «صيد الخاطر»: (ص ٣٤٧).

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

* أخي الحبيب: لا يكون التنافس إلا في النفائس، ولا أنفس من الجنة، فمن لم يبذل في سبيلها أنفس الأنفاس شكا يوم الحساب مرارة الإفلاس.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟**»، فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَدِهِ(١).

ومعنى «تَلَّهُ»: دفعه إليه ووضعه في يده ... والغلام هو ابن عباس ... وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز الإيثار بالأجر الأُخروي لكبيرٍ أو صغير.

۞ ولا يكون التنافس إلا عند خوف فوات خير أو منزلة، وهو ما قاله أبو حامد الغزالي ضاربًا لنا مثلًا جميلًا:

«وإنما المسابقة عند خوف الفَوت، وهو كالعبدين يتسابقان إلى خِدمَة مولاهما؛ إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه، فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها»(٢).

۞ وعلى هذا رأينا سعد بن خيثمة بن الحارث أحد نقباء الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُم لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر؛ قال له أبوه: لابد لأحدنا أن يقيم فآثِرني بالخروج ، وأقم مع نسائك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٥١) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩٠).

آثرتك به .. إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا!! فاستهما، فخرج سهم سعد فخرج فقُتِلَ ببدر، ولحق به أبوه بعدها بعام حين استُشهد في أُحد!!

۞ ورأينا عمرو بن الجموح الأعرج يمنعه بنوه من الخروج لعذره فأبى إلا مسابقتهم إلى الموت أو بالأحرى إلى الحياة، قائلًا: هيهات!! منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأُحد؟! ورأى النبي ﷺ شدة شوقه للجنة فأذن له قائلًا: «**لا تمنعوه لعل الله عَزَّوَجَلَّ يرزقه الشهادة**»، فتركوه وعندها قالت امرأته: فكأني أنظر إليه مُولِّيًا قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردَّني إلى حزبي وهي منازل بني سلمة...فقُتل هو وابنه خلَّاد[١]، فقال له النبي ﷺ بعد أن رآه شهيدًا مخاطبًا إياه: «**كَأَنِّي أَرَاكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ**»[٢].

وورَّث الصحابة هذا المعنى إلى من لم يشهدوا رسول الله لكي يُعرِّفوا الأجيال بعدهم كيف كان التنافس على عهده...فهذا حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) قدم على رسول الله ﷺ نفرٌ من الأنصار، قال: «مَنْ سَيِّدُكُمْ » فَقَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى بُخلٍ فيه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ؟، بَلْ سَيِّدكم الجَعْد الأَبْيَضُ عمروُ بنَ الجموح**»، وفي ذلك يقول شاعر الأنصار:

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ ... لِمَنْ قَالَ مِنَّا مَنْ تُسَمُّونَ سَيِّدَا
فَقَالُوا لَهُ جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي ... نُبَخِّلُهُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَا
فَتَى مَا تَخَطَّى خُطْوَةً لِدَنِيَّةٍ ... وَلَا مَدَّ فِي يَوْمٍ إِلَى سَوْأَةٍ يَدَا
فَسَوَّدَ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ بِجُودِهِ ... وَحُقَّ لِعَمْرٍو بِالنَّدَى أَنْ يُسَوَّدَا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله ... وَقَالَ: خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يَا جد بْن قيسٍ على التي ... على مثلها عمرو لكنت مُسَوَّدا

الاستيعاب (ص ٣٦٢).

(٢) حسن: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز: (ص١٤٦)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

وكان أميرًا على المدائن يصعد المنبر ويخطب أهلها قائلًا:

«أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذِنَتْ بِفُرَاقٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَدًا السِّبَاقُ» يَعْنِي بِالسِّبَاقِ: مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ(١).

ما رأيت مثل الجنة نام طالبها

قال ﷺ: **«مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا»**(٢).

لو لم يخلق الله الجنة والنار، وطلب من الناس عبادته لأنه هو الذي خلق ورزَق لكان ذلك من تمام الحق الإلهى، لكن الله مع ذلك خلق الجنة كرمًا منه مكافأة لمن أطاعه، ولم يكتفِ بذلك بل بعث الآيات التي تُسهب في وصفها في كتابه، وأبان النبي ﷺ في كلامه من أوصاف الجنة ما قطع حجة كل بليد من أبوابها وشجرها وترابها ونسائها وخدمها وحُليها وملابسها وطعامها وشرابها وقصورها، وما كان أغناه عن كل هذا لو أن الناس علموا قدر الرب وفضله، لكنه تشويق النفوس الضعيفة وترغيبها، أفتذهب هذه الآيات والأحاديث سُدى ولا تجد لها أثرًا أو تلهب عاشقًا؟! أو يكون الأمر كما قال الفضيل بن عياض: «ما حُلِّيتْ الجنة كما حُلِّيت لهذه الجنة، ثم لا ترى لها عاشقًا»(٣).

إنه شيء عجيب حقًّا!! أن يزهد الإنسان في وعد الخالق الذي أرسل رسله تَتْرَى تُشوِّق وتُرغِّب للجنة ... ويركض على وعد مخلوقٍ قد يكذب

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٤٩) بتصرف - نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٦٠١)، والطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٥١)، وصحيح الجامع (٥٦٢٢).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ١١٤).

وينكص عن الوفاء بوعده، وإن وفَّى فماذا يبلغ وعده بجوار وعد الله بالجنة.

أخي .. اعمل للجنة إما شوقًا إلى نعيمها إن كنت من عُشَّاق الترغيب، أو حتى خوفًا من ضياعها إن كنت من أنصار الترهيب.

ورحم الله يحيى بن معاذ رائد هذه المدرسة حين قال: «مسكين ابن آدم!! لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة»[١].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٢) نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).

أعدَّ الله الجنَّة لأوليائه

الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته ... وهي نعيمٌ كامل لا يَشُوبه نقص، ولا يُعكر صفوه كَدَر.

وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يُحير العقل ويُذهله، لأن تَصوُّر عظمة ذلك النعيم يَعجز العقل عن إدراكه واستيعابه.

استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» ثم قال الرسول ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾(١)»(٢).

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير، لا يساوي شيئًا ... ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**موضعُ سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**»(٣).

ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، والنجاة العظمى(٤)... قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾(٥) وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٢٥٠) كتاب بدء الخلق.

(٤) الجنة والنار/ د. عمر الأشقر رحمه الله (ص ١١٣).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

ما دليل الإيمان بالجنة والنار؟

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ ﴾(٣)، وغيرها ما لا يُحصَى ... وفي الصحيح من دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل: «**ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق**»(٤).

وقوله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، وفي رواية: «**من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء**»(٥).

ما معنى الإيمان بالجنة والنار؟

معناه: التصديق الجازم بوجودهما وأنهما مخلوقتان الآن؛ وأنهما باقيتان بإبقاء الله لهما لا تفنيان أبدًا؛ ويدخل في ذلك كل ما احتوت عليه

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٣).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١١٢٠) كتاب الجمعة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

هذه من نعيم وتلك من العذاب.

ما الدليل على وجود الجنة والنار الآن؟

أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنهما مُعَدَّتان، فقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٢]، وأخبرنا أنه تعالى أسكن آدم وزوجه الجنة قبل أكلهما من الشجرة، وأخبرنا تعالى بأن الكفار يُعرَضون على النار غُدوًّا وعَشيًّا ... وقال النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٣] ... وتقدم في فتنة وعذاب القبر: «**إذا مات أحدكم يُعرَض عليه مقعده**»[٤]، وقال ﷺ: «**أبرِدوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[٥][٦] وقال ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها عَزَّوَجَلَّ فقالت: ربي أكل بعضي بعضًا، فَأَذِن لها بنفَسَين: نَفَس في الشتاء، ونَفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**[٧]»[٨][٩].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة.

(٥) من فيح جهنم: أي: وهجها - هدى السارى لابن حجر (١٧٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٦) كتاب المساجد.

(٧) الزمهرير: هو البرد الشديد - هدي الساري لابن حجر (١٣٤).

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٧) كتاب المساجد.

(٩) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة (ص ١١٢-١١٣).

ما الجنة التى أسكنها آدم عليه السلام؟

الصواب أن الجنة التى أسكنها الله- تعالى - آدم وزوجه هى الجنة التى وُعد المتقون ... لأن الله - تعالى - يقول لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[١] والجنة عند الإطلاق هى جنة الخُلد التى فى السماء، ولهذا ثبت فى الحديث عن النبى ﷺ: «**أن آدم، وموسى تحاجًّا، فقال موسى له: لِمَ أخرجتنا ونفسك من الجنة؟**»[٢]. والله أعلم[٣].

أين مكان الجنة؟

فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن ... أما كونها فوق السماء السابعة فدلَّ عليه القرآن الكريم ... قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[٤]. وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه: «**ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**»، قَالَ: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً..**»[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٥).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٧٠٢) - وأصله في الصحيحين.

(٣) فتاوى العقيدة / للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص ٥١٣).

(٤) سورة النجم: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة ... وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة (١).

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فالدَّليل على ذلك من السُّنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» (٢)، فأعلى درجات الجنة هي الفردوس ـ كما في الحديث ـ وفوقها عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه (٣).

الشفاعة في دخول الجنة

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم الجزاء يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة، فكلهم يتمنع ويتأبَّى، ويقول: لست لها حتى يبلغ الأمر نبينا محمد ﷺ فيشفع في ذلك، فيُشفَّع ... ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون، حتى تُزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل**

(١) اليوم الآخر / د. المطيري (ص٤١٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٣) اليوم الآخر / د. المطيري (ص٤١٠).

أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم، لست بصاحب ذلك..». الحديث [١].

وذكر فيه تدافع الأنبياء لها، حتى يأتون محمدًا ﷺ، فيُؤذن لهم.

تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنة

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يُوقَفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يُهذَّبون ويُنقَّون، وذلك بأن يُقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم فى الدنيا ... حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهارًا أبرارًا، ليس لأحدٍ عند الآخر مظلمة، ولا يطلب بعضهم بعضًا بشىء [٢].

روى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا » [٣].

الجنة لا يدخلها إلا صاحب القلب الطاهر

«ولقد حرم الله الجنة على مَن فى قلبه نجاسة وخبث، ولا يدخلها إلا بعد طِيبه وطُهره، فإنها دار الطيبين، ولهذا يُقال لهم: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥) كتاب الإيمان.

(٢) الجنة والنار (ص: ١١٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٥) كتاب الرقاق.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٧٣).

وكما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١)، فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث، فمن تطهر فى الدنيا، ولقى الله طاهرًا من نجاسته دخلها بغير معوق.

والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر، فهما طهارتان: طهارة البدن وطهارة القلب ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين**»(٢).

فطهارة القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته»(٣).

قُربت الجنة للمتقين

قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ

---

(١) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٣) إغاثة اللهفان: (١/ ٥٦).

(٤) سورة الشعراء: الآيتان: (٩٠-٩١).

ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (١) (٢).

قال ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» (٣).

فاجتهد أيها الأخ الحبيب... واجتهدى أيتها الأخت الفاضلة لتفوزوا بالنعيم والرضوان فى جنة الرحمن (جل وعلا).

هل من مُشمِّرٍ للجنة؟

كلما اشتاقت النفس إلى شيء حرصت على الاجتهاد لتحصيله.

ولقد وصف الله تعالى الجنَّة، وزيَّنها لعباده، ودعاهم إليها، وحثَّهم عليها.

قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: «أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ، فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ» ، ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ (٤).

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ولما علم الموفقون ما خُلقوا له وما أُريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم،

---

(١) سورة ق: الآيات: (٣١-٣٥).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ قال قتادة وأبو مالك والسدى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ﴾ أُدنيت وقُربت للمتقين ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ وذلك يوم القيامة وليس ببعيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آتٍ قريب ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ أى: رجَّاع تائب مقلع ﴿حَفِيظٍ ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٨) كتاب الرقاق.

(٤) ضعيف: رواه ابن ماجه، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢١٨٠)، ومعنى مُشمِّر للجنة: ساعٍ لها غاية السعي، طالب لها عن صدق ورغبة - نهر مُطَّرد: جارٍ يتبع بعضُه بعضًا.

فإذا علم الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فى أبدٍ لا يزول، ولا ينفد بصبابة عيش، وإنما هو كأضغاثِ أحلام، أو كطيفٍ زار فى المنام، مَشُوبٍ بالنغص[١]، ممزوج بالغُصصِ[٢]، وإن أضحك قليلًا أبكى كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا أحزن شهورًا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجبًا من سفيهٍ فى صورة حليم، ومعتوهٍ فى مسلاخ عاقل، آثَر الحظ الفانى الخسيس، على الحظ الباقى وباع جنة عرضها السموات والأرض، بسجنٍ ضيق بين أرباب العاهات، والبليات ... ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، بأعطان[٣] ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارًا عُربًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان، بسيئات الأخلاق مسافحات أو مُتخذات أخدان ... وحورًا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارًا من خمرٍ لذة للشاربين، بشرابٍ نجس مُذهب للعقل مُفسد للدنيا والدين .. ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطانٍ مَريد، ونداء المنادى: يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا

---

(١) (مشوب بالنغصِ): مخلوط بما يكدر أمره.

(٢) (ممزوج بالغُصص): مخلوط بما يقف فى حَلْقِه فلا يكاد يسيغه - والمراد من ذلك كله أن لذات الحياة الدنيا ليست خالصة وإنما يخالطها دائمًا ما يكدرها.

(٣) (أعطان): جمع عَطن وهو مَبرك الإبل، ومربض الغنم عند الماء.

تظعنوا[١] وتشبوا فلا تهرموا بغناء المُغنين.

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ الْمَلامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذكركِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حُشر المتقون إلى الرحمن وفدًا وسيق المجرمون إلى جهنم وِردا، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف مَن أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الفرقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قُرة أَعيُن لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أى بضاعة أضاع، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود مِن سَقَط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا مُلكًا كبيرًا لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال.

فهم فى روضات الجنة يتقلبون، وعلى أَسِرَّتها تحت الحِجال يجلسون، وعلى الفُرش التى بطائنها من إستبرقٍ يتكئون، وبالحور العين يتنعمون، وبأنواع الثمار يتفكهون، ويطوف عليهم ولدانٌ مُخلدون بأكواب وأباريق وكأسٍ من مَعين، لا يُصدَّعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طيرٍ مما يشتهون، وحورٍ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ... تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد، فما قلَّب ولا استام[٢] إلا أفراد من العباد.

---

(١)(تظعنوا): ظَعَنَ ظَعْنًا وظُعُونًا، أى: سار وارتحل.

(٢)(فما قلَّبَ ولا استام): فما نظر فى هذه السلعة ولا سأل عن ثمنها - يعنى الجنة.

فواعجبًا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يَسمح بمهرها خاطبها! وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قَرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قَرَّت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت[1] عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المُعرِضين؟[2]

قلوب تشتاق إلى الجنة

تشتاق الروح إلى وطنها في الدنيا حين تقاسي الغربة حينًا بحثًا عن رزق أو طلبًا لعلمٍ ... وكثيرًا ما تكون بلاد الغربة أجمل من الوطن وأطيب منه وأكثر رفاهية وترفًا، ومع ذلك تحِنُّ النفس إلى الوطن الأول على فقره وبساطته ... فكيف بحنينها إلى الوطن الذي في فراقها له عذابها وآلامها وحسرتها التي لا تنقضي؟!

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهَوى ... ما الحُبُّ إلَّا للحبيب الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزلِ

وكيف إذا كان هذا الوطن أروع وأجمل وأعلى وأغلى ... الشبر فيه يعدل الدنيا بأسرها بل أحلى:

قال ﷺ: **«مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»**[3].

أتدرون لماذا خصَّ النبي ﷺ السوط بالذكر؟!

لأن من شأن الفارس أنه إذا أراد النزول في منزل أن يُلقي سوطه قبل

(١) (صدَفَت): أعرضت.

(٢) حادى الأرواح (ص ١٦-١٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٢٥٠) كتاب بدء الخلق.

نزوله إعلامًا بقدومه ... فإذا كان مجرَّد موضع السوط من الجنة خيرًا من الدنيا وما فيها وأنت لم تنزل بعدُ من راحلتك إلى الجنة، فكيف إذا نزلت فيها وأقمت.

وقد عبَّر عن كمال انتباه هذا المسافر المشتاق ويقظته وقوة عزمه الإمام ابن القيِّم حين وصف مسافرًا أُخرويًّا بقوله: «لا يضع عصا السير عن عاتقه حتى يصل إلى مطلبه»(١).

ولعل هذا ما دفع بعض الصالحين إلى إمساك العصا ليظلوا دومًا متذكِّرين حالة السفر ... قيل للشافعي: ما لك تُدمن إمساك العصا ولست بضعيف؟ فقال: لأذكر أني مسافر.

حملتُ العصا لا الضعف أوجب حَمْلَها ... ولا أني تحنَّيت على كِبَرِ
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها ... لأُعلمها أنَّ المقيم على سفرِ(٢)

۞ قال رجاء بن حيوة -وزير عمر بن عبد العزيز-: كنت مع عمر بن عبدالعزيز، لما كان واليًا على المدينة، فأرسلنى لأشترى له ثوبًا. فاشتريت له ثوبًا بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه رخيص الثمن!

فلما صار خليفة للمسلمين. بعثنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريت له ثوبًا بخمسة دراهم! فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه غالى الثمن!

قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لى عمر: ما يبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات، وما

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٩٢).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (١٧-١٩) بتصرف.

قلت عنه،... فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال يا رجاء: إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه، تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها، والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

الجنة تشتاق إليك

يا من تعلق قلبه بهذه الدنيا الفانية وظن أنها هى دار الخلد وهى جنته الباقية.. فإذا فقد شيئًا من متاعها الزائل حزن عليه حزنًا شديدًا.. هل نسيت الجنة التى أعدها الله لعباده المؤمنين وجعل فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!!!

* أيها الفقير.. لا تحزن فالملك الكبير فى انتظارك فى جنة الرحمن.

- أما علمت أن أدنى أهل الجنة منزلة سيعطيه الله -جلَّ وعلا- مثل مُلك خمسين مَلك من ملوك الدنيا.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأدنى أهل الجنة: **«أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول له: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب»**(١).

وفى رواية الإمام أحمد عن أبى سعيد: **«... قال: فيدخله الله الجنة. قال: فإذا دخل الجنة قال: هذا لى. قال: فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له: تمن. فيتمنى ويذكره**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

الله: سل من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عَزَّوَجَلَّ: هو لك وعشرة أمثاله. قال ثم يدخل الجنة... يدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان له: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطى أحد مثل ما أُعطيت... ».

* وآخر من يدخل الجنة يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا وعشرة أمثالها.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن الله -جلَّ وعلا- يقول لآخر من يدخل الجنة: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا.

* ويا من مرضت أو حزنت أو ظُلمت أبشر بالخير كله فى الجنة.

- أما علمت أنك ستنسى كل شقاء وعذاب وحرمان مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: **«... ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»**[1].

* أما علمت أيها الأخ الحبيب أن النبى ﷺ أخبر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم فقال ﷺ: **«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ وعمار وسلمان»**[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم(٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، والحاكم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

- فلماذا لا تشتاق الجنة إليك؟

- أما علمت أنك إذا اشتقت إلى الجنة وسألت الله الجنة فإن الجنة تشتاق إليك وتطلبك من الله (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار**»(١).

* أما علمت أنك ستجد فى الجنة نعيمًا لا يخطر على قلب بشر.

قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾**(٢)»(٣).

* وأنت على باب الجنة ستسمع هذه النداءات الأربعة.

قال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى منادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) كتاب الزهد، وأحمد (١١٧٦٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٢) سورة السجدة: آية (١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.

أول مشاهد الجنة

۞ أول لقطة من الجنة، وأول مرة تلوح لك وتظهر وتتزين لك وأنت بعدُ في الدنيا وعلى مشارف الموت وفي انتظار قبض روحك ... مصداق قول النبي ﷺ في حديث البراء: «إنّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إذا كَانَ فِي انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا وإقْبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إليهِ مِنَ السَّماءِ ملائِكَةٌ بِيضُ الوُجُوهِ كأنَ وجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أكفانِ الجَنّةِ وحَنوطٌ مِنْ حَنوطِ الجَنَّةِ»[(١)].

فأول ما يرى العبد من الجنة ثلاثة: الملائكة والأكفان والحنوط، لتبدأ نار الشوق تشتعل في قلبه، وتظل مُتَّقدة تبرد بحلاوة اللقاء ... ولعل الله يسمح لبعض الصالحين بالإخبار عن بعض ما رأى ... فلما حضرت الوفاة عمر بن حسين سمعه مَن حضره يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[(٢)]، فقيل لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم[(٣)].

وكذلك أبو بكر النقاش كان وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة يحرِّك شفتيه، ثم نادى بعلو صوته: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ يردِّدها ثلاثًا، ثم خرجت نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)].

۞ حتى إذا نزل هذا العبد قبره وجده روضة من رياض الجنة فيظل يهتف بعدها: رب أقم الساعة .. رب أقم الساعة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وصححه الشيخ الألباني فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٣) المحتضرين (ص ٢١٨).

(٤) معرفة كبار القراء (ص ٢٩٨).

في قافلة الأوائل

وكيف لا تقتدي بنبيك ﷺ في سبقه وفضله وأنت مأمور بالاقتداء به في كل شأنه، وهو الأعلى ﷺ في كل فضيلة، والذي لم يأتِ ثانيًا في أي محمدة قط، وهو الذي علَّمك الصدارة ولقَّنك السبق سلوكًا وعملًا حين قال:

« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »(١).

وقال ﷺ: **« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ... »**(٢).

ثم هو يغري أصحابه بالسبق دومًا، ويغرس فيهم الطموح المستحب والتطلع اللذيذ، فيقول لهم يومًا: **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحرَ قَد أَوْجَبُوا»** و**«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»**(٣).

وقد أوجب الله على نفسه أن يُدخل هذه الطائفة الجنة تَفضُّلًا منه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٢٩٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٩٢٤) كتاب الجهاد والسير.

ومن علو همة النساء وسبقهن أن أم حرام بنت ملحان الأنصارية (وهي خالة أنس بن مالك وزوج عبادة بن الصامت) سمعت الشطر الأول من الحديث: **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحرَ قَدْ أَوْجَبُوا»**، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ... أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: **«أَنْتِ فِيهِمْ»**، ثُمَّ أكمل رسول الله ﷺ: **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»**، فَقَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **« لَا »**، وتمر الأيام ويبقى أمل تَحقُّق البشارة يداعب خيالها ... وتركب أم حرام البحر مع زوجها في سنة سبع وعشرين من الهجرة جهادًا مع معاوية لفتح قبرص، فصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت شهيدة هناك، وكان النبي ﷺ قد بشَّرها بالشهادة يومًا حيث كان يغشاها ويقيل عندها.

وتدليلًا لعباده وتشريفًا لهم، وإلا فلا يُلزِم ربنا شيء حاشاه، ولعل سبب هذا التشريف ما في مبادرتهم من تضحية عظيمة ومخاطر جسيمة، حيث كان العرب على شجاعتهم وجرأتهم يخشون البحر ويرون ركوبه أعظم مخاطرة وأخوف المجهول .. هذا لمن ركبه مسافرًا آمنًا، فكيف بمن ركبه ليلقى عدوه فيه؟

فإذا علمت أنه ليس أي عدو بل أعظم قوة عسكرية في ذلك الحين وهم الروم ... فإذا انضم لذلك أنه لم يسبق لأحدٍ من العرب أن غزا هؤلاء في بلادهم وعقر دارهم وهم بها أدرى وبقتالها أخبر، إذن لعلمت هول الأمر وشدته.

ولهذا جاءت الجائزة التحفيزية لهؤلاء الأوائل على قدر التضحيات التي لم يسبقهم إليها أحد: الجنة ولا أغلى.

قطار السابقين!!

وركب الصحابة قطار الأوائل وحجزوا مقاعدهم المباركة فيه، فأحرزوا الأعمال النافعة غير المسبوقة ... فأبو بكر رضي الله عنه مع كونه أول من أسلم من الرجال كان أول خطيب دعا إلى الله جهارًا، وأول مَن جمع القرآن ... والفاروق رضي الله عنه: أول مَن أرَّخ من الهجرة، وأول مَن وضع الدواوين، وأول مَن أنشأ بيت المال، وأول مَن عَسَّ في عمله ليتفقد الرعية بالليل، وغير ذلك كثير ... وذو النورين عثمان رضي الله عنه: أول من هاجر بأهله من المسلمين، وأول من أنشأ أسطولًا بحريًا ... والزبير بن العوام رضي الله عنه:

أول من شهر سيفًا في سبيل الله (١) ... والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه: أول من بذل داره للدعوة وفتحها على مصراعيها لخير عصبة عرفها التاريخ... وغيرهم وغيرهم.

هذا ركب الأوائل فأين إبداعُك؟! وثلة القلائل لا يقصر عنها باعك أو يضيق ذراعك ... واندفع نحوهم يثير حميتك: حرصك أن تُحرِز في دنياك السبق إلى الطاعات وانتصابك في القدوات، ورجاؤك مقابل ذلك في الآخرة: الفخر والزهو أنك من أوائل من يقرع أبواب الجنات.

۞ قد تنصر دينك بعملٍ صالح في أرض مجدبة لم يصلها غيث الدعوة بعد، فكيف لو كان هذا العمل الدعوي مُبدعًا وعلى غير سابق مثال؟!

۞ قد تُحيي فكرة مبتكرة يأوي بها الشباب إلى ظل إيمانيٍّ وارف، ويتجمع تحت رايتها التائهون، فتغيظ بذلك المفسدين، وتُسعِد رب العالمين.

۞ قد تحيي سُنة هُجِرت، وتقيم شعيرة وُئِدت في بيئة انسلخت من دينها وحادت عن نهج نبيها.

۞ قد يستغرقك الحزن على محن أمتنا فينقدح زناد فكرك وتتطاير معه شرارة عزمك لتُسفر عن فتحٍ عظيم النفع وفير البركة.

فلتكن من اليوم مهمومًا بهذا الهم النبيل، ولتتغيَّر محتويات قلبك

---

(١) روى الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٤١) عن عروة قال: أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِيْنَ، وَنَفَحَتْ نَفْحَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ (سرت إشاعة) أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أُخِذَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ غُلاَمٌ، ابْنُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً بِيَدِهِ السَّيْفُ فَمَنْ رَآهُ عجب، وقال: الغُلاَمُ مَعَهُ السَّيْفُ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟» فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ أَتَيْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ!! حتى قيل إنه ما من أحد يشهر سلاحه في سبيل الله ذودًا عن الإسلام إلا وللزبير مثل أجره.

وكيمياء مشاعرك ركضًا وراء هذا الرَّكب الجليل، لتُخرج الفكرة هي الأولى من نوعها أو الأولى في مكانها لتكون السابق لغيرك في مدينتك أو قريتك أو جامعتك أو عشيرتك[١].

من أول من تُفتح له أبواب الجنة

قال ﷺ: « **أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا** »[٢].

وقال ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا**»[٣] أي: أحركها.

۞ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ** »[٤].

۞ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « **آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ** »[٥].

وقال ﷺ: «**أنا أول من يفتح الجنة، فإذا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فأقول من أنت؟ فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتامٍ لى**»[٦].

فقوله تبادرنى: أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى ... ويُحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول وعلو المنزلة.... فيا له من مشهدٍ

---

(١) ليلى بين الجنة والنار (ص ١٠١-١٠٣) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان.

(٣) رواه أحمد والترمذى وأنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٥٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٧) كتاب الإيمان.

(٦) رواه أبو يعلى عن أبى هريرة وقال ابن حجر فى الفتح: وإسناده لا بأس به.

جليل وشرفٍ عظيم.

فقراء المهاجرين أسبق الناس إلى الجنَّة

فأُمَّة الإسلام هي أسبق الأُمم خروجًا من الأرض بالبعث... وأسبقهم إلى أعلى مكان في المَوقف .. وأسبقهم إلى ظلِّ العرش .. وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم .. وأسبقهم إلى جواز الصِّراط .. وأسبقهم إلى دخول الجنَّة .. وأفضل هذه الأُمَّة هم أصحاب رسول الله ﷺ ... وأفضلهم المهاجرون الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم وفارقوا أهلهم وبلادهم لأجل نُصرة الدين وعبادة رب العالمين(١).

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(٣).

قال ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الجنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ...»(٤).

ولذلك فإن الله (عَزَّوَجَلَّ) يجبر لهم كَسرهم فى الآخرة وذلك بأن يُدخلهم الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة سنة.

---

(١) العالم الأخير / للعريفى (ص ٤٥١).

(٢) سورة التوبة: الآيات: (٢٠-٢٢).

(٣) سورة الحج: الآيتان: (٥٨، ٥٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء.

قال ﷺ: « فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمائَةِ عام»[١].

وفي رواية قال ﷺ: « إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا »[٢].

وقال ﷺ: «أَتَعْلَمُ؟ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أَمَّتِي فُقَراءُ المهاجِرِينَ يَأْتُونَ يَوْمَ القِيامَةِ إِلَى بَاب الجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ فَيَقُولُ لَهُمُ الخَزَنَةُ: أَو قَدْ حُوسِبْتُمْ؟ قَالُوا: بأيّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ وإنَّمَا كانَتْ أَسْيافُنا على عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ الله حَتَّى مُتْنَا على ذَلِكَ؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَقِيلُونَ فِيها أَرْبَعِينَ عَاما قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَها النَّاسُ»[٣].

ستنسى كل شقاء مع أول غمسة في الجنة

أيها المهموم بسبب الفقر وقلة ذات اليد.. لا تحزن..

وانظر ماذا فاتك من الدنيا..

ألست تأكل كما يأكل الأغنياء؟!

وتشرب كما يشرب الأغنياء؟!

أما يستحيل طعامك وطعامهم وشرابك وشرابهم إلى ما قد علمت؛ غائط وبول؟!

فأى مزيَّة - إذن - لطعامهم على طعامك، أو لشرابهم على شرابك..

فلماذا تحزن؟

(١)رواه الترمذى ، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣)رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٦).

ألست تنام كما ينامون، وتستيقظ كما يستيقظون، فأى فرق بين أن تنام على حصير وينام الأغنياء على فُرُش وثيرة؟! وقد تكون الحصير أنفع وأصح من الفراش الناعم الوثير. فلماذا تحزن؟.

إذا مرضت أخذت قرصًا بفلس فشفاك الله بسبب فقرك وحاجتك وانكسارك بين يديه..

ويدفع الأغنياء الآلاف ومئات الآلاف ويستمر بهم المرض، ولا تنقطع عنهم العلل..

فلماذا تحزن؟

تأكل ما شئت من الطعام، وتشرب ما شئت من الشراب، ويتحمل جسمك أقسى الأطعمة والأشربة، بينما كثير من الأغنياء لا يأكل إلا ما تعافه نفسك أن تأكله؛ لأن أجسامهم لا تقوى إلا على ذلك، فلماذا تحزن..؟!!(١).

* ويوم القيامة تتبدل الأحوال.. سينسى المؤمن الفقير كل ما كان يعانيه من البؤس والشدة والجوع والحرمان والابتلاءات مع أول غمسة فى جنة الرحمن -جلَّ وعلا-.

* وفى المقابل سينسى الغنى - إن لم يكن طائعًا لله - كل ما كان فيه من الثراء والغنى والقصور والسيارات والخدم والشهوات مع أول غمسة فى نار جهنم.... فلماذا تحزن؟!.

- روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**يؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟**

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ١٩، ٢٠).

هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»(١).

* وتأمل معى هذا المشهد الجليل... عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عَزَّوَجَلَّ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟!! قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدونى لا يشركون بى شيئًا وُتسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً .... قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»(٢).

فأبشروا أيها الفقراء فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيجبر كسركم فى الجنة، ويسبغ عليكم من ألوان النعيم ما لا يخطر على قلب بشر.

* بل وفوق ذلك كله فإن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنياء

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»** (١).

وقال ﷺ: **«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»** (٢).

* قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على هذين الحديثين:

فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظًا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مُكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم والله أعلم، ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم - أي: سبقهم للأغنياء- في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا وقد يكون بعض من يُحَاسب أفضل من أكثرهم، والغنى إذا حوسب على غناه فوجُد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا. فالمزية مزيَّتان مزيَّة سبق ومزيَّة رفعة،

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٨٨٦)، والترمذى (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق(١)، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق(٢).

* فلا تحزن أيها الفقير فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

لا تحزن فلو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

لا تحزن فإن الدنيا قنطرة وممر وليست بدار إقامة ومقر.

لا تحزن فإن الدنيا ظل زائل وعارية مُستردة.

لا تحزن فإن الدنيا متاع الغرور وليست دار إكرام وحبور وسوف تجد السعادة كلها فى دار السرور والحبور عند الملك الكريم الودود الغفور.

أول الأمم دخولاً الجنة.. وأكثرهم عددًا

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ** »(٣).

وقال ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ**»(٤).

---

(١) أى: بالتباديل والتوافيق.

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ١٢٥، ١٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

كيف يدخلون الجنة... وأول وجبة يأكلونها

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[١].

عن النعمان بن سعد فى هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾. قال: «والله لا يُحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يُؤتَون بنوقٍ لم ترَ الخلائق مثلها، عليها رِحال الذهب، وأزمّتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة».

❁ وفى الحديث الذى رواه مسلم... عندما جاء حَبر من أحبار اليهود يسأل النبى ﷺ عن عدة أشياء وكان من بينها أنه سأله عن أول طعام لأهل الجنة فقال: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ ﷺ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**» -الحوت-، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ[٢].

ما وصفهم عند دخول الجنة

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة مريم: الآية: (٨٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣١٥) كتاب الحيض.

(٣) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾(١).

۞ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ وَلا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»(٢).

۞ وفي رواية البخاري: «وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ، وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

۞ وعن ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»(٣).

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة.

(٣) رواه أحمد (٦٢٨٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات.

۞ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنَّة من أمتَّى سبعون ألفًا (أو: سبعمائة ألف) متماسكون، آخذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»[١] .

وقال ﷺ : «أولُ زُمرةٍ تدخلُ الجنَّة، على صُورةِ القَمر ليلةَ البدرِ، والثانيةِ على لونِ أحسنَ منْ كوكبٍ درِّيٍّ فى السَّماء، لكلِّ رجلٍ منهمْ زوجتَانِ، على كلِّ زَوجةٍ سبعُونَ حُلَّةً يبدو [مخُّ] ساقها من ورائها»[٢] .

وقال ﷺ: «أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنَّة على صورةِ القَمرِ ليلةَ البدرِ، والذينَ على أثرِهم كأشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ فى السَّماء إضاءةً، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينَهم، ولا تباغُضَ، ولا تحاسُدَ، لكلِّ امرىءٍ منهمْ زَوجتانِ، كلُّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سُوقِها مِنْ وَرَاءِ لَحْمها مِنَ الحُسْنِ يُسَبِّحُونَ الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا لا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَخِطونَ، وَلَا يَبْصقونَ، آنِيَتُهمْ الذَّهَبُ والفِضَّة، وأمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوقودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةَ»[٣][٤] .

۞ وعن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: « يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا كَأَنَّهُم مُكَحَّلُونَ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ »[٥] .

جُردًا: أى بدون شعر على أجسادهم.

مُردًا: أى بدون لحية.

۞ وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢١٩) كتاب الإيمان.

(٢) رواه أحمد والترمذى عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٦٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة.

(٤) مجامرهم الألُوّة: وهو العود الذى يتبخر منه.

(٥) رواه أحمد والترمذى عن معاذ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٢).

عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (١). فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.

مشهد عظيم عند دخول الجنة

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُسَاقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّة زُمَرًا، حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَجَدُوا عِنْدَهُ شَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَعَمَدُوا إِلَى إِحْدَاهُمَا كَأَنَّمَا أُمِرُوا بِهِ فَشَرِبُوا مِنْهَا، فَأَذْهَبَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ قَذَى وَأَذَى أَوْ بَأْسٍ، ثُمَ عَمَدُوا إِلَى الأُخْرَى فَتَطَّهَرُوا مِنْهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيم، فَلَنْ تَتَغَيَّرَ أَبْشَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَلن تَشْعَثَ أَشْعَارهم كَأَنَّمَا دُهِنُوا بِالدِّهَانِ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى خَزَنَةِ الْجَنَّةِ فَقَالُوا: سَلام عَلَيْكُم طبتم فادخلوها خَالِدين. قَالَ: ثُمَّ تَلْقَاهُمُ الْوِلْدَانُ يُطِيفُونَ بِهِمْ كَمَا يُطِيفُ وِلْدَانُ أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْحَمِيمِ يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْبَتِهِ، يَقُولُونَ لَهُ: أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ... ثُمَّ يَنْطَلِقُ غُلامٌ مِنْ أُولَئِكَ الوِلْدَانِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَيَقُولُ: قَدْ جَاءَ فُلانٌ بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يُدْعَى فِي الدُّنْيَا، قَالَتْ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ وَهُوَ بِأَثْرِي فَيَسْتَخِفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرَحُ حَتَّى تَقُومُ عَلَى أُسْكُفَّةِ بَابِهَا، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أَسَاسِ بُنْيَانِهِ، فَإِذَا جَنْدَلُ اللُّؤْلُؤِ فَوْقَهُ صَرْحٌ أَخْضَرُ وَأَحْمَرُ وَأَصْفَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِ، فَإِذَا مِثْلُ الْبَرْقِ، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدَّرَهُ لأَلَمَّ أَنْ يُذْهِبَ بَصَرَهُ ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَزْوَاجُهُ، وأكواب مَوْضُوعَة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فَنَظَرُوا إِلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ ثمَّ اتكأوا فَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هَدَانَا الله، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: تَحْيَوْنَ فَلا تَمُوتُونَ أبدا، وتقيمون فَلَا تضعنون أَبَدًا، وَتَصِحُّونَ فَلا تَمْرَضُونَ أَبَدًا » (٢).

---

(١)سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٢)حادي الأرواح/ للإمام ابن القيم (ص ١٤٣-١٤٤).

وعن النعمان بن سعد قال: كنا جلوسًا عند عليٍّ رضي الله عنه فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾(١) قال: لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولا يُحشرُ الوفد على أرجلهم ولكن على نُوقٍ لم ترَ الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهبٍ فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»(٢).

الضُّعفاء أكثر أهل الجنة

۞ لقد أخبرنا النبى ﷺ أن أكثر من يدخل الجنة هم الضعفاء الذين ليس لهم قدر ولا مكانة عند الناس ولكنهم عند الله لهم مكانة عظيمة لأنهم حققوا العبودية لله وأخبتوا لربهم وتذللوا له وكانوا يخشون ربهم سرًّا وعلانية.

قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟**» قالوا: بلى، قال: «**كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّف لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»(٣).

قال النووى فى شرحه للحديث: «ومعناه يستضعفه الناس، ويحتقرونه، ويتجبرون عليه، لضعف حاله فى الدنيا،... والمراد: أن أغلب أهل الجنة هؤلاء.. وليس المراد الاستيعاب»(٤).

وفى الصحيحين ومسند أحمد عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِين، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ**

---

(١) سورة مريم: الآية: (٨٥).

(٢) رواه أحمد عن النعمان بن سعد (٣٦٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة.

(٤) النووى على مسلم: (١٧/ ١٨٧).

النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»(١).

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « **اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»(٢).

۞ وسنذكر بعد قليل أن النساء أكثر أهل الجنة كما أنهن أكثر أهل النار وذلك لكثرة عدد النساء بالنسبة للرجال...ولأسبابٍ أخرى سأوضحها.

مفتاح الجنة

ومن أراد أن يدخل الجنة فلا بد أن يعرف ما هو مفتاحها.

فمفتاح الجنة التوحيد... فمن المعلوم أن من اعتقاد أهل السنة والجماعة أنه لا يُخلَّد موحد فى النار.

فمن كان مؤمنًا موحدًا ومات على ذلك فإنه لابد أن يدخل الجنة وإن عُوقب فى النار ببعض ذنوبه ثم يخرج من النار ويدخل الجنة... بل وقد يعفو الله عنه بلا عقوبة... فمن المعلوم أن من مات على ذنب دون الشرك قبل أن يتوب فهو فى مشيئة الله... إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه.

قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٣).

۞ فالشاهد أن مفتاح الجنة هو لا إله إلا الله.

قال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٣٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٤) صحيح: رواه البزار، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٣٣).

وقال ﷺ: « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ »(١).

ذكر البخارى فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح.

وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟**» قلت: بلى، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»(٢)، وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور. كما قال ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور**» ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة والإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قِصَر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة، ومفتاح

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٥/ ٢٤٧)، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٨١) كتاب الدعوات، وأحمد (٣/ ٤٢٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦١٠).

كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عَظُم حظه وتوفيقه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل لكل خيرٍ وشرٍّ مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكِبر والإعراض عما بعث الله به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان. وجعل المعاصى مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشُّح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حِلِّه، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جُعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد، وله النعمة والفضل، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون(١).

الدنيا سجن المؤمن .. وجنة الكافر

ينبغى للعبد أن لا ينكر فى هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكلُّ ما يظن فى الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعها فهو للذهاب.

---

(١) مختصر حادي الأرواح (ص ٤٧-٤٨).

قال أبو الفرج بن الجوزى: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعْتَوِرْ فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له، إلا البرارى فى العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقَتْل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه... وقد قال النبى ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»(١).

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلانى رحمه الله: وهى أنه خرج يومًا بأُبهته - وكان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودى، فى حالة رثة، فقال اليهودى: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وها أنت ترانى فى حالةٍ رثة وأنا كافر، وأنت فى نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟!.... فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تُعد فى جنة، لما ينتظرك فى الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافرًا -.

وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلنى الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوى يُعد سجنًا بالمقارنة مع النعيم الذى ينتظرنى فى الجنات.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «الدنيا سجن المؤمن» فيه تفسيران صحيحان:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص:٦٦).

أحدهما: أن المؤمن قَيَّده إيمانه عن المحظورات، والكافر مطلق التصرف.

الثاني: أن ذلك باعتبار العواقب، فالمؤمن لو كان أنعم الناس فذلك بالإضافة إلى مآله فى الجنة كالسجن، والكافر عكسه، فإنه لو كان أشد الناس بؤسًا فذلك بالنسبة إلى النار جنته[1].

تخيل الجنة.. وسيهون عليك كل بلاء

لا ينبغى للمؤمن أن ينزعج من مرضٍ أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك ذلك، إلا أنه ينبغى التصبر مهما أمكن؛ إما لطلب الأجر بما يُعانى، أو لبيان أثر الرضا بالقضاء، وما هى إلا لحظات ثم تنقضى.

وليتفكّر المُعافَى من المرض فى الساعات التى كان يقلق فيها: أين هى فى زمان العافية؟!

ذهب البلاء وحَصَلَ الثواب، كما تذهب حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر، ويمضى زمان السخط بالأقدار ويبقى العِتَاب.

وهل الموت إلا آلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فتذهب؟

فليتصور المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس وقدمان ما يلقى، كما يتصور العافية بعد شرب الشَّربة المُرّة.

ولا ينبغى أن يقع جزع بذكر البلى، فإن ذلك شأن المركب، أما الراكب ففى الجنة أو النار.

وإنما ينبغى أن يقع الاهتمام الكلّى بما يزيد فى درجات الفضائل قبل

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٧٧).

نزول المعوّق عنها.. فالسعيد مَنْ وُفّقَ لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل فالأفضل فى زمن الاغتنام.

وليعلم أن زيادة المنازل فى الجنة على قدر التزيّد من الفضائل هاهنا. والعمر قصير، والفضائل كثيرة، فليبالغ فى البدار، فيا طول راحة التَّعِب!، ويا فرحة المغمور، ويا سرور المحزون!.

ومتى تخايل دوام اللذة فى الجنة من غير منغّص ولا قاطع؛ هان عليه كل بلاء وشدة[1].

اصبر واحتسب.. والعِوضُ فى الجنة

أيها الأخ الحبيب: لا تنظر تحت قدميك فالدنيا عمرها قصير وشأنها حقير فإن فاتك شيء من الدنيا فلا تحزن، فإن الله لا يحرمك من شيء إلا ويعوضك بخير منه إذا صبرت واحتسبت.

* وأنا أذكر لك بعض الأشياء على سبيل المثال:

* فمن صبر على موت صفيه وحبيبه من أهل الدنيا - كأمه وأبيه وولده وأخيه - فإن الله يعوضه فى الجنة.

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاَّ الجنة**»[2].

* ومن صبر على موت ابنه واحتسبه عند الله (جلَّ وعلا)، بُنى له بيت الحمد فى الجنة.

(١) «صيد الخاطر» (ص ٤٥٧، ٤٥٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة.

عن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ ولدُ العبدِ؛ قال الله تعالى لملائكته:**

قَبَضتُم وَلَدَ عبدى؟

فيقولون: نعم. فيقولُ: قبضتُم ثمرةَ فؤاده؟

فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدى؟

فيقولون: حَمِدَكَ واسترجَعَ.

فيقولُ الله تعالى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنَّة وسَمُّوهُ بيتَ الحمد»(١).

۞ ومن صبر على فقد عينيه فإن الله (جلَّ وعلا) يعوضه فى الجنة، قال تعالى فى الحديث القدسى: «**مَنْ أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة**»(٢).

۞ وإذا كنت فقيرًا محرومًا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يعوضك فى الجنة بأن يُدخلك الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**»(٣).

۞ وإذا عشت فى شدة وبؤس وحرمان وابتلاء فإن الله (جلَّ وعلا)

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، من حديث أبى موسى الأشعرى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤٠١) كتاب الزهد، وأحمد (٧٥٤٣)، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٤٠).

(٣) حسن: رواه أحمد (٧٨٨٦)، والترمذى (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٦)، و(٨٠٧٦).

يجعلك تنسى كل ذلك مع أول غمسة فى الجنة.

- روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «... **ويُؤتى بأشدِّ الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصَبغُ فى الجنة صبغةً، فيُقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ! ما مرَّ بى بؤسٌ قطُّ، ولا رأيت شدَّةً قطُّ**»(١).

* وإذا حُرمت من الزوجة الصالحة فى الدنيا وعشت على الإيمان ومُت على ذلك فإن الله يعوضك فى الجنة بالحور العين.

* وهكذا لا يمنع الله عنك شيئًا من الدنيا، إلا عوضك أضعافه فى جنته التى أعدَّها لعباده الصالحين... فلا تأس على ما فاتك من حُطام الدنيا.

* أما أهل الدنيا الذين ينظرون تحت أقدامهم ولا يرون غير الدنيا فإن الواحد منهم إذا فقد شيئًا من لذاتها، فإنه يعيش فى حُزن وكآبة وألمٍ وحسرة على فوات هذا الشىء؛ لأنه لا يرى إلا هذه الدنيا.

عقدٌ ثمنه الجنة

قال ﷺ: « **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ** »(٢).

ولذلك عرض الرب (جل وعلا) سلعته الغالية على عباده فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه أبو نعيم والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١).

كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى

قال ﷺ: « **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى** » قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: « **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** »(٢).

وقال ﷺ: « **كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ شَرَد عَلَى اللهِ شَراد الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ** »(٣). فاللهم اجعلنا من أتباع حبيبك ﷺ.

أشياء نراها من الجنة

وقد يسأل سائلٌ ويقول: وهل هناك أشياء نراها فى هذه الدنيا وهى من الجنة؟.

والجواب: بلى ... هناك أشياء نراها وهى من الجنة ... وإليك بعضها.

۞ قال ﷺ: «**إِنَّ الرُّكْنَ والمَقامَ ياقُوتَتانِ مِنْ ياقوتِ الجَنَّةِ طَمَسَ اللهُ تَعالَى نُورَهُما ولوْ لَمْ يَطْمِسْ نورَهُما لأَضاءَتا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**»(٤).

۞ وقال ﷺ: « **الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ** »(٥).

۞ وقال ﷺ: « **بُطْحانُ على بِرْكَةٍ مِنْ بُرَكِ الجَنَّةِ** »(٦).

---

(١)سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٣)رواه الطبرانى فى الأوسط، وأحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٧٠).

(٤)رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٣٣).

(٥)رواه أحمد عن أنس والنسائى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٧٤).

(٦)رواه البزار عن عائشة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٧).

۞ وقال ﷺ: «قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الجَنَّةِ»(١).

۞ وقال ﷺ: «لولا ما مسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسَّهُ ذو عاهة إلا شُفى وما على الأرض شيء من الجنة غيره»(٢).

من الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة

۞ أول من دخل الجنة من البشر هو أبو البشر آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤)، ولكن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها فأهبطه الله من الجنة إلى دار الشقاء:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(٥).

۞ وقد رأى الرسول ﷺ الجنة.... عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤١٢).

(٢) رواه البيهقى عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٣٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٣٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٩).

(٥) سورة طه: الآيات: (١١٥-١٢٣).

قال: « اطَّلَعتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ »[١].

۞ومن الذين يدخلون الجنة قبل يوم القيامة الشهداء.

ففى صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢].

قال: إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّة حيثُ شِئْنَا ففعلَ ذلك بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبُّ نُرِيدُ أَنْ تُرَدَّ أَرْوَاحُنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سبيلِكَ مرَّةً أُخرى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا »[٣].

۞ومن مات عُرض عليه مقعده من الجنة والنار بالغداة والعشى.

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ .. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤][٥].

---

(١)متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٢)سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٣)صحيح: رواه مسلم (١٨٨٧) كتاب الإمارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥)الجنة والنار (ص: ١٣٤-١٣٥).

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

۞ أول زُمرة تدخل الجنة من هذه الأمة هم القمم الشامخة فى الإيمان والتُّقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق ... يدخلون الجنة صفًّا واحدًا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صوَّرهم على صورة القمر ليلة البدر.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف ... لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»(١).

وقد صَحَّ أن الله أعطى رسوله ﷺ مع كل واحد من السبعين هؤلاء سبعين ألفًا،.... عن أبى بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعطيت سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد، فاستزدت ربى عز وجل، فزادنى مع كل واحدٍ سبعين ألفًا**»(٢).

وعن أبى أُمامة أن رسول الله ﷺ قال: «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربى»(٣) فذكر هذا الحديث زيادة ثلاث حثيات.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢١٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/٦)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٥٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن حبان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١١١).

نداءات يسمعها أهل الجنة

وها هى جملة من النداءات التى يسمعها أهل الجنة.

۞ عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «**ينادى مُنادٍ: إن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**»(١)... فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٢).

۞ وعن صهيب أن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا، يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقِّل الله موازيننا ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم**»(٣).

۞ وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان، بنحوه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة.

خزنة الجنة

۞ الجنة مع عظمتها وحُسنها، وكثرة أهلها، خلق الله تعالى لها خَزَنَة، وخَدَمًا ... والخَزَنَة: جمع خازِن، كحَفَظَة: جمع حافظ.

فمَن هؤلاء الخزنة؟

وهل هم ملائكة؟

وكم عددهم؟

وما وظائفهم؟

جعل الله تعالى خَزَنة الجنة ملائكة كرامًا، يستقبلون أهل الجنة عند دخولها، ويرحِّبون بهم ... كما قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1].

وقال ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[2].

وهذا الحديث يثبت وجود خَزَنة للجنَّة، ويثبت أيضًا فضل النبي ﷺ وكرامته عند الله تعالى، وأنه سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة.

۞ **أعدادهم:**

أعداد الملائكة كبيرة جدًّا، ولا يحصيهم إلا الله تعالى، لكننا نؤمن أنَّ للجنة خَزَنة، يقومون بوظائفهم في الجنَّة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٧٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٧) كتاب الإيمان.

ما يُؤمَرون.

۞ **وظائفهم:**

لخزنة الجنة وظائف متعددة ... فمنهم من يستقبلون المؤمنين عند دخولهم، ومنهم من يفتح الباب لأول داخل إلى الجنة، وهو رسول الله ﷺ، ومنهم مَن يَدخلون على أهل الجنة من كل باب[1].

عدد أبواب الجنة وصفتها

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[4].

وقال ﷺ: «**الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب**»[5].

۞ وعن خليد عن قتادة قال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتُكلَّم، وتفهم ما يُقال لها ... انفتحى انغلقى.

وفى حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ: «**فآخذ بحلقة باب الجنة**

(١) العالم الأخير (ص ٤٧٢، ٤٧٣).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٧٣).

(٣) سورة ص: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٤) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٥) رواه ابن سعد، وأحمد، عن عتبة بن عبد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١١٩).

فأقعقعها»[١]، وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تُحرَّك وتُقعقَع.

وعن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغ (أو فيُسبغ) الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[٢].

وعَن عُتبة بن عبد الله السُّلَمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يُتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنث، إلا تَلقَّوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل**»[٣].

سعة أبواب الجنة

عن أبى هريرة فى آخر حديث الشفاعة قال ﷺ: «**... فأقول: يارب أمتى أمتى، فيُقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن، من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى**»[٤].

۞ وقال ﷺ: «**إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة**»[٥].

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها، وكلما عَلَتْ الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه... وسعة الباب، بحسب وسع الجنة، ولعل هذا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى (٣١٤٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٥٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤) كتاب الطهارة.

(٣) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.

(٥) رواه أحمد وأبو يعلى عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٩٠).

وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

متى تُفتح أبواب الجنة

(أ) يوم الاثنين والخميس من كلِّ أُسبوع:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»** (١).

(ب) شهر رمضان من كل عام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»** (٢).

قَالَ القاضي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلّه عَلامَة للمَلَائكَة لدُخول الشَّهْر الكَريم، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْعَفْوِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عِبَارَةً عَمَّا يَفْتَحُهُ اللهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَذَلِكَ مِن أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ (٣).

من الذي يُنادَى عليهم من أبواب الجنة الثَّمانية؟

۞ وسوف أسوق لحضراتكم باقة من الأحاديث العطرة التى تخبرنا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٨) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٣) فتح البارى (٤/ ١٣٧).

عن هذا الصنف المبارك الذى يُنادى عليه من أبواب الجنة الثمانية.

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَـذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»(١).

وعن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغ -أَوْ: فَيُسْبِغ- الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» زاد الترمذى بعد التشهد: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»(٢).

۞ وعَن عُتبة بن عبد الله السُّلَمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ»(٣).

۞ وعن عُتبة بن عَبْد السُّلَمىّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكان من أصحاب النبى ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «القَتْلُ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مؤمنٌ جَاهَدَ بِنَفْسه وَمَالهِ فى سَبيلِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤) كتاب الطهارة.

(٣) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٢).

الله عَزَّوَجَلَّ حَتَّى إذا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حتَّى يُقتَلَ، فذلكَ الشَّهِيدُ المُفْتخِرُ فى خَيمةِ الله عَزَّوَجَلَّ تَحتَ عَرْشِهِ لا يَفضُلُهُ النَّبِيُّونَ إلا بِدَرَجةِ النُّبوةِ، وَرَجُلٌ مُؤمنٌ قَرَفَ عَلى نفسِهِ من الذُّنُوبِ والخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ فى سبيل الله حتى إذا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .. فمَصْمَصَة[1] مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إنَّ السَّيْفَ محَّاءٌ للخَطَايَا، وأُدخلَ مِنْ أى أَبوابِ الجَنةِ شاءَ، فإن لها ثَمانِيةَ أبواب، ولجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أبواب، وبَعْضُهَا أفْضلُ من بَعضٍ .. وَرَجُلٌ مُنافقٌ جَاهدَ بِنفسِهِ ومالِه حتَّى إذا لقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَ فى سبيلِ الله عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يُقتَلَ، فذَلِك فى النَّار، إنَّ السَّيْفَ لا يَمْحُو النِّفاقَ»[2].

۞ وعن عُبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن النبى ﷺ قال: « مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ »، وفى رواية: « مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ »[3].

وقال رسول الله ﷺ: « إذا صَلَّتِ المَرْأةُ خَمْسَها وصامَتْ شَهْرَها وَحَصَّنَتْ فَرْجَها وأطاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَها: أدْخُلِي الجَنَّة مِنْ أيِّ أبْوابِ الجَنَّةِ شِئْتِ»[4].

باب الريان للصائمين

قال ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابا يُقالُ لهُ: الرَّيَّانُ يدخل منه الصَّائمُونَ يَوْمَ القيَامَةِ لَا يَدْخل منهُ أحدٌ غَيْرُهُمْ يُقالُ: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فيَقُومُونَ فيَدْخلُونَ منهُ فإذا

(١) مصمصة: أى مُطهرة.

(٢) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٣٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٤) رواه ابن حبان عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ منهُ أحدٌ»(١).

وقال ﷺ: **«للصَّائمين بابٌ فى الجنة يقالُ لهُ الرَّيانُ. لا يدْخُلُ فيه أحدٌ غيرهمْ، فإذا دَخَل آخرهم أُغلقَ، من دخل فيهِ شرِب، ومَنْ شَربَ لم يظمأ أبدًا»**(٢).

۞ مُسمّى الباب: «الريان» من الرِّىِّ، والرِّىُّ ضد الظمأ ... مُسمَّى الباب يبعث على الرى، وأول الغيث قطرة،... إن ذكر الماء فى الصحراء؛ يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل..؟!.

وفى حديث عبد الرحمن بن سمُرة، عن النبى ﷺ فى منامه الطويل قال: **«ورأيت رجلًا من أمتى يلهث عطشًا، كلما ورد حوضًا مُنع منه، فجاءه صيامُ رمضان فسقاه وأرواه»**(٣).

رِىُّ الدنيا عطش، والرِّىُّ رِىُّ الآخرة، والجزاء من جنس العمل(٤).

أبواب الجنة الثمانية .. ومضاعفة الرزق للمؤمن

۞ **قال الإمام ابن القيم:** فرِّغ خاطرك للهمِّ بما أُمِرتَ به ولا تشغله بما ضُمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سَدَّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمَّل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريقٍ واحد وهو السُّرَّة،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٣) ضعيف: رواه الطبرانى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

(٤) الجزاء من جنس العمل/ د. سيد حسين (١/ ٥٤٥).

فلمَّا خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا.

فإذا تمَّت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان ... فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يُضاف إليهما من المنافع والملاذ ... فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طُرقًا ثمانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس .. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولُطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًّا. ولو أنصف العبدُ ربه - وأنَّى له بذلك؟!-لَعلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليُعطيه، ولا ابتلاه إلا ليُعافيه، ولا امتحنه إلا ليُصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[1] ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾[2] والله المستعان[3].

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٨٧، ٨٨).

حُفَّت الجنة بالمكاره

قال ﷺ: « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ »(١).

وقال ﷺ: « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »(٢).

وقال ﷺ: « لَمَّا خَلَقَ الله الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالمَكَارِهِ ثُمَّ قال: يا جبريل! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ فَلَمَّا خَلَقَ الله النار قال: يا جبريل! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال: يا جبريل اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يبقى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا »(٣).

الجنة .. أو النار

كان هارون الرشيد من أورع الخلفاء وأكثرهم خشية لله، وكان يطرق باب العلماء يلتمس النصيحة والعظات، فمنهم من يقبله ومنهم من يرُدُّه!!(٤)

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٧) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٠).

(٤) ومن هذا ما جاء في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١١٦) من أن هارون الرشيد قدم إلى باب عبد الله بن المبارك يومًا فاستأذن، فلم يأذن له، فكتب هارون في رقعة:

هـــل لـــذي حاجـــة إليـــك ســـبيل ... لا طويـــلٌ قعـــوده بـــل قليـــل

فكتب ابن المبارك على ظهر رقعته:

أنـــت يـــا صـــاحب الكتـــاب ثقيـــلٌ ... وقليـــلٌ مـــن الثقيـــل طويـــل

ومما جرى من وعظه ما جرى بين يحيى بن خالد البرمكي وواعظ الرشيد بن السماك حيث قال له: إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تُكثر عليه ... فلما دخل عليه وقام بين يديه قال: «يا أمير المؤمنين!! إن لك بين يدي الله تعالى مُقامًا، وإن لك من مُقامك مُنصرَفًا، فانظر إلى أين مُنصرفك: إلى الجنة أم إلى النار؟!»، فبكى هارون حتى كاد أن يموت[1].

ونفس الوصية نطق بها يزيد الرقاشي لما دخل على عمر بن عبد العزيز وسأله الموعظة، فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم ما أنت أول خليفة يموت! فبكى عمر وقال: زدني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أبٌّ ميت! فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الموت موعد. فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل! فسقط مغشيًّا عليه[2].

أخي... ليس هناك من منزلة ثالثة بين المنزلتين، وكل خطوة تبعدك عن الجنة تُدنيك من النار، والكل مجبول في هذه الدنيا على السعي والحركة، فإن لم تَسْعَ للجنة قادتك رجلاك ولا بد إلى النار ... والسعي واقع لا محالة، لكن شتان ما بين سعي وسعي، بين من يكدُّ ويتعب في سبيل الجنة ومن يكدُّ ويتعب في سبيل جهنم، وبين من يسير إلى الجنة بخُطى ثابتة ومن يخطو إلى الهاوية بخطى واثقة!! كلهم يسعى، والفارق!!

وَلِلدَّبُورِ وَالْبَازِي جَمِيعًا ... لَدَى الطَّيَرَانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفْقٌ

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٧٤).

(٢) سراج الملوك (١/ ٤).

وَلَكِـــنْ بَـــيْنَ مَـــا يَـــصْطَادُ بَـــازٌ وَمَـــا يَـــصْطَادُهُ الـــدَّبُّورُ فَـــرقُ

ورسول الله علمنا قبل أي شعر أو موعظة:

«**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعتِقِهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**»(١).

قال محمد بن سيرين: «مَا حَسَدْتُ أَحَدًا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ... إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى النَّارِ»(٢).

طريق الجنة واحد

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤).

وقال ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اضْرِبْ لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ: اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٢) الزهد للبيهقي (٢/ ٣٦١) نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (١٥، ١٦).

وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ، إِنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ، فَاللهُ هُوَ المَلِكُ وَالدَّارُ الإِسْلَامُ وَالبَيْتُ الجَنَّةُ وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ رَسُولٌ، ... فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الإِسْلَامَ، وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلَامَ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا »[١].

لن ندخل الجنة إلا برحمة الله (جلّ وعلا)

قال ﷺ: «سَدِّدوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمُ الجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»[٢].

وقال ﷺ: « لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِفَضْلٍ رَحْمَتِهِ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَلاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنٌ فلعله يزداد خيرا وإما مسيء فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ »[٣].

شُبهة ... والرد عليها

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تُدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلًا بدخولها وإن كان سببًا ... ولهذا فقد أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: «لن يُدخل أحدًا منكم الجنة عملُه».

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة.

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٧٢).

۞ ولا تنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثانى: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلًا بحصوله.

وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين بقوله: «**سدِّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يُدخل أحدًا منكم الجنة عملُه**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة**»(١) (٢).

الجنة قريبة .. فاجتهد

قال ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله والنار مثل ذلك**»(٣).

فاجتهد أيها الأخ الحبيب... واجتهدى أيتها الأخت الفاضلة لتفوزوا بالنعيم والرضوان فى جنة الرحمن (جل وعلا).

مهما بذلت .. فالجنة أغلى

قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) مختصر حادى الأرواح (ص: ٥٦، ٥٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٨) كتاب الرقاق.

(٤) حسن: رواه أحمد، والبخارى فى التاريخ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٩).

۞ ومَردُّ احتقار ما قدَّموه إلى أمرين:

الأول: أنهم لما يرون ثواب الأعمال، يحتقرون ما بذلوه بجوار ما عاينوه ... فلو أن أحدنا مثلًا ضرب بماله في تجارة ودفع فيها من رأس ماله فجاءته الأرباح ألف ضعف مثلًا، لتحسَّر أنه لم يُخرج ماله كله في هذه الصفقة ... فكيف والأجر هناك أكبر من أن يدركه عقل؟!

الثاني: أن ذلك حاصل لما يرونه من هول ذلك اليوم الذي يود المرء فيه أن يفتدي نفسه بأي ثمن .... ومثال ذلك أنك لو دخلت امتحانًا مثلًا ففوجئت بأكثر الطلبة اجتهادًا وأشدهم ذكاء؛ وجدته شديد الخوف والهلع وأنت دونه في التحصيل والجهد بكثير، فكيف يكون شعورك؟! وهكذا الأمر يوم القيامة؛ يأتي أشد عباد الله اجتهادًا وطاعة وهم الأنبياء يقولون: اللهم سلِّم.. اللهم سلِّم، وحين يسألهم الناس الشفاعة ينصرف كُلٌّ منهم إلى نفسه قائلًا: نفسي .. نفسي، فأي هول شاهدوه؟! وأي خطرٍ خافوه؟!

۞ إخواني وأخواتي: الجنة اليوم معروضة في سوق الطلب، لا يستحقها من زهد فيها، ولا يبصر جمالها من انشغل عنها .. لا تأسى على من باعها، ولا تدرك من أبطأ عنها ... والله ونبيه ﷺ يدعوان إليها صباح مساء في قرآن وسنة، ومعظم الناس عنها نيام!!

ورُبَّ خصلة واحدة من خصال الخير كانت سببًا في دخول صاحبها الجنة، ليس لصاحبها إلا أن يداوم عليها فحسب، واسمعوا قول النبي ﷺ:

«**إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، كَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ،**

فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ»[1].

بل حتى لو لم يداوم العبد على هذه الخصلة وكان عمل الخير منه طفرة، فرُبَّ فعلٍ واحد وليس عادة مستمرة كان سببًا في فوز صاحبه، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، إنه حكيم عليم، وإليكم البشارة.

قال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»[2].

وفي رواية قال ﷺ: «نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ إِمَّا كَانَ فِي شَجَرَةٍ فَقَطَعَهُ وَأَلْقَاهُ، وَإِمَّا كَانَ مَوْضُوعًا فَأَمَاطَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»[3][4].

ما أسماء الجنة ومعانيها؟

۞ ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومُسماها واحد باعتبار الذات.

الاسم الأول: الجنة: وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ومنه سُمى البستان جنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه.

الاسم الثانى: دار السلام: وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ

(١) صحيح: رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٧٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤) كتاب الأذان، ومسلم (١٩١٤) كتاب الإمارة.
(٣) حسن: رواه أبو داود، وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٥٥).
(٤) ليلى بين الجنة والنار (١٠٧-١٠٨) بتصرف.

﴿ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾[١]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٢]. وهى أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهى دار الله واسمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ السلام الذى سلمها وسلم أهلها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾[٣] ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾[٤].

والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، قال تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[٥].

الاسم الثالث: دار الخُلد: وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[٧].

وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾[٨]. وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[٩].

الاسم الرابع: دار المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾[١٠].

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٧).
(٢) سورة يونس: الآية: (٢٥).
(٣) سورة يونس: الآية: (١٠).
(٤) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣، ٢٤).
(٥) سورة يس: الآيتان: (٥٧، ٥٨).
(٦) سورة هود: الآية: (١٠٨).
(٧) سورة ص: الآية: (٥٤).
(٨) سورة الرعد: الآية: (٣٥).
(٩) سورة الحجر: الآية: (٤٨).
(١٠) سورة فاطر: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

الاسم الخامس: جنة المأوى: قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾(١). والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به. وقال عطاء عن ابن عباس: هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء.

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٢). وقال فى النار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٣).

الاسم السادس: جنات عدن: اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن.

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾(٤).

والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

الاسم السابع: دار الحيوان: قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(٥). المراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة لهى دار الحياة التى لا موت فيها.

الاسم الثامن: الفردوس: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٦)... والفردوس: اسم يقال

(١) سورة النجم: الآية: (١٥).

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٣) سورة النازعات: الآية: (٣٩).

(٤) سورة مريم: الآية: (٦١).

(٥) سورة العنكبوت: الآية: (٦٤).

(٦) سورة الكهف: الآيتان: (١٠٧، ١٠٨).

على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل الفردوس: البستان.

الاسم التاسع: جنات النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾[(١)]. وهذا أيضًا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة. وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

الاسم العاشر: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[(٢)]. والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والمغص والنكد. وفى قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾[(٣)]. فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق، وقدم الصدق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[(٤)]. فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها[(٥)].

---

(١) سورة لقمان: الآية: (٨).

(٢) سورة الدخان: الآية: (٥١).

(٣) سورة الدخان: الآية: (٥٥).

(٤) سورة القمر: الآيتان: (٥٤، ٥٥).

(٥) مختصر حادى الأرواح (ص: ٥٩ : ٦٢).

أسماء أهل الجنة وأهل النار

قال ﷺ: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟** - فقال للذى فى يده اليمنى - **هذا كتابٌ من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماءُ آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل**[١] **على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم، ولا يُنقصُ منهم أبدًا**، - ثم قال للذى فى شماله - **هذا كتابٌ من رب العالمين، فيه أسماءُ أهل النار، وأسماءُ آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقصُ منهم أبدًا، سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يُختم لهُ بعمل أهل الجنة، وإن عَمِل أى عمل، وإن صاحب النار يُختم له بعملِ أهل النار، وإن عَمِل أى عمل، فرغ ربكم من العباد، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾**[٢]»[٣] .

۞ ولا يعنى هذا أن يترك الإنسان العبادة بحُجة أن الله قد كتب أهل الجنة وأهل النار... فهذا خطأ.

فإن الله لا يظلم مثقال ذرة... فالله حينما كتب أهل الجنة وأهل النار كان ذلك من منطلق علمه بعباده وليس من باب أنه قضى لفلان بأن يكون من أهل الجنة وقضى على فلان بأن يكون من أهل النار... حاشا لله من ذلك.

بل إن الله يعلم أن العبد الفلانى إذا جاء إلى الدنيا وتيسرت له كل أسباب الهداية فإنه هو الذى سيرفض طريق الهداية والصلاح وسيختار بنفسه طريق الغواية والضلال فكتبه الله من أهل النار... وإن الله يعلم أن

---

(١) أى: أُحصوا وجُمعوا ولن يقبلوا زيادة.

(٢) سورة الشورى:الآية: (٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٨).

العبد الفلانى إذا جاء إلى الدنيا وتيسرت له كل أسباب الهداية والضلال فإنه سيختار بنفسه طريق الهداية والصلاح وسيكون عبدًا صالحًا فكتبه الله من أهل الجنة.

ولذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾(١).

أكثر أهل الجنة

۞ وقد يسأل سائل ويقول: من هم أكثر أهل الجنة؟

والجواب: أن النبي ﷺ أخبر عن ثلاثة أصناف من المؤمنين هم أكثر أهل الجنة.

(١) أمة النبي ﷺ أكثر الأمم دخولاً الجنة:

قال ﷺ موضحًا كثرة أمته في الجنة: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ**»(٢).

وقال ﷺ لأصحابه يومًا: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فكبَّرَ الصَّحابَةُ فَرَحًا واستبشارًا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فكبَّرُوا، فقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَكَبَّرُوا، فقالَ ﷺ ضاربًا المثل على كثرة أمته يوم القيامة مقارنة ببقية الأمم: «**مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ**»(٣).

---

(١) سورة الليل: الآيات: (٥-١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان.

(٢) الفقراء والضعفاء:

قال ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء...**»(١).

ولذلك فإن الله (عَزَّوَجَلَّ) يَجبر لهم كَسرهم فى الآخرة وذلك بأن يُدخلهم الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة سنة.

قال ﷺ: «**فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**»(٢).

وفى رواية قال ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**»(٣).

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»(٤).

وقال ﷺ: «**قُمْتُ عَلَى بَابُ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ**»(٥).

(٣) النساء أكثر أهل الجنة:

وقد يسأل سائل ويقول: هل الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟

والجواب: أن مثل هذا السؤال قد طُرح فى عهد الصحابة فتخاصم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٨) كتاب الذكر والدعاء.
(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة.
ومعنى: «الضعيف المتضعّف»: هو رقيق القلب، ليِّن النَّفس، المُخْبِت لله المُنكسر بين يديه.
العُتُل: الشديد الجافى الغليظ من الناس، والجوَّاظ: الجَمُوع المَنوع الذي يجمع المال من أي جهة، ويمنع صرفه في سبيل الله - المتكبر: هو الفظّ الغليظ القاسي المُتَجَبِّر.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٣٦) كتاب الذكر والدعاء.

الرجال والنساء فى هذه المسألة.

ففى صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر فى الجنة؟ وفى رواية: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال فى الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة، فاحتج أبو هريرة على أن النساء فى الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة أعزب**»[١].

والحديث واضح الدلالة على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «**رأيتكن أكثر أهل النار**». والجواب أنه لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يَكُنَّ أقل ساكنى الجنة كما يقول ابن حجر العسقلانى[٢]، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة، وبذلك يَكُنَّ أكثر من الرجال وجودًا فى الخلق. ويمكن أن يقال: إن حديث أبى هريرة يدل على أن نوع النساء فى الجنة أكثر سواءً كن من نساء الدنيا أو من الحور العين.

والسؤال هو: أيهما أكثر فى الجنة: رجال أهل الدنيا أم نساؤها؟ وقد وفق القرطبى بين النصين بأن النساء يَكُنَّ أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كُن أكثر أهل الجنة[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) فتح البارى: (٦/ ٣٢٥).

(٣) راجع التذكرة للقرطبى: (ص٤٧٥).

كيف نجمع بين ما ذُكر هنا أن النساء هُنَّ أكثر أهل الجنة، وبين حديث: «يا معشر النساء تصدَّقن فإنِّي رأيتكن أكثر أهل النار؟»

الجواب: أن عدد النساء في الدنيا أصلًا أكثر من عدد الرجال، بمعنى أن عدد خلق الله من النساء أكثر من عددهم من الرجال ... وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان في الدنيا يكون لكل خمسين امرأة قيِّمٌ واحد .. أي: رجل واحد.

وفي عصرنا اليوم بدأت نِسَب الولادات من البنات تزداد بشكلٍ ملحوظ، حتى صارت نسبة الذُّكور في بعض البُلدان تصل إلى خمس نساءً مقابل رجل واحد، وبذلك تكون النساء أكثر من الرجال وجودًا في البشر، فإذا دخل نصف رجال الدنيا إلى الجنة، ونصف نساء الدنيا أيضًا، فإن عدد النساء سيكون أكثر؛ لأن النساء في الدنيا أكثر، وكذلك الحال في النار، فلو دخل النار ربع رجال الدنيا، وربع نساء الدنيا، فستكون النساء في النار عددهن أكثر؛ لأنهن أكثر في الدنيا.

وعلى ذلك لا يفهم من حديث إن النساء أكثر أهل النار ذَمّ جنس النساء، أو التنقُّص منهن[1].

---

(١) العالم الأخير (ص ٥١٧).

النساء المؤمنات في الجنة[١]

۞ وصف الله تعالى نساء الجنة من الحور العين وحُسنهن وجمالهن الظاهر والباطن بأوصافٍ متنوعة، وما من وصف وُصفت به الحُوريَّة إلا والمرأة المؤمنة أجمل منها وأبهى.

إذ لا يُساوي الله تعالى بين المؤمنة التي تعبت في الدنيا، وصلَّت، وتعبدت، وابتعدت عن الحرام، وصامت النهار، وبَكَتْ في الأسحار .. لا يُساوي الله بينها في الحُسن والجمال والإكرام مع حُورِيَّة خُلقت للجنة، ولم تُكلَّف بعبادة قبلها..

فكل وصف فيما يأتي لحورية فلتعلم المؤمنة أنها أعلى منه وأحلى.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمْ الْحُورُ الْعِينُ؟ قَالَ: «**بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ**»[٢]. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «**بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَلْبَسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ، بِيضُ الْأَلْوَانِ، خُضْرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الْحُلِيِّ مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقُلْنَ: أَلَا نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا،**

(١) بتصرف من (العالم الأخير).

(٢) الظِّهارة: هي الثوب الظاهر الذي يراه الناس، ويلمسونه، ويكون غالبًا غالي الثمن، جميل المنظر، والبِطَانَة: هو الثوب الداخلي الذي يكون تحته، وهو في الغالب يكون من عامة الثِّياب، أقل ثمنًا من الظِّهارة، فنساء الدنيا المؤمنات يُفَضَّلن على الحور العين كما تفضل الظهارة في حسنها وبهائها، على البطانة.

طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا»[١].

ولا شك أن هذا النعيم والحُسن والجمال يدفع المرأة المؤمنة في الدنيا للازدِياد من العمل الصالح، والحرص على الخير والعبادة، والرَّغبة فيما عند الله تعالى.

۞ وصِفات النساء في الجنة غاية في الحسن والجمال والرِّقَّة والعفاف.. مع مَلاحَة وتَغَنُّج .. وهنا طرف مما ورد في صفاتهن:

(١) نساء الجنة جميلات:

قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[٢].

والمؤمن في الجنة يتزوج زوجته الصَّالحة في الدنيا، فتكون جميلة العَينَين، حسنة الملامح، كاملة القَوام، ناعمة الجسم.

والحُور: جمع حَوْراء، وهي المرأة الشَّابة الحسناء الجميلة التي من شدة جمالها يَحار النَّاظر من حُسنها وبياضها وصفاء لونها.

أما قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: واسعة العينين شديدة سواد حَدَقة العين، في شدة بياض بقية العين.

(٢) نساء الجنة في سنِّ الشباب:

وهذا ألذُّ وأمتع وأسَرُّ لهن، ولأزواجهن ... قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: النساء الآدميات المؤمنات يخلقهنَّ

(١) ضعيف: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٢٣٠).

(٢) سورة الدخان: الآية: (٥٤).

(٣) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٨).

الله تعالى غير خلقهنَّ الأول، ويُصبِحن أبكارًا شابَّات ... ويشهد لذلك ما أخبرت به عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

أَنَّ النبيَّ ﷺ أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الأَنصَارِ فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهَا النبيُّ ﷺ مَازِحًا: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**». فذهبت العجوز حزينة، ظَانَّةً أنَّها لن تدخل الجنَّة! وذهب النبي ﷺ فَصَلَّى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً، فَقَالَ: «**إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا**»[(١)].

يعني: أنها لن تدخلها وهي عجوز بل ستعود شابَّة في غاية النَّضارة والحسن والجمال، فلما أخبروا المرأة العجوز بذلك، فرِحت واستبشرت.

(٣) لا تحيض:

وذلك لتكتمل متعة نساء الجنة وأزواجهن ... كما قال تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[(٢)]، أي: مُطَهَّرات من الحَيض والنِّفاس، والبول والغائط، والمُخاط والبُصاق، وكل قذر وأذى ... وهنَّ أيضًا مطهرات من الأخلاق السيئة والصِّفات الذَّميمة، ومن الفُحش والبذاءة.

(٤) ترى زوجها أجمل الرِّجال:

وهذا من تمام النعيم للزوجة وزوجها، فهي تملأ عينه حُسنًا كما أنه يملأ عينها حُسنًا .... قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾[(٣)].

ومعنى قاصرات: فهي تقصُر نظرها على زوجها، لا تلتفت إلى غيره،

---

(١) رواه الترمذى فى الشمائل، والبيهقى فى البعث، والبغوى فى التفسير، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٥٧).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٤٨).

ولا ترغب إلا فيه، بل تراه الأجمل والأحسن من الرجال.

(٥) جمال أجسامهن:

ومع نضارة الوجه وجماله، زاد الله تعالى نساء الجنة جمال الأجسام وتناسُقها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[1].

فهنَّ كَواعِب، وكواعب جمع كَاعب، وهي المرأة مكتملة الحُسن والجمال في مواضع جَسَدِها ... وهنَّ أتراب: أي: متماثلات الأعمار.

(٦) حَسَنة التَّبَعُّل لزوجها:

نساء الجنة ملاطفات لأزواجهن، لا غِلْظَة فيهن ... كما قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[2]، والمرأة العَروب، هي التي تَتَنعَّم لزوجها، وتؤانسه.

(٧) نساء أبكار:

كما في قوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[3]، أي: لم يطأهن ولم يجامعهن إنسٌ ولا جانٌّ قبل أزواجهن.

(٨) صافيات الجلد كاللؤلؤ:

كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[4].

أي: في صفاء الياقوت وفي بياض المَرجان، لدرجة أنَّ النَّاظر إليها يرى عَظم ساقها من وراء جلدها.

قال ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدرِ، وَالَّذِينَ**

---

(١) سورة النبأ: الآيات: (٣١-٣٣).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٣٧).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٥٦).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٥٨).

عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحمِهَا مِنَ الحُسْنِ»(١).

زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الجنة إذا كانت مؤمنة

فإن المؤمن إذا أنعم الله عليه بدخول الجنة فإن كانت زوجته صالحة فإنها تكون زوجته فى الجنة أيضًا.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾(٢).

وهم فى الجنات مُنعَّمون مع الأزواج، يتكئون فى ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾(٣) ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾(٤).

المرأة لآخر أزواجها

فإذا كانت المرأة مؤمنة وستدخل الجنة... وكانت فى الحياة الدنيا قد تزوجت أكثر من مرة وكل أزواجها من أهل الإيمان والتوحيد فإنها تكون فى الجنة لآخر أزواجها.

وقد ورد ذلك عن بعض أصحاب النبى ﷺ

عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه أم الدرداء، فأبت أن تتزوجه، وقالت: سمعت أن أبا الدرداء يقول: قال رسول

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٣).

(٣) سورة يس: الآية: (٥٦).

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٧٠).

الله ﷺ: «**المرأة في آخر أزواجها، أو قال: لآخر أزواجها**»(١).

۞ وورد أيضًا أن حذيفة قال لزوجته: «إن شئتِ أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا».

۞ بل ورد أيضًا «أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: يا بُنية اصبري، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة».

۞ ولذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن يتزوجن من بعده لأنهن أمهات المؤمنين ولأنهن أزواج النبي ﷺ في الآخرة.

من ماتت بكراً ولم تتزوج .. هل تتزوج في الجنة؟

ومقصود الحديث هنا المرأة التي ماتت وليس لها زوج قبل موتها.

وهذا يشمل البكر التي لم تتزوج أصلًا وكذلك التي تزوجت وطُلقت إلى أن ماتت.

فكما ماتت هؤلاء النسوة من دون أزواج، فقد مات من الرجال من لم يتزوج أو تزوج وطلق وظل بلا زوجة حتى مات، فالله تعالى يزوج الجميع في الجنة، فليس في الجنة أعزب لا من الرجال ولا من النساء لقوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «... **ولكل امرئٍ منهم زوجتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠٤)، (٦٦٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

غناء الحور العين

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾[1].

عن يحيى بن أبى كثير فى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ قال الحبرة: اللذة والسماع.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ لَيُغَنِّينَ فِي الْجَنَّةِ، يَقُلْنَ: نَحْنُ الحُورُ الحِسانُ خُبِّئْنا لأزواجٍ كِرامٍ**»[2].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ .... إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانْ. أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامْ. يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانْ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ. نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ. نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ**»[3].

۞ وعن أبى أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ ثِنْتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُغَنِّيَانِ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ يَسْمَعُهُ الإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَيْسَ بِمِزْمَارِ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَتَقْدِيسِهِ**»[4].

---

(١) سورة الروم: الآية: (١٥).

(٢) رواه سمويه عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٢).

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والضياء فى صفة الجنة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٦١).

(٤) قال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء (٣٠١١): رواه الطبرانى بإسناد حسن.

وعن أبى هريرة قال: «إن فى الجنة نهرًا بطول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما يرون فى الجنة لذة مثلها، فقلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عَزَّوَجَلَّ».

وعن ابن عباس قال: «فى الجنة شجرة على ساقٍ قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا».

۞ ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب (جل جلاله) وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك.

الحور العين تطلبك من الله (عَزَّوَجَلَّ)

قال ﷺ: « **لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا ؛ إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا** »[1].

والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عَزَّوَجَلَّ بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذى أخبر عنه الحق (جل وعلا) بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[2]... فالنُّزُل هو ما أُعِدَّ للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو

(١) رواه أحمد والترمذى عن معاذ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٩٢).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ... ثم يُكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة... والله أعلم.

وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيقٍ له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم .. فصبر عليه رفيقه ذاهبًا وجائيًا، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخى أخبرنى ما الذى هيَّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت فى النوم قصرًا من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنَّت، فقالت: جِدَّ إلى الله فى طلبى، فقد والله جددت إليه فى طلبك ... فهذا الذى تراه فى طلبها.

قال أبو سليمان: هذا فى طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟ ![1].

فلا تعلم نفسٌ ما أُخفى لهم من قرة أعين

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[3].

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٣٦٦).

(٢) سورة السجدة: الآيتان: (١٦، ١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة.

مصداق ذلك في كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وعن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنُّجُبِ، وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْا إِلَى الْجَنَّةِ بِخَيْلٍ مُسَرَّجَةٍ مُلَجَّمَةٍ لا تَرُوثُ وَلا تَبُولُ، فَيَرْكَبُونَهَا حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ. فَيَأْتِيهِمْ مِثْلُ السَّحَابَةِ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ فَيَقُولُونَ: أَمْطِرِي عَلَيْنَا فَمَا يَزَالُ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ فَوْقَ أَمَانِيِّهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ فَتَنْسِفُ كُثْبَانًا مِنْ الْمِسْكِ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ الْمِسْكَ فِي نَوَاصِي خُيُولِهِمْ وَفِي مَفَارِقِهَا وَفِي رُءُوسِهِمْ وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جُمَّةٌ: عَلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، فَيَتَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمِسْكُ فِي تِلْكَ الْجُمَّاتِ وَفِي الْخَيْلِ وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الثِّيَابِ، ثُمَّ يُقْبِلُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى مَا شَاءَ اللهُ، فَإِذَا الْمَرْأَةُ تُنَادِي بَعْضَ أُولَئِكَ يَا عَبْدَ اللهِ أَمَا لَك فِينَا حَاجَةٌ؟ فَيَقُولُ: مَا أَنْتِ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا زَوْجَتُك وَحِبُّك، فَيَقُولُ: مَا كُنْت عَلِمْت بِمَكَانِك، فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: أَوَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي فَلَعَلَّهُ يَشْتَغِلُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، لا يَلْتَفِتُ وَلا يَعُودُ، مَا شَغَلَهُ عَنْهَا إِلَّا مَا هُوَ فِيهِ مِنْ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ»(١).

استقبال الحور العين لأزواجهن

عن يحيى بن أبي كثير قال: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط،

(١) حسنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية للترمذي برقم (٢٠٥).

والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت... بأحسن أصوات سُمعت وتقول: أنت حبى وأنا حبك وليس دونك تقصير ولا وراء ك معدل».

وعن ابن عباس قال: «كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: لو أن يدًا من الحور دُلِّيت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!».

وقال عطاء السُّلَمى لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوِّقنا، قال: يا عطاء إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حُسنها، فلم يزل عطاء كَمِدًا من قول مالك».

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام».

وعن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض».

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: «إذا سبَّحت المرأة من الحور العين لم يبقَ شجرة فى الجنة إلا ردَّت».

أطفال المؤمنين في الجنة

إن من كمال رحمة الله (جلَّ وعلا) أنَّه لا يُحاسب أحدًا من عباده إلَّا إذا بلغ سنَّ التَّكليف .. أما من مات صغيرًا ولم يبلغ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُدخله الجنة بلا حساب ولا عقاب لأنه ما زال على الفطرة التي قال عنها النبي ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[١].

۞ فأطفال المؤمنين الذين ماتوا قبل أن يبلغوا فهم في الجنة .. بل ويكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بأن يُلحقهم بآبائهم وأمهاتهم في الجنة لتكتمل سعادتهم جميعًا باجتماعهم في الجنة.

وأين أطفال المؤمنين

قال ﷺ: «**أطفال المؤمنين فى جبلٍ من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة**»[٢].

أى: حتى يجمع الله بينهم وبين آبائهم فى الجنة لتكتمل فرحتهم وسعادتهم فى جنة الرحمن (جل وعلا)...

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[٣].

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٥٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦)، وأخرجه الحاكم (١/ ٥٤١)، والبيهقى فى البعث (ص ١٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٣) سورة الطور: الآية: (٢١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**» ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين» - الأبناء -.

واستدل على بن أبى طالب بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١] على أن أطفال المؤمنين فى الجنة، لأنهم لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم[٢].

وقد عقد البخارى فى صحيحه بابًا عَنْوَن له بقوله: «باب فضل من مات له ولد فاحتسب». وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**ما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»[٣]. وحديث أبى سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبى ﷺ: اجعل لنا يومًا، فوعظهن، وقال: «**أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابًا من النار**». قالت امرأة: واثنان؟ قال: «**واثنان**»[٤].

۞ بل إن الجنين الذي يسقط من بطن أمه ينفع والديه يوم القيامة.

«**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ وَالِدَيْهِمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ**» قَالُوا: وَاثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَيْنِ**» قَالُوا: وَوَاحِدٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَوَاحِدٌ**» ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّ: «**السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ**»[٥].

---

(١) سورة المدثر: الآية: (٣٨).

(٢) التذكرة للقرطبى (ص: ٥١١)، وعزاه إلى أبى عمر فى التمهيد والاستذكار وأبى عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٢٤٨) كتاب الجنائز.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٦٤).

والسَّقط هو الجنين الذي يسقط من بطن أمه ميِّتًا، قبل ولادته، فيسقط في الشهر الخامس مثلًا أو السَّادس أو بعدها .. فمن فضل الله تعالى ورحمته بالأم التي حزنت لسقوط جنينها أن يجر أمه بسَرَرِه يسوقها إلى الجنة.

يا له من نعيم

قال ﷺ: «لَقَيْدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»(١).

وقال ﷺ: «لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ»(٢).

وقال ﷺ: « لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ »(٣).

كيف يعرف أهل الجنة منازلهم؟

إن الإنسان إذا ما ذهب لزيارة إخوانه فى الدنيا أو أقاربه، فقد لا يتمكن من الوصول إليه وقد لا يعرف بيته.

أما فى الجنة فإن الذى يُعرفك بيتك هو الله (جل وعلا)... قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(٤).

بل قال ﷺ: «.... فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلُّ

---

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٥٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) رواه أحمد والترمذى عن سعد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥١).

(٤) سورة محمد: الآية: (٦).

منه بمسكنه كان فى الدنيا»[١].

قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يُخطئون كأنهم سَاكِنوها منذ خُلقوا لا يستدلون عليها أحدًا.

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: «هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»... هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: عرَّفها أى بيَّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

بناء الجنة

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا، قَالَ: **«لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ فَلَا يَبْأَس وَيَخْلُد لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُه»**[٢].

فحجارة الجنة المبنية بها القصور من ذهب وفضة، ومِلاطها وهو الطين الذي يُطلى به الحائط، هو المِسك: أي: طينها المسك، وترابها من الزَّعْفَرَان فإذا عُجِن بالماء الطيب صار مِسكًا[٣].

وَحَصباؤها: أي: الحصى الذي فوق أرضها اللؤلؤ.

غُرف الجنة وقصورها

قال تعالى عن عباد الرحمن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١١٦).

(٣) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (ص ١٢٨).

وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[(٥)].

۞ قال ابن القيم: فأخبر أنها غُرفٌ فوق غُرفٍ وأنَّها مبنية بناءً حقيقةً؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيلٌ، وأنه ليس هناك بناءٌ، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي، بعضُها فوق بعض، حتى كأنَّها يُنظر إليها عيانًا.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(٧)].

وقال تعالى عن امرأة فرعون: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾[(٨)].

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٥).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٢٠).

(٦) سورة سبأ: الآية: (٣٧).

(٧) سورة الصف: الآية: (١٢).

(٨) سورة التحريم: الآية: (١١).

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: **أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام**»(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «**إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا**»(٢).

فالله تعالى أعدَّ في الجنة غُرفًا شفَّافة لا تحجب ما خلفها وهيَّأها لمن حَسُنَ خُلقه وتلَطَّف في كلامه مع الناس وألان لهم الكلام ...ومن لين الكلام مع الآخرين: التَّرفُّق بالناس، والتغافل عن زَلَّاتهم، ودفع السيئة بالحسنة.

وكذلك مَن أطعم الطعام، بالكرم التام للخاص والعام، للفقراء والأضياف.

وزاد على ذلك أن كان عابدًا قانتًا في الليل يناجي ربه والناس نيام، وهذا دليل إخلاصهم في عباداتهم لله تعالى وصدق محبتهم له(٣).

خيام الجنة

إذا تنوعت المساكن، كان أنعمَ للسَّاكن .. فمن بيوتٍ من ذهب .. وقصورٍ من فضة .. إلى خيامٍ منصوبة في كلِّ مكان .. فإن شئت نزلت بها على نهر العسل .. أو نصبتها عند نهر الخمر .. معك أهلك وأحبابك..

---

(١) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة.

(٣) العالم الأخير (ص ٤٧٧).

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[١].

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[٢].

وفى لفظ لمسلم: «**فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤْمِنُ**».

وللبخارى وحده لفظ «**طُولُهَا ثَلَاثُونَ مِيلًا**» وهذه الخيم غير الغُرف والقصور ... بل خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

قال ﷺ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[٣].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرَاهُمْ غَيْرُهُمْ**».

والخَيمة هي بيتٌ مُربع من بيوت الأعراب، يُبنى عادة في الدنيا من القماش ونحوه ... وقد ذكر الله تعالى الخيام فقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[٤].

لكن خيام الجنة تختلف، فلكل مؤمن خيمة من لؤلؤة واحدة مُجوَّفة،

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة.

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

أي: مثقوبة ومُفرَّغة من الدَّاخل، حتى أصبحت مثل الخيمة يدخل تحتها الناس، وهي لؤلؤة عظيمة الحجم، شاهقة الارتفاع، فطولها ستون ميلًا في السماء فيها زوايا يطوف المؤمن على أهل له في كل زاوية لا يرى الأهل بعضهم بعضًا، فالزوجات لا يرى بعضهن بعضًا لِسَعَة الأماكن في الخيمة، والله على كل شيء قدير.

وفي هذه الغرف والخيام، لابد أن يوجد أثاث وسُرُر وأَرائك، فما هو وصفها؟

سُرُر الجنة وأرائكها

الجنة في جمال أثاثها، وتكامُل متاعها، واسعة الأركان، مُرضية للنفس والجَنان ... وصف ربنا أثاثها فأحسن وصفها، ومدحها فأبلغ في مدحها، وأثنى أجمل الثناء عليها، وشوَّق النفوس إليها.

قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(١).

والنَّمارِق: هي الوسائد، وهي مُلقاة في كل موضع يجلس عليها المؤمن ويضطجع ... والزَّرابيّ: هي البُسُط التي تُفرش على الأرض، فتزيد المكان بهجة وجمالًا.

وتأمل كيف وصف الله تعالى السُّرر والفُرش بأنَّها مرفوعة، والزَّرابيّ بأنَّها مَبثوثة، والنَّمارق بأنَّها مصفوفة.

فرفع الفُرش دالٌّ على سُمكها ولينها ونظَر المضطجع عليها إلى ما حوله.

---

(١) سورة الغاشية: الآيات: (١٣-١٦).

وبثُّ الزَّرابيّ: دالٌّ على كثرتها وانتشارها في كل موضع، فيجلس على البُسُط في كل موضع.

وَصَفُّ النَّمارق والوسائد: دالٌّ على أنها مُهيأة للاستناد إليها والجلوس عليها في كل وقت دائمًا، وأنَّها ليست مُخبأة تُصفُّ في وقتٍ دون وقت(١).

الشهيد .. وخير منزل

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! خَيْرَ مَنْزِلٍ فَيَقُولُ: سَلْ وتَمَنَّ، فيقول: يَا ربِّ مَا أَسْأَلُ وَلاَ أَتَمَنَّى إِلاَّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مِرَارٍ ... لِمَا يرى من فضلِ الشَّهادة ... ويُؤتَى بالرجل مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! شَرَّ مَنْزِلٍ فَيَقُولُ لَهُ: أَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطِلاَعِ الأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! نَعَمْ فَيَقُولُ: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ فَيُرَدُّ إِلَى النَّارِ »(٢).

الشهيد فى خيمة الله تحت عرشه

عن عتبة بن عبد السلمى، قال: قال رسول الله ﷺ: « الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ، قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ »، قال النبى ﷺ فيه: « فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَمُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ »(٣)... الحديث.

(١) حادى الأرواح لابن القيم (ص ١٩٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٧٧) كتاب الإمارة.

(٣) حسن: رواه أحمد، والطبرانى، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٣٧٠).

فُرش أهل الجنة

أُعدت قصور الجنة، وأماكن الجلوس في حدائقها وبساتينها بألوان فاخرة رائعة من الفُرش للجلوس والاتكاء ونحو ذلك، فالسرر كثيرة راقية والفرش عظيمة القدر بطائنها من الإستبرق، فما بالك بظاهرها، وهناك ترى النمارق مصفوفة علىَ نحوٍ يَسُر الخاطر، ويبهج النفس، والزرابى مبثوثة على شكل منسق متكامل، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(١).

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾(٢)، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾(٣)، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾(٤).

واتكاؤهم عليها على هذا النحو نوع من النعيم الذى يتمتع به أهل الجنة حين يجتمعون... كما أخبر الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٥)، وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾(٦)، ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾(٧).

والمراد بالنمارق: المخاد - والوسائد: المساند - والزرابى: البُسط،

---

(١) سورة الغاشية: الآيات: (١٣-١٦).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٥٤).

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٠).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (١٣-١٦).

(٥) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٦) سورة الرحمن: الآية: (٧٦).

(٧) سورة الكهف: الآية: (٣١).

والعبقرى: البسط الجياد - والرفرف: رياض الجنة. وقيل: نوع من الثياب، والأرائك: السرر (١).

۞ وقال ابن القيم: وصف الفُرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجَمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل على أنها فُرش عالية لها سُمك وحشو بين البطانة والظهارة، وأما البُسط والزَّرابي فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴾ (٣) (٤).

---

(١) الجنة والنار (ص:٢٢٩).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٧٦).

(٣) سورة الغاشية: الآيات: (١٣-١٦).

(٤) حادي الأرواح (١٩٥-١٩٦) بتصرف.

طوبى لك منزل الملوك

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله تبارك وتعالى الجنة لَبِنةً من ذهبٍ، ولبنةً من فضةٍ، وملاطها المسك، وقال لها: تكلَّمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقالت الملائكة: طوبى لكِ منزل الملوك**»(١).

أخى الحبيب: اصبر على البلاء وارضَ بالقضاء فسوف تكون ملكًا فى الجنة.... فاصبر أيها الملك.

أنهار الجنة

لقد أخبرنا الحق (جل وعلا) بأن الجنة تجرى من تحتها الأنهار فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٢) وأحيانًا يقول: تجرى من تحتهم الأنهار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾(٤).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مُكثه، وآفة

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، والبزار، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٦٦٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٣١).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٥).

اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها. وآفة العسل عدم تصفيته(١).

۞ وهذا من آيات الله أن تجري أنهار من أجناس لم تجرِ العادة في الدُّنيا بجَرَيانها.

والأعجب من ذلك أنَّ هذه الأنهار تجري في غير أُخْدود ولا حَوض يضُمُّها عن جانبيها، إضافة إلى تطهيرها من جميع الآفات التي تمنع كمال اللَّذَّة.

كما نفى عن خمر الجنة جميع الآفات التي في خمر الدنيا من الصُّداع والغَوْل واللغو والإِنْزاف وعدم اللذة.

أما خمر الدنيا فرجسٌ من عمل الشيطان، تُوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزِّنا والفجور، وتُذْهب الغَيرة، وهي أم الخبائث ومنها يولد كل خبيث وقبيح، فنزَّه الله عَزَّوَجَلَّ خمر الجنة عن كل هذا(٢).

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، (الماء) وهذا لقوتهم وغذائهم (اللبن) وهذا للذتهم وسرورهم (الخمر) وهذا لشفائهم ومنفعتهم (العسل) والله أعلم.

من أين تتفجر الأنهار؟

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها.

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٩٢).

(٢) العالم الأخير (ص ٤٩٩).

كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[(١)(٢)].

أربعة أنهار في الدنيا من أنهار الجنة

۞ بل لقد حدثنا النبى ﷺ عن أنهار الجنة حديثًا واضحًا فقال ﷺ: «رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ: فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ »[(٣)].

قال ﷺ: « سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ »[(٤)].

وقال ﷺ: « فُجِّرَتْ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ: الْفُرَاتُ، وَالنِّيلُ، وَسَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ »[(٥)].

كيف تكون هذه الأنهار في الجنة وهي الآن في الدنيا؟

«ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافى الحديث ما هو معلوم مُشاهَد من أن هذه

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) مختصر حادى الأرواح (ص: ٩٢-٩٤) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٩٦).

الأنهار تنبع من منابعها المعروفة فى الأرض، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التى يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها»(١).

وقال القارى: «إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة، لما فيها من العذوبة والهضم، ولتضمنها البركة الإلهية، وتشرُّفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها»(٢).

الكوثر .. أعظم أنهار الجنة

ومن أنهار الجنة الكوثر الذى أعطاه الله لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾(٣)، وقد رآه الرسول ﷺ وحدثنا عنه.. ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «**بينما أنا أسير فى الجنة، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدُّر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فإذا طِيبه - أو طِينه - مسكٌ أذفر**»(٤).

وقد فسر ابن عباس الكوثر بالخير الكثير الذى أعطاه الله لرسوله ﷺ، فقال أبو بشر لسعيد بن جبير راوى هذا التفسير عن ابن عباس: إن أُناسًا يزعمون أنه نهر فى الجنة، فقال سعيد: النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه.

وقد جمع الحافظ ابن كثير الأحاديث التى أخبر الرسول ﷺ فيها عن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٨).

(٢) نقله عنه الشيخ ناصر فى تعليقه على مشكاة المصابيح: (٣/ ٨٠).

(٣) سورة الكوثر: الآية: (١).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

الكوثر، فمن هذه الأحاديث ما رواه مسلم فى صحيحه عن أنس، أن الرسول ﷺ حين أُنزلت عليه ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[١] قال: «**أتدرون ما الكوثر؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **هو نهر وعدنيه الله** عَزَّوَجَلَّ**، عليه خير كثير**»[٢].

وساق حديث أنس عند أحمد فى مسنده عن الرسول ﷺ قال: «**أُعطيت الكوثر، فإذا نهر يجرى على ظهر الأرض، حافتاه قباب اللؤلؤ، ليس مسقوفًا، فضربت بيدى إلى تربته، فإذا تربته مسك أذفر وحصباؤه اللؤلؤ**».

وفى رواية أخرى فى المسند عن أنس يرفعه: «**هو نهر أعطانيه الله فى الجنة، ترابه مسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، تَرِده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور**»[٣].

في الكوثر طيور أعناقها كأعناق الجُزُر[٤]

تحوم حول نهر الكوثر، طيور، تُزيِّن منظره، وتُسلِّي مَن حوله، وهي طيور جميلة المنظر، كبيرة المظهر ... عُنق الواحد منها كعنق الجَزُور وهو البعير ... كما قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا الكَوْثَرُ؟ قَالَ: «**ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ** - يَعْنِي فِي الجَنَّةِ - **أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ**» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»[٥].

---

(١) سورة الكوثر: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٣٦).

(٤) الجُزُر: جمع جَزُور، وهو البعير الحيوان المعروف، ويسمى أيضًا: الجمل.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٥١٤).

فما أجمل الوصف هنا! فهي طيرٌ عِظام كأعناق الإبل، سِمان لذيذة الطعم ... فلما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّها ناعمة أي متنعِّم من يأكلها، فأخبره ﷺ أن أَكَلتها - وهم جمع آكِل أي: الذين يأكلونها - أكثر تنعُّمًا منها ... فأهل الجنَّة الذين يأكلونها متنعِّمون حول النهر في خيام اللؤلؤ.

ونهر الكوثر كما أن حوله قِباب اللؤلؤ المُجَوَّف، كذلك حوله خيام اللؤلؤ، زيادة في النعيم.

كما قال ﷺ: **«دَخَلْتُ الجَنَّةَ فإذا أَنا بِنَهْرٍ حافَتاهُ خيامُ اللُّؤلُؤ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلى مَا يَجْرِي فِيهِ المَاءُ، فإذا مِسْكٌ أذْفَرُ. فَقُلْتُ: مَا هَذا يَا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَذا الكَوْثَرُ الذِي أعْطاكَهُ الله»**[١].

وهذا الكوثر يشرب منه النبي ﷺ ويتنعَّم، وتتنعم معه أمته.

نسأل الله تعالى أن نلتقي جميعًا على ضِفافه .. آمين.[٢].

ومن الأنهار .. نهر بارق

وأخبرنا الرسول ﷺ عن نهرٍ يُسمَّى بارق يكون على باب الجنة، ويكون الشهداء فى البرزخ عند هذا النهر.

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: **« الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ - نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا »**[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

(٢) العالم الأخير (ص ٥٠٤-٥٠٥).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) وابن جرير فى تفسيره (٤/ ١٧٢)، والطبرانى (١٠/ ٣٣٣)، وابن حبان (١٠/ ٥١٥)، والحاكم (٢/ ٨٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٤٢).

عيون الجنة

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[١]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾[٢].

وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[٣] وقال في وصف الجنتين اللتين دونهما ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٤].

۞ عن سعيد قال: «نضّاختان بالماء والفواكه». وعن أنس قال: «نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا». وعن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين.

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءهما صرفًا غير مخلوط، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطًا ممزوجًا بغيره.

العين الأولى: عين الكافور قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٥]. فقد أخبر أن الأبرار يشربون - شرابهم ممزوجًا من عين الكافور، بينما عباد الله يشربونها خالصًا.

العين الثانية: عين التسنيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٥).

(٢) سورة المرسلات: الآية: (٤١).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٥٠).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٦٦).

(٥) سورة الإنسان: الآيتان: (٥-٦).

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور فى أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين. ومجىء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر... وما ألطف موقع ذكر الكافور من أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن شرابهم مُزج أولًا بالكافور. وفيه من البرد ما يجىء الزنجبيل بعده فيعدله[2].

ومن عيون الجنة عين تسمى السلسبيل، قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾[3].

ولعل هذه هى العين الأولى نفسها.

مطر أهل الجنة

إن المطر كان فى الدنيا يأتي إما للرحمة وللحياة، وإما للعذاب والموت. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ

(١) سورة المطففين: الآيات: (٢٢-٢٨).

(٢) مختصر حادى الأرواح (ص: ٩٥-٩٦) بتصرف.

(٣) سورة الإنسان: الآيتان: (١٧-١٨).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٣٠).

أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وقال تعالى عن عقاب الأمم الكافرة بالماء والمطر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٥).

أما فى الجنة فإن السحابة تمر فوق رءوس المؤمنين، فيأمرها المؤمن أن تُمطر عليه ما شاء من النعيم واللذة والطعام والشراب.

فعن خالد بن معدان، عن كثير بن مُرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ماذا تريدون أن أُمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا أُمطروا» قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزينات»(٦).

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٧).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٧٤).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٤٠).

(٤) سورة النمل: الآية: (٨٥).

(٥) سورة الأحقاف: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٦) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٢٣).

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السحاب وما يمطره سببًا للرحمة والحياة فى هذه الدار ويجعله سببًا لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحًا متداركًا من تحت العرش، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويُبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم - أى: تُمطر مطرًا خفيفًا.

وكأنه - والله أعلم - أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا، ويثير لهم سحابًا فى الجنة يمطرهم، ما شاؤوا من طيب وغيره، وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابًا يمطر عليهم عذابًا إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابًا أمطر عليهم عذابًا أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

ريح الجنة

إن للجنة رائحة عطرة زكية لا يستطيع أهل الدنيا وصف جمالها وتلك الرائحة قد يشمها المؤمن من مسيرة أربعين عامًا أو سبعين عامًا أو مائة عامٍ أو خمسمائة عام... بل قد يشم رائحتها وهو ما زال حيًّا فى الدنيا.

۞ لما ماتت ليلى وعَلِمَ قيس بموتها أخذ يجرى كالمجنون ليبحث عن قبرها فظل يشم القبور قبرًا قبرًا حتى عرف قبرها من ريحها فأخذ يبكى عند قبرها.

۞ بل لما عرف يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إخوته فى أرض مصر وأرسل معهم قميصه ليُلقوه على وجه أبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليعود بصيرًا بعد أن فقد عينيه من شدة الحزن لفراق يوسف.

فما إن خرج إخوته من أرض مصر حتى شم يعقوب رائحة قميص يوسف وهو فى شمال فلسطين... وذلك لشدة شوقه لابنه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فما ظنك بمن يشتاق إلى الجنة... فعلى قدر شوقك تشم رائحتها من على بُعد... حتى يصل بك الشوق إلى أن تشم رائحتها وأنت ما زلت فى هذه الحياة الدنيا.

قال ﷺ: «**من قتل رجلًا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**»(١).

۞ ونحن نعلم جميعًا كيف كان بعض أصحاب الرسول ﷺ يجدون ريح الجنة وهم فى أرض الشرف والجهاد.

فها هو أنس بن النضر رضي الله عنه يقول لسعد بن معاذ رضي الله عنه: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أُحد(٢).

- بل وهذا سعد بن الربيع رضي الله عنه يقول لزيد بن ثابت رضي الله عنه لما أرسله إليه النبى ﷺ بعد غزوة أُحد فوجده فى الرمق الأخير فقال له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**أخبرنى كيف تجدك؟**» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته(٣).

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد، وريح يُدرَك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قُرب ومن بُعد، وأما فى الدنيا

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٤٧٤٩) كتاب القسامة، وأحمد (٤/ ٢٣٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٤٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٠٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمارة.

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه ووافقه الذهبى.

فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم(١).

جاء في رواية أن ريح الجنة يوجد من مسيرة سبعين سنة.

وفي بعضها: من مسيرة خمسمائة سنة .. فكيف نجمع بينهما؟

ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الفتح» شرح حديث (٦٩١٤): الاختلاف الشديد فى القدر الذى تدرك منه رائحة الجنة وذكر أنه ورد فى أحاديث أربعين عامًا، وسبعين، ومائة عام، وخمسمائة عام وألف عام وقال: وهذا اختلاف شديد ثم قال بعد ذلك: والذى يظهر لى فى الجمع أن يقال: إن الأربعين أقل زمن يدرك به ريح الجنة من فى الموقف والسبعين فوق ذلك أو ذكر للمبالغة، والخمسمائة ثم الألف أكثر من ذلك، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص، والأعمال، فمن أدرك من المسافة البعدى أفضل ممن أدركه من المسافة القربى وبين ذلك، وقد أشار شيخنا فى «شرح الترمذى» فقال: الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم، ثم رأيت نحوه فى كلام ابن العربى فقال: ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولا عادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارة من مسيرة خمسمائة.

ريح الشمال

وهي تلك الريح الذي تكون في سوق الجنة .. والتي تأتي على وجوه أهل الجنة فتزيدهم حُسنًا وجمالًا.

(١) مختصر حادى الأرواح (ص:٨٥).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»(١).

من الذين لا يشمون رائحة الجنة

❁ هناك أُناسٌ سيُحرَمون يوم القيامة من شمِّ رائحة الجنة .. ومن بين هؤلاء:

الذين يضربون الناس ظُلمًا وعدوانًا .. والنساء المتبرجات .. والذي يقتل رجلًا معاهدًا أو يظلمه .. والذي يقتل رجلًا من أهل الذمة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لَمْ يَجِد رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣١٦٦) كتاب الجزية.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٨).

تُربة الجنة

قال ﷺ: «أرض الجنة خُبزة بيضاء»(١).

وعن أبى هريرة قال: قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقَّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكُفِّهم ولزارتكم فى بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه...»(٢).

وعن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «.... ثم أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»(٣).

وهو قطعة من حديث المعراج.

فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران. ويحتمل معنيين آخرين.

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عُجن بالماء صار مسكًا،

---

(١) صحيح: أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٣/ ١٠٩٩، رقم ٥٩٧)، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٩٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٣) كتاب الإيمان.

والطين يُسمى ترابًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون مسكًا باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك[1].

أشجار الجنة وثمارها وبساتينها

وُصفت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعناب والنخيل والرمان، حيث الجمال الرائع والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الثمار ... وقد حَفَل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢)﴾[2].

وإلى جانب هذه الحدائق والأعناب هناك فاكهة كثيرة متنوعة ومنها ثمر النخيل والرمان ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[3] كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا، فإنه كثير الأشواك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح[4] المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وأنه متراكم الثمر[5]....وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ

---

(١) مختصر حادى الأرواح (ص: ٧٦ : ٧٧).

(٢) سورة النبأ: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٦٨).

(٤) الطلح: الموز: واحدتها طلحة.

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٣).

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[١].

وفواكه الجنة لا تُحجب عن مؤمنٍ فضلًا عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعو ليجد بُغيته أمامه ... قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[٢]، وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٤].

وأشجار الجنة دائمة العطاء، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقتٍ دون وقت، وفصلٍ دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح[٥]، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[٦].

وقال سبحانه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٧].

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مُذللة ينالها أهل الجنة بيُسرٍ وسهولةٍ[٨].

(١) سورة الواقعة: الآيات: (٢٧-٣٣).

(٢) سورة ص: الآية: (٥١).

(٣) سورة الواقعة: الآية: (٢٠).

(٤) سورة المرسلات: الآيات: (٤١-٤٣).

(٥) الحياة في القرآن الكريم (٢/ ٦٤٦).

(٦) سورة الرعد: الآية: (٣٥).

(٧) سورة الواقعة: الآيتان: (٣٢، ٣٣).

(٨) الحياة في القرآن الكريم (٢/ ٦٤٦) - (نقلًا عن الإيمان باليوم الآخر).

- قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ (١).

- وقال عز وجل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ (٢).

- وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (٣).

- وقال تعالى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (٤).

وصف بعض شجر الجنة

ولقد وصف لنا النبى ﷺ بعض أشجار الجنة وصفًا يجعل القلب يكاد أن يطير شوقًا إلى الجنة... وإليك بعض ما قاله النبى ﷺ فى وصف تلك الأشجار.

(١) ما من شجرة إلا وساقها من ذهب:

فلقد أخبرنا النبى ﷺ أن كل أشجار الجنة سيقانها من الذهب.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»(٥).

وعن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زُمرد أخضر، وكرفها

---

(١) سورة الرحمن: الآيات: (٤٦-٤٨).

(٢) سورة الرحمن: الآيات: (٦٢-٦٤).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٥٤).

(٤) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٢٤) كتاب صفة الجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٤٧).

ذهب أحمر، وسعفها كسوة الجنة منها مقطعاتهم وحُللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم».

(٢) هناك شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام:

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يخبر بأن فى الجنة شجرة يسير الرجل الذى يركب فرسًا سريعًا من خيول السباق مائة عام بأقصى سرعة فلا يستطيع أن يخرج من ظلها.

ففى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «**إن فى الجنة لشجرة**[١] **يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها**»[٢].

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**[٣]»[٤].

ورواه مسلم عن أبى هريرة وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها**»[٥].

(٣) شجرة طوبى:

وها هو ﷺ يصف لنا شجرة عظيمة يُصنع منها ثياب أهل الجنة.

---

(١) فى صحيح مسلم: شجرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الواقعة: الآية: (٣٠).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٢٥٣) كتاب بدء الخلق.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٦، ٢٨٢٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

عن أبى سعيد الخدرى، أن رجلًا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: «**طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى**» فقال رجل: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: «**شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»(١).

وعن أبى هريرة(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**»(٣).

وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٤).

وقد دل على أن ثياب أهل الجنة تشقق عنها ثمار الجنة - الحديث الذى يرويه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقًا تُخلق، أم نسجًا تُنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**ومم تضحكون، مِنْ جاهل سأل عالمًا؟**» ثم أكبَّ رسول الله ﷺ، ثم قال: أين السائل؟ قال: هو ذا أنا يا رسول الله، قال: «**لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة... ثلاث مرات**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة.

(٣) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٥) رواه أحمد، والبزار، والطيالسى، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) سدرة المنتهى :

وهذه الشجرة ذكرها الحق فى محكم التنزيل، وأخبر الحق أن رسولنا محمدًا ﷺ رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها عندها، وأن هذه الشجرة عند جنة المأوى، كما أعلمنا أنه قد غشيها ما غشيها مما لا يعلمه إلا الله عندما رآها الرسول ﷺ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[١].

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن هذه الشجرة بشىء مما رآه، **«ثم رُفعت لى سدرة المنتهى، فإذا نبقُها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: (أى جبريل) هذه سدرة المنتهى... وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»**[٢].

وفى الصحيحين أيضًا: **«ثم انطلق بى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، ونبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، تكاد الورقة تغطى هذه الأمة. فغشيها ألوان لا أدرى ما هى، ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»**[٣].

(٥) سيد ريحان الجنة :

أخبرنا الله أن فى الجنة ريحانًا ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[٤]، وأخبرنا الرسول ﷺ أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء..

---

(١) سورة النجم: الآيات: (١٣-١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٣) كتاب الجنة.

(٤) سورة الواقعة: الآيتان: (٨٨-٨٩).

فقال ﷺ: «سيد ريحان أهل الجنة الحناء»(١).

ألا تريد نخلاً حول بيتك في الجنة؟

أخى الحبيب: ألا تريد أن تزين بيتك فى الجنة بالنخيل من حوله؟!... وإن كان بيتك - والله - ليس فى حاجة إلى تزيين؛ لأن الذى أنشأ الجنة وغرس كرامتها هو الله (جل وعلا).

ولكن إن أردت المزيد فعليك بغراس الجنة.

قال ﷺ: **« مَنْ قالَ: سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ »**(٢).

وقال ﷺ: **«لقيتُ إبراهيم ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ »**(٣).

وقال ﷺ: **« أَكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِهَا لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »**(٤).

أعمار أهل الجنة

إن أهل الجنة يدخلون الجنة وهم فى ريعان الشباب حتى وإن كانوا فى

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٧٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى وابن حبان والحاكم عن جابر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٩).

(٣) رواه الترمذى عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١٣).

الدنيا شيوخًا كبارًا أو نساءًا عجائز فإن الله يردهم إلى سن الشباب.

ومن جمال صورتهم أنهم يكونون جُردًا مُردًا كأنهم مُكحَّلون، وكلهم يدخل الجنة فى عمر القوة والفتوة والشباب أبناء ثلاثٍ وثلاثين.

عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة جُردًا مُردًا، كأنهم مُكحَّلون، أبناء ثلاثٍ وثلاثين**»(١).

فأهل الجنة جُردٌ: وهو جمع أَجْرَد وهو صافي البشرة الذي نُزع عنه الشعر.

وهم مُردٌ: وهو جمع أمْرَد، والمَرَد نقاء الخَدَّين من الشَّعر، وجمال الخدين وصفاؤهما.

ويدخلون الجنة مُكحلين: والكُحل معروف، وهو لون أسود يوضع في أسفل العين لتزيينها.

طول المؤمن في الجنة

يدخل أهل الجنة الجنة على أكمل صورة وأجملها، على صورة أبيهم آدم عليه السلام، فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التى خلق الله عليها أبا البشر آدم، فقد خلقه الله تعالى بيده فأتمَّ خلقه، وأحسن تصويره، وكل من يدخل الجنة على صورة آدم وخلقته، وقد خلقه الله طوالًا كالنخلة السَّحوق، طوله فى السماء ستون ذراعًا.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستُون ذراعًا، فلما خلقه؛ قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر** -

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٤٥) كتاب صفة الجنة، وأحمد (٢/ ٢٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٧٢).

وهم نفر من الملائكة جلوس-، فاستمع ما يجيبونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك قال: فذهب، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله».
قال: فزادوه: ورحمة الله». قال: فكلُّ من يدخل الجنة على صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن[1].

ثياب أهل الجنة

إن أهل الجنة يلبسون أفخر أنواع الثياب التى لا تخطر على قلب بشر ويتزينون فيها بأفخر أنواع الذهب والفضة واللؤلؤ.

فهم يلبسون الحرير الصافى ويتحلون بأساور الذهب والفضة واللؤلؤ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الكهف: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٣) سورة الحج: الآية: (٢٣).

(٤) سورة الدخان: الآيات: (٥١-٥٣).

وقال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾(١).

۞ وها هي بعض صفات ثياب أهل الجنة:

(١) ثياب أهل الجنة من سُندسٍ وإستبرقٍ وحرير:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(٣)

قال ابن القيم: قال جماعة من المُفسرين: السندس ما رَقَّ من الدِّيباج، والإستبرق ما غلظ منه. وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق. قال الزجَّاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به .... قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(٤).

(٢) ثياب أهل الجنة ينشق عنها ثمر الجنة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْهِجْرَةِ، إِلَيْكَ أَيْنَمَا كُنْتَ، أَمْ لِقَوْمٍ خَاصَّةً، أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ، إِذَا مُتَّ انْقَطَعَتْ؟ فَسَأَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) سورة الإنسان: الآية: (٢١).

(٢) سورة الكهف: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٣) سورة الحج: الآية: (٢٣).

(٤) حادى الأرواح (١٨٧) بتصرف.

يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: هَا هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْهِجْرَةُ أَنْ تَهْجُرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، ثُمَّ أَنْتَ مُهَاجِرٌ وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضَرِ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَتُخْلَقُ خَلْقًا أَمْ تُنْسَجُ نَسْجًا؟ فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَضْحَكُونَ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا»، فسكت النبي ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: هَا هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لا، بَلْ يُشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ ... ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[(١)].

(٣) ثياب أهل الجنة أفضل من ثياب الدنيا:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا»[(٢)].

(٤) ثياب أهل الجنة لا تبلى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَس، وَلا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[(٣)].

طعام أهل الجنة

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

فقد تضمنت النصوص أنَّ لهم - أي: لأهل الجنة- فيها - في الجنة -

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر (١٢/ ٧٠٩٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٦) كتاب الجنة.

الخبز، واللحم، والفاكهة، والحلوى، وأنواع الأشربة، من الماء، واللبن، والخمر، والعسل ... وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأمَّا المُسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)(٤).

ما أول وجبة يأكلها أهل الجنة؟

إن أول وجبة يأكلها أهل الجنة هي: زيادة كبد النون (الحوت)، وأما الوجبة التي يأكلونها بعدها فهي من الثور الذي كان يأكل من أطراف الجنة فيُنحر لهم.

❁ عن ثَوْبَانَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، .. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ

---

(١) سورة الطور: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (١٩-٢٤).

(٣) سورة المرسلات: الآيات: (٤١-٤٣).

(٤) حادى الأرواح (ص ١٨١).

الَّذي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟**» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «**سَلْ**» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ[١].

۞ **قال عبد الله بن سلّام**: «لما أردت أن أُسلِم، أتيت رسول الله فقلت: إني سائلك. فقال: سَلْ عمَّا بدا لك. قلت: ما أول ما يأكل أهل الجنة؟ فذكر الحديث .. وفيه قال ﷺ: «**زيادة كبد الحوت**»[٢]، وزيادة كبد الحوت: هي قطعة منفردة متعلقة بكبد الحوت، وهي أطيبها وألذها.

فاكهة الجنة وثمارها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾[٣].

قال ابن القيم: وقولهم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: شبيهه ونظيره

(١) صحيح: رواه مسلم (٣١٥) كتاب الحيض.

(٢) صحيح: رواه االبخارى (٣٩٣٨) كتاب المناقب.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥).

لا عينه، ومعنى الآية: أنه يُشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب.

قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللهَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعكَعتَ(١)؟ قَالَ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**»(٢).

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾(٤).

❁ قال ابن القيم: وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ونضرتها.

وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٧٢) لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٍ وَلَا مَمۡنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ﴾(٦).

قال ابن القيم: أي: لا تكون في وقت دون وقت، ولا تُمنع ممن أرادها.

وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾(٧).

قال ابن القيم: أي: ثمارها قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء.

(١) ومعنى كَعكَت: أي أحجمت وتأخَّرت إلى وَراء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٥٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

(٣) سورة ص: الآيات: (٥٠-٥٢).

(٤) سورة الدخان: الآية: (٥٥).

(٥) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٢، ٧٣).

(٦) سورة الواقعة: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

(٧) سورة الحاقة: الآية: (٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (١).

قال ابن عباس: إذا همَّ أن يتناول من ثمارها تدلَّت له حتى يتناول ما يريد.

شراب أهل الجنة

من تمام نعيم أهل الجنة لذَّة الشراب، لتستمتع الأفواه والبطون.

فمن أَكَل احتاج إلى شرابٍ لذيذ، يزيد مُتْعَته بطعامه، ويُرطِّب رِيقه بأطيب الشراب ... فوصف الله تعالى شراب أهل الجنة، ورغَّبهم فيه.

فيشربُ أهل الجنة في الجنة ماءً غير آسِنٍ ليس كماء الدنيا، ولبنًا، وخمرًا لذَّة للشاربين، وعسلًا مُصفًّى، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعين، وشرابهم كطعامهم دائم لا يفنى ولا يبيد، يخرج من أجسادهم رشحًا كرشح المسك ... ويُقدَّم للشاربين في أكوابٍ وأباريق وكؤوس من ذهب وفضة، لا يضاهي شرابهم شراب الدنيا، فشرابهم لم تره الأعين، ولم تسمع عنه الآذان ولم يخطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)

---

(١) سورة الإنسان: الآية: (١٤).

(٢) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٣) سورة المطففين: الآيات: (٢٥-٢٨).

عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾(١).

يعني: إن الكِرام البَرَرَة الذين أطاعوا الله، يشربون من خمر كان ما يُمْزَج بها ماء الكافور(٢)، وهذا المِزاج من عين يشرب بها عباد الله المتقون، وهم في الجنات يتمتعون، يشربون حيثما شاؤوا، ومتى ما شاؤوا، في قصورهم، ومجالسهم، وأنهارهم.

يُفجِّرونها تَفجيرًا

أي: يشقُّونها شَقًّا كما يُفَجِّر الرجل النهر من هنا وهناك إلى حيث يريد، بل لو شاؤوا لقادوا الماء معهم حيث أرادوا .... قال تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾(٣).

أي: يُسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا من خمر الجنة مُزِجَتْ بالزَّنْجَبِيل(٤)، فيُمزج الشراب لهم مرة بالكافور، ومرة بالزنجبيل.

فالكافور بارد والزَّنجبيل حار.

أي: أن أهل الجنة يُسقَونَ كأسًا من خمر الجنة ممزوجة بالزنجبيل وكانت العرب تسْتَلذ من الشراب ما يُمزَج بالزَّنجبيل لطِيب رائحته.

وكلمة سَلسَبيل مأخوذة من السَّلاسَة، والسلسبيل: هو الشَّراب اللذيذ.

---

(١) سورة الإنسان: الآيتان: (٥، ٦).

(٢) الكافور: عبارة عن مادة صلبة توجد على هيئة صفائح بيضاء بُلُّوريَّة أو على هيئة كُتَل مربعة متلاصقة بيضاء ... وسهل التبخُّر أو التطاير حتى عند درجة حرارة الغرفة العادية، يذوب في الماء بصعوبة ... يُتحصل على الكافور من شجرة الكافور.

(٣) سورة الإنسان: الآيتان: (١٧، ١٨).

(٤) الزنجبيل: نبات طيب الرائحة، حار الطعم، مليِّن للمعدة، مطيِّب لرائحة الفم، يُطبَخ مع الطعام، وقد يُخلَط مع الماء فيُطيِّبه.

مزيج شراب الجنة

شراب أهل الجنة يُمزَج بشيئين: الكافور والزنجبيل، فيُمزج بالكافور؛ لأنه يمتاز بالبرد وطيب الرائحة، ثُمَّ بالزنجبيل؛ لأنَّه يمتاز بالحرارة وطِيب الرائحة.

شرابهم طاهر

قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(١).

نعم، يسقيهم ربهم شرابًا طهورًا يُطهِّر باطن شاربه من الحسد، والحِقد، والغِل، ورديء الأخلاق ... فوصف الشراب بأنَّه طَهور وليس بنجِس كخمر الدنيا بالرائحة، مما يحدث بذلك أكمل اللذة وأطيبها(٢).

قال عبد الله: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُؤْتَى بِالْكَأْسِ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ زَوْجَتِهِ فَيَشْرَبُهَا ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى زَوْجَتِهِ فَيَقُولُ: قَدِ ازْدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعفًا حُسْنًا»(٣).

وقال أبو أُمامة: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ليشتهي الشَّراب من شَرابِ الجَنَّةِ فيجيء الإبريق فيقع في يده، فيشرب ثم يعود إلى مكانه»(٤).

وهذا الشراب ينبُع من عيون الجنة (٥).

---

(١) سورة الإنسان: الآية: (٢١).

(٢) حادى الأرواح لابن القيم (ص ١٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شَيْبَة فى مصنفه، بإسنادٍ صحيح.

(٤) ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة، بإسنادٍ حسن.

(٥) العالم الأخير (ص ٤٩٤-٤٩٥).

خمر أهل الجنة

من الشراب الذى يتفضل الله به على أهل الجنة: الخمر ... وخمر الجنة خالى من العيوب والآفات التى تتصف بها خمر الدنيا، فخمر الدنيا تُذهب العقول، وتُصدع الرؤوس، وتوجع البطون، وتمُرض الأبدان، وتجلب الأسقام، وقد تكون معيبة فى صنعها أو لونها أو غير ذلك، أما خمر الجنة فإنها خالية من ذلك كله، جميلة صافية رائقة، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[1].

لقد وصف الله جمال لونها (بيضاء) ثم بيَّن أنها تلذُّ شاربها من غير اغتيال لعقله، كما قال: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[2]، ثم إن شاربها لا يَملُّ من شُربها ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[3].

وقال فى موضع آخر يصف خمر الجنة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[4].

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: «لا تُصدع رؤوسهم، ولا تنزف عقولهم، بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة،.... وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: فى الخمر أربع خصال: السُّكْر، والصداع، والقىء، والبول، فذكر الله خمر الجنة، ونزَّهها عن هذه الخصال»[5].

---

(١) سورة الصافات: الآيات: (٤٥-٤٧).

(٢) سورة محمد: الآية: (١٨).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٤٧).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (١٧-١٩).

(٥) تفسير ابن كثير: (٦/ ٥١٤).

وقال الحق فى موضع ثالث: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾[١]، والرحيق الخمر، ووصف هذا الخمر بوصفين: الأول أنه مختوم، أى موضوع عليه خاتم. الأمر الثانى: أنهم إذا شربوه وجدوا فى ختام شربهم له رائحة المسك[٢].

لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون؟

وإذا كانت الجنة لا جوع فيها ولا عطش فلماذا يأكل أهل الجنة ويشربون إذا كانوا لا يشعرون أصلًا بألم الجوع والعطش.

أجاب القرطبى فى التذكرة عن هذا السؤال قائلًا[٣]: «نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع، ولا شربهم عن ظمأ، ولا تَطيُّبهم عن نَتن، وإنما هى لذات متوالية، ونِعمٌ متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[٤]... وحكمة ذلك أن الله تعالى عرَّفهم فى الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به فى الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ».

أين تذهب فضلات الطعام

إن العبد إذا أكل أو شرب فى الدنيا فلابد بعد فترة أن يُخرج فضلات الطعام والشراب... أما فى الجنة فلا يصلح أن يكون فيها فضلات للطعام والشراب وذلك لأن أهلها مطهرون من الدنس والأذى.

---

(١) سورة المطففين: الآيتان: (٢٥-٢٦).

(٢) الجنة والنار (ص: ٢٢١ - ٢٢٢).

(٣) التذكرة (ص ٤٧٥).

(٤) سورة طه: الآيتان: (١١٨-١١٩).

ولذا قال ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون فيها**»(١).

۞ ولا تعتقد أن هذا الأمر حاصل لأول زُمرة تدخل الجنة وإنما هو عام فى كل من أكرمه الله بدخول الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون، ولا يتبولون، ولا يمتخطون، ولا يبزقون»(٢).

۞ فأهل الجنة يشتركون جميعًا فى خلوصهم من الأذى... فهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون ولا يتفلون.

وأما التفاوت فيما بينهم فإنه يكون فى قوة نور كل واحد منهم وفى درجاتهم فى الجنة.. وفى تمتُّعهم بنعيم الجنة والحور العين.

۞ وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان الأمر كذلك فأين تذهب فضلات الطعام؟

أقول لك: لقد سُئل النبى ﷺ نفس السؤال فأجاب بأن بقايا الطعام تتحول إلى رشحٍ كرشح المسك يفيض من أجساد أهل الجنة.. كما يتحول جزء من الطعام والشراب إلى جُشاء ولكنه جشاء تنبعث منه رائحة المسك الجميلة والروائح العطرية الرائعة.

عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أهل الجنة**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

يـأكلون فيهـا ويـشربون، ولا يتفلـون، ولا يتبولـون، ولا يتغوطـون، ولا يمتخطون»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء كجشاء المسك»[(١)].

آنية طعام أهل الجنة وشرابهم

لقد أخبر الحق (جل وعلا) أن آنية طعام أهل الجنة التى يأكلون ويشربون فيها من الذهب والفضة.

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[(٢)].

أى: وأكواب من ذهب، وقال: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[(٣)].

أى: اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة.

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافيته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهُّم كون تلك القوارير من زجاج، فقال: ﴿ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ ﴾.

ومن الآنية التى يشربون بها الأكواب والأباريق والكؤوس ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[(٤)]، والكوب: ما لا أُذن له ولا عروة ولا خرطوم، والأباريق: ذوات الآذان والعُرا، والكأس القدح الذى فيه الشراب.

وقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٧١).

(٣) سورة الإنسان: الآيتان: (١٥-١٦).

(٤) سورة الواقعة: الآية: (١٧-١٨).

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة.. وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما»(١) (٢).

آنية الجنة تَطوف عليهم

لا يحتاج المؤمن أن يقوم إلى آنيته، بل هي تأتي إليهم، ويُطاف بها عليهم ... قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣).

فبعد أن يستقروا في الجنة يُطاف عليهم بأوانٍ من ذهب عليها أنواع الطَّعام ... ويُطاف عليهم بأكوابٍ للشراب من ذهب، وفي هذه الأواني والأكواب ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ به الأعين، فيأكلون ويشربون وينعمون ويتلذَّذون، ويُقال لهم إكمالًا لسرورهم: «أنتم باقون في هذا النعيم لا ينقص عنكم ولا يغيب، وأنتم في الجنة خالدين أبدًا».

فهذه الآنية مع حُسنها وجمالها، يُطاف بها عليهم، وهم على أسِرَّتهم مُكرَّمين وفي بيوتهم آمنين ... قال ربنا عز وجل: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾(٤).

فأهل الجنة يطوف عليهم خَدَم الجنة بأواني الطعام وأكواب الشراب مِنْ فضة وزجاج(٥).

---

(١) أي: وللمؤمن جنتان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة.

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٧١).

(٤) سورة الإنسان: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٥) العالم الأخير (ص ٥٠٦، ٥٠٧).

دواب الجنة وطيورها

قال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (١).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا الكَوْثَرُ؟ قَالَ: «ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ - يَعْنِي: فِي الجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ» (٢) قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا» (٣).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» (٤).

لك قوة مائة رجل إذا دخلت الجنة

قال ﷺ: «إنَّ الرجل من أهل الجنة، ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والشهوة والجِماع، حاجةُ أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلده، فإذا بطنُهُ قد ضمر» (٥).

فيا من عانيت من ضعف الصحة وكثرة الأمراض... اعلم أن الله (جل وعلا) سيعطيك فى الجنة قوة مائة رجلٍ فى الطعام والشُرب والشهوة والجماع... وأنت مع ذلك لا يصيبك مرضٌ ولا ألم ولا مشقة ولا عناء.

فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

---

(١) سورة الواقعة: الآية: (٢١).

(٢) الجُزر: الإبل.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٥١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٢) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، والدارمى، وابن حبان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

خدم أهل الجنة

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[(٣)].

۞ قال ابن كثير: أَيْ: يَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ للخدْمَة ولـدانٌ مِنْ وِلْدَانِ الْجَنَّةِ ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أَيْ: عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مُخَلَّدُون عَلَيْهَا، لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا، لَا تَزِيدُ أَعْمَارُهُمْ عَنْ تِلْكَ السِّنِّ. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أَيْ: إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ السَّادَةِ، وَكَثْرَتِهِمْ، وَصَبَاحَةِ وُجُوهِهِمْ، وَحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَحُلِيِّهِمْ، حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا. وَلَا يَكُونُ فِي التَّشْبِيهِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، وَلَا فِي الْمَنْظَرِ أَحْسَنُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ عَلَى الْمَكَانِ الْحَسَنِ[(٤)].

۞ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة: خلقٌ من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كَمُل خلقهم كأهل الجنة، على صورة أبيهم آدم»[(٥)].

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان: (١٧، ١٨).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (١٩).

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٤).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٦٢٨).

(٥) مجموع الفتاوى: (٤/ ٢٧٩).

۞ وقال ابن القيم: قال أبو عبيدة والفَرَّاء: مُخَلَّدون: لا يهرمون ولا يتغيرون، وقال ابن عباس: غلمان لا يموتون..وقول ترجمان القرآن في هذا كافٍ..وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور؛ لما فيه من البياض وحُسن الخِلقة.

۞ وفي كونه منثور فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين؛ بل مبعوثين في خدمتهم وحوائجهم.

والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولا سيما على بساطٍ من ذهبٍ أو حريرٍ كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا في مكانٍ واحدٍ[١].

۞ وقال الإمام ابن القيم: والأشبه أنَّ هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدمًا لهم وغلمانًا ... كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ وهؤلاء غير أولادهم، فإنَّ من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانًا لهم[٢].

حُلي أهل الجنة

۞ أنعم الله عَزَّوَجَلَّ على أهل الجنة بزينة وحُلي تتمثل في أساور من الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت.

قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ

(١) حادي الأرواح (٢٠١، ٢٠٢).

(٢) حادي الأرواح (ص ١١٤).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٣١).

فِيهَا حَرِيرٌ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾(٣).

وعن المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ في ذكر الخصال التي يُعطاها الشهيد: «ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها»(٤).

سوق أهل الجنة

وقد تشتهى وأنت فى الجنة أن تذهب إلى سوق الجنة فهيا لنعرف ما هو سوق الجنة وما هو موعده.

عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُون حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا »(٥).

(١) سورة الحج: الآية: (٢٣).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٣٣).

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٢١).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

۞ قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي: في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار،... وخص ريح الجنة بالشمال، لأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة، أي: المحركة، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها»[1].

شوق أهل الجنة لسوق الجنة

۞ إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل في أسواق الجنة من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر .. ولذا فإنَّ أهل الجنة يشتاقون إلى أسواق الجنة.

لَقِيَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ، قَالَ سَعِيدٌ: أَوَ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، **«أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا، نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، مَا يُرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا»**[2].

---

(١) النووي على مسلم: (١٧/ ١٧٠).

(٢) أخرجه عبد بن حُميد، بإسنادٍ حسن.

درجات الجنة

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٥).

عن ابن محيريز قال: «فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا، درجاتٍ منه قال: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجَواد

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٢) سورة الأنفال: الآيات: (٢-٤).

(٣) سورة طه: الآية: (٧٥).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٢١).

(٥) سورة النساء: الآيتان: (٩٥، ٩٦).

المُضَمَّر سبعين عامًا».

وتأمل قوله ... كيف أوقع التفضيل أولًا بدرجة. ثم أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد.... والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد... وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[(١)].

الأعمال التى ترفع المؤمن فى درجات الجنة

إن للمؤمن همة عالية تجعله يتطلع دائمًا إلى الأفضل والأحسن، فبينما تجد أن الكثير من المؤمنين لا يريدون إلا النجاة من النار ودخول الجنان.. إلا أن هناك صاحب الهمة العالية ... فهو يتطلع دائمًا إلى أعلى درجات الجنة.

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأعمال التى ترفع المؤمن فى أعلى درجات الجنة.

(١) الجهاد فى سبيل الله :

قال ﷺ: « **إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وعن أبي نجيح السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ. فَبَلَّغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا»(٢).

(٢) التواضع لله (جل وعلا):

قال ﷺ: «... وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»(٣).

(٣) قراءة القرآن وحفظه:

قال ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد لكل آيةٍ درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه»(٤).

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل، كما كنت تُرتِّل فى دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»(٥).

(٤) إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة:

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٤) كتاب الإمارة.

(٢) رواه أبو داود، والنسائى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة.

(٤) رواه أحمد وابن ماجه عن أبى سعيد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢١).

(٥) رواه أحمد والنسائى والترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[١].

وعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: « صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، وَلا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ، مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ أَوْ يُحْدِثْ فِيهِ»[٢].

(٥) من وصل الصفوف فى الصلاة .... وسد فرجة :

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يَصِلون الصفوف، ومن سدَّ فُرجة رفعه الله بها درجة»[٣].

(٦) ذكر الله :

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والورِق - الفضة - وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه عن عائشة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٤٣).

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى الدرداء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٧) الصبر على البلاء:

قال ﷺ: «ما من مسلمٍ يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»(١).

(٨) طلب العلم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢).

(٩) من شاب شيبة فى الإسلام:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم. ما من مسلمٍ يشيب شيبةً فى الإسلام إلا كُتب له بها حسنة ورُفع بها درجة أو حُط عنه بها خطيئة»(٣).

(١٠) كثرة الطواف حول الكعبة:

قال ﷺ: «من طاف بهذا البيت أُسبوعًا يُحصيه كُتب له بكل خطوة حسنة، وكُفّر عنه سيئة، ورُفعت له درجة، وكان عدل عتق رقبة»(٤).

أسبوعًا: أى سبعة أشواط.

(١١) كثرة السجود لله:

قال ﷺ: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ بها عنك خطيئة»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٣) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٦٠) واللفظ لأحمد.

(٤) رواه أحمد والترمذى والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٠) واللفظ لأحمد.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨) كتاب الصلاة.

(١٢) حسن الخلق :

قال ﷺ: « إنّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ الصائم »(١).

وقال ﷺ: « إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصُّوَّامِ الْقُوَّامِ بِآيَاتِ اللهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَم ضَرِيبَتِهِ »(٢).

(١٣) من قال دعاء السوق :

قال ﷺ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ دَرَجَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »(٣).

(١٤) استغفار الولد لأبيه :

قال ﷺ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولِ: أَنَّى لي هَذَا؟ فيُقَال: باسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »(٤).

(١٥) محبة النبى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم (فالمرء مع من أحب) :

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت للساعة؟**» قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام غير أني أحب الله ورسوله. قال: «**فإنك مع من أحببت**». قال أنسٌ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ: فإنك مع من أحببت قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن

(١) رواه أبو داود وابن حبان عن عائشة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).
(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٤٩).
(٣) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٣١).
(٤) رواه أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٧).

لم أعمل بأعمالهم»(١).

ونحن نُشهدك يارب أننا نحبك حبًّا يليق بجلالك وكمالك، ونحب رسولك ﷺ، ونحب الصحابة رضي الله عنهم ونحب الصالحين فى كل زمان ومكان، ونسألك أن تحشرنا يوم القيامة فى زمرة المتقين. وإن لم نعمل بأعمالهم(٢).

ميراث أهل الجنة

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾»(٦).

المؤمن يبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فيُبْنَى بَيْتُهُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، ويُهدّم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة.

(٢) مشاهد الفرحة يوم القيامة/ للمصنف (ص: ٥٧: ٨٧).

(٣) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٤) سورة المؤمنون: الآية: (١٠، ١١).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٧٢).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٩٩)

بَيْتُهُ الَّذِي فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فيُهْدَم بَيْتُهُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، ويُبنى بَيْتُهُ الَّذِي فِي النَّارِ [١].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «**يجيء ناسٌ يوم القيامة مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**»، وَفِي لَفْظٍ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيُقَالُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**» [٢].

بيت المسلم .. والطريق إلى الجنة

(١) الوالد:

قال ﷺ: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**» [٣].

قال البيضاوي: «أي خير الأبواب وأعلاها ... والمعنى أن أحسن ما يُتوسل به إلى دخول الجنة، ويُتوصل به إلى الوصول إليها مطاوعة الوالد ورعاية جانبه» [٤].

قال شُرَّاح الحديث: والمراد بالوالد الجنس فيشمل الوالد والوالدة، أو إذا كان حكم الوالد هذا فحكم الوالدة أقوى وأولى.

ولاستحالة أن تستطيع أداء حق الوالد عليك فقد ضرب النبي ﷺ هذا المثل الجميل فقال ﷺ: «**لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب التوبة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٤) فيض القدير (٦/ ٣٧١).

فَيُعْتِقَهُ»[١].

ومعنى الحديث: لا يستطيع الولد أن يكافئ والده إلا بأن يُخلِّصه من الرِّق بشرائه، وهذا الشراء إيجاد جديد له؛ لأنَّ الرقيق كالمعدوم لاستحقاق غيره منافعه، فتسَبُّبه في عِتقه وتخليصه من ذلك كأنه إيجاد له من العدم؛ لأنَّ والدك كان سبب إيجادك المادي، ولكي تؤدي حقه عليك فلابد أن تكون سببًا في إيجاده المعنوي وذلك بعتقه، وهذا مستحيل، وكذلك: مجازاة الوالد على فضله مستحيلة ولا تُتَصوَّر، فصار هذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[٢].

ولفضل الوالد العظيم وقدره النبيل قيل لمجاهد: ينادي المنادي بالصلاة، ويناديني رسول أبي؟! قال: «أجِب أباك» ... وعن ابن المنكدر قال: «إذا دعاك أبوك وأنت تصلي فأجب»[٣].

ومن حق الوالد على ولده ما رواه أبو غسان الضبي أنه خرج يمشي بظهر الحَرَّة وأبوه يمشي خلفه، فلحقه أبو هريرة، فقال: من هذا الذي يمشي خلفك؟ قلت: أبي .. قال: «أخطأت الحق ولم توافق السنة، لا تمشِ بين يدي أبيك، ولكن امشِ خلفه أو عن يمينه، ولا تدع أحدًا يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرقًا -أي: لحمًا مختلطًا بعظم- نظر إليه أبوك، فلعله قد اشتهاه، ولا تُحِدّ النظر إلى أبيك، ولا تقعد حتى يقعد، ولا تنم حتى ينام»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥١٠) كتاب العتق.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤٠).

(٣) بر الوالدين (١/ ٣) ابن الجوزي.

(٤) السابق (١/ ٢-٣) ابن الجوزي.

(٢) الوالدة:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «**وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**ارْجِعْ فَبَرَّهَا**» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «**وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا**» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «**وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ**»(١).

يا هذا .. تطلب الجنة بعملك وَهِي تَحت أَقْدَام أمك، حَملتك فِي بَطنهَا تِسْعَة أشهر كَأَنَّهَا تسع حجج، وكابدت عِنْد الْوَضع مَا يُذيب المُهَج، وأرضعتك من ثديها لَبَنًا وأطارت لِأَجلك وسنًا، وغسلت بِيَمِينِهَا عَنْك الْأَذَى، وآثرتك على نَفسهَا بالغذاء، فَإِن أَصَابَك مرض أَو شكاية أظهرت من الأسف فَوق النِّهَايَة، وأطالت الْحزن والنحيب، وبذلت مَالهَا للطبيب، وَلَو خُيِّرت بَين حياتك وموتها لطلبت حياتك بِأَعْلَى صَوتهَا، وكم عاملتها بسوء الْخلق مرَارًا فدعَتْ لَك بالتوفيق سرًّا وجهارًا، فَلَمَّا احْتَاجَت عِنْد الْكبَر إِلَيْك جعلتهَا من أَهْون الْأَشْيَاء عَلَيْك، وقدَّمت عَلَيْهَا أهلك وأولادك بِالْإِحسَانِ، وقابلت أفضالها بِالنِّسْيَانِ، وصعب لديك أمرهَا وَهُوَ يسير، وَطَالَ عَلَيْك عمرهَا وَهُوَ قصير، فانتهِ وإلا فستُعاقَب فِي دنياك بعقوق

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٤٨).

الْبَنِينَ، وَفِي أُخراك بالبعد من رب الْعَالمين »(١).

كان من فقه ابن عباس أن أتاه رجل، فقال: إني خطبتُ امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيرى فأحبَّت أن تنكحه، فغِرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تُبْ إلى الله وتقرب إليه ما استطعت .... فقال رجل لابن عباس: لِمَ سألته عن حياة أمه؟ قال: «إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله ﷻ من بر الوالدة»(٢).

وقد قدَّم الحسن البصري بِرَّها على تعلُّم القرآن، مُرسيًا بذلك نموذجًا لما استحدث العلماء تسميته باسم فقه الأولويات، وذلك لما أتاه هشام بن حسان قائلًا: إني أتعلم القرآن، وإن أمي تنتظرني بالعشاء، قال الحسن: «تعشَّ العَشاء مع أمك تُقِرُّ به عينها، أحب إليَّ من حجة تحجها تطوعًا»(٣).

وقد قدَّم النبي ﷺ برها على بر الأب، وبذا التزم السلف وبه أخبروا، فهذا الحسن يقسِّم البر ثلاثة أقسام ثم يقول: «للوالدة الثلثان من البر، وللوالد الثلث».

وسُئل في رجل حلف عليه أبوه بكذا، وحلفت عليه أمه بكذا أي بخلافه؟ فقال: «يطيع أمه»(٤).

وتابعه في مذهبه مكحول حين قال: «إذا دعتك والدتك وأنت في الصلاة فأجبها، وإن دعاك أبوك فلا تُجبه حتى تفرغ»(٥).

---

(١) الكبائر بتصرف.

(٢) بر الوالدين (١/ ٣).

(٣) بر الوالدين (١/ ٤).

(٤) خبرا الحسن في بر الوالدين (١/ ٤).

(٥) بر الوالدين (١/ ٣).

وكيف لا والجنة مقتربة من البار بأمه أدنى ما تكون منه، وهو ما رآه رسول الله واقعًا أمام عينيه ثم حكاه لنا لكي يجتمع مع الوعد باللسان الإثبات بالواقع والمشاهدة والعيان، فقال ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فقال ﷺ: «**كَذَلِكُمُ الْبِرُّ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ**»(١)، وكان من أبر الناس بأمه.

ولذا حقَّ لإياس بن معاوية أن يبكي لموت أمه مبينًا السبب عالمًا بقدر الكارثة قائلًا: «كان لي بابان مفتوحان من الجنَّة، فأُغلِق أحدهما»(٢).

(٣) البنات:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ أَلْبَتَّةَ**»، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ: فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ**»، قَالَ: فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ، أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً، لَقَالَ: «**وَاحِدَةً**»(٣).

لكن هل المقصود بالإيواء والرحمة والكفالة مجرد الإطعام والإشراب الذي تفعله كل الخلائق رحمة بصغارها حتى الدواب؟!

كلا والله .. بل مقصد الحديث إضافة إلى الكفالة المادية: الكفالة الإيمانية بالتقوى وتنشئة البنات على الدين والالتزام، وهو مشروع رائع لدخول الجنة لكنه صعب في ظل إعلام يريد لبناتنا أن يَكُنَّ جامعات فساد وقِبْلَة شهوات، خاصة وهن يملكن بأيديهن مفاتيح إفساد الشباب

---

(١) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧١).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٣٣٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٠٢٧).

وصرفهن عن الغايات السامية إلى الشهوات المُحَرَّمة الوضيعة، فتكون تربية البنت الصالحة بمثابة تربية جيل بأكمله يقتدي بها مَن يراها من أخواتها، ويتعلم منها الشباب أصول الحياء وطهارة السلوك والعفاف الراقي، ويُبطَل بذلك كيد الكائدين ومؤامرات اليهود المتربصين.

(٤) الزوج:

قال ﷺ لعمة حُصَيْن بْنِ مِحْصَنٍ رضي الله عنه: «انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟! فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»[١].

أي: أن زوجك هو سبب لدخولك الجنة برضاه عنك، وسبب لدخولك النار إن سخط عليك، فأحسني عشرته ولا تخالفي أمره.

بل رسَّخ النبي ﷺ مفهوم هضم النفس والتعالي على الانتصار لها وكبح محاولات كسب معركة الخلاف مع الزوج حين رغَّب كل زوجة في دخول الجنة بقوله: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الْوَلُودَ الْوَدُودُ الْعَؤُودُ الَّتِي إِذَا ظَلَمَتْ هِيَ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى**»[٢].

وهو أمرٌ شاق على نفس كل امرأة لكن لا شيء يا أختاه يصعب أمام الجنة، ولا عقبة تصمد أمام إغراء نعيمها.

وقد تقف مخالفة الزوجة زوجها وعصيان أمره عقبة في طريقها للجنة، وعندها يحق لكل كريم أن يُسلي نفسه بزوجات من الحور يعشقنه ويُنافحن عنه وهو لازال بعدُ في دار الدنيا!!... قال ﷺ: «**لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ**

(١) حسن: رواه ابن سعد، وأحمد، والطبراني، وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٢) حسن: رواه الدارقطني في الأفراد، والطبراني، وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٢٦٠٤).

زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا »[١].

سئل عمرو بن عبيدك ما البلاغة؟ فقال: «ما بلَّغك الجنة وعدل بك عن النار»[٢][٣].

نعمة القرآن .. وحُلل الجنة

عن ابن بريدة عن أبيه يرفعه: «تعلَّموا سورة البقرة فإنَّ أخْذَها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»، قال: «ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يُظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طيرٍ صواف وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيُعطَى المُلك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بِمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلًا»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٩٢).

(٢) عيون الأخبار (١/ ٢٠١).

(٣) ليلى بين الجنة والنار (١٥٤-١٥٩) بتصرف.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٤٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن فى المتابعات والشواهد من أجل بشير ابن المهاجر الغنوى - هذًّا : سرعة القراءة.

أهل الجنة يُلهَمُون التسبيح

فأهل الجنة يُلهَمون التسبيح والتحميد .. وهذا ليس من باب التَّكليف، وإنَّما من باب الاستمتاع في الجنة.

قال ﷺ: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[١].

وأهل **الجنة يُلهمون التسبيح**: أي: كما أنهم يتنفسون تنفُّسًا متواصلًا من غير اختيار بل جُبِلت الأجساد على ذلك، كذلك التسبيح والتهليل عند أهل الجنة، تُجبل عليه نفوسهم وتجري به ألسنتهم شكرًا لله تعالى وتعظيمًا له، وهذا التسبيح لا يشغلهم عن مُتَعهم ولذائذهم، بل هو مثل النَّفَس في الدنيا.

قال ابن تيمية: هذا ليس من عمل التكليف الذي يُطلَب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به[٢].

قال ابن حجر: قال القرطبي: «هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام!، وقد فسره جابر في حديثه: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ**[٣] **كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[٤]، ووجه التشبيه أن تَنفُّس الإنسان لا كُلفة عليه فيه، ولا بد منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥) كتاب الجنة.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٠).

(٣) جشاء: عرق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥) كتاب الجنة.

قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه، وامتلأت بحبه، ومَن أَحَب شيئًا أكثر من ذكره»[1].

أهل الجنة لا ينامون

قال ﷺ: **«النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة»**[2].

وهذا من كمال رحمة الله لأن الجنة دار النعيم... والنوم يُفوِّت على أهل الجنة بعض هذا النعيم ... فكان من رحمة الله (جل وعلا) أن جعل أهل الجنة فى نعيمٍ دائم لا يفوتهم منه شىء.. بل إنهم ينتقلون من لذة إلى لذة أعلى ومن نعيم إلى نعيم أكبر.... فنسأل الله تعالى من فضله.

إذا مات العبد بغير مولده

قال ﷺ: **«إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره فى الجنة»**[3].

ولكن هذا لا يكون إلا لمن حقق التوحيد والعبودية لله (جل وعلا)... فلا يكون هذا لرجل يهودى أو مجوسى أو غير ذلك من أصحاب الملل الكافرة وإنما هذا الفضل لأهل الإيمان والتوحيد.

(١) فتح البارى (٦/ ٣٢٦).

(٢) رواه البيهقى فى الشُّعب، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٦٦٠٨).

(٣) رواه النسائى وابن ماجه عن ابن عمرو وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٦).

احتجاج الجنة والنار

قال ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَالِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغُرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تبارك وتعالى رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»(١).

وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ »(٢).

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: «وإنه يُنشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة.

فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله ... قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾(٣).... ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٦) كتاب الجنة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٤٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة.

(٣) سورة الملك: الآيتان: (٨، ٩).

من الذين تشتاق الجنة إليهم؟

إنه ما من مؤمن إلا ونفسه تتوق إلى جنة الرحمن (جلَّ وعلا)، ولكن يا تُرى مَن هم الذين تشتاق الجنة إليهم ؟!!!

قال ﷺ: «**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان**»(١).

ولكي تستشعر تلك الفرحة فتخيل نفسك مكان واحدٍ من هؤلاء الصحب الكرام، وقد سمعت هذه البشرى من الحبيب ﷺ، فيا تُرى كيف تكون فرحتك وسعادتك؟!!!

---

(١) رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٨).

الذين رآهم النبي ﷺ وسمع أصواتهم في الجنة

قال ﷺ: « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ فَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا جَعْفَرٌ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِذَا حَمْزَةُ مُتَّكِئٌ عَلَى سَرِيرٍ »(١).

وقال ﷺ: « دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذا أَنا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذا القَصْرُ؟ قالُوا: لِشابٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنا هُوَ فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قالُوا: عُمَرُ بنُ الخَطَّابُ ... فَلَوْلا مَا عَلِمْتُ مِنْ غَيْرَتِكَ لَدَخَلْتهُ »(٢).

وقال ﷺ: « دَخَلْتُ الجَنَّةَ فاسْتَقْبَلَتْنِي جارِيَةٌ شابَّةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»(٣).

وقال ﷺ: « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ لِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ دَرَجَتَيْنِ »(٤).

وقال ﷺ: « دخلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً بَيْنَ يَدَيَّ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الخَشْفَةُ؟ فَقِيلَ: الغُمَيْصاءُ بِنْتُ مِلْحانَ »(٥).

وقال ﷺ: « دَخَلْتُ الجَنَّةُ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً بَيْنَ يَدَيَّ قُلْتُ: مَا هَذِهَ الخَشْفَةُ؟ فَقِيلَ: هَذَا بِلالٌ يَمْشِي أمامك »(٦).

وقال ﷺ: « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، قُلْتُ: كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ »(٧).

---

(١) رواه الطبراني فى الكبير والحاكم، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٢٤) كتاب التعبير، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) رواه الروياني والضياء عن بريدة وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٤) رواه ابن عساكر عن عائشة وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٦٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) رواه الطبراني فى الكبير عن أبى أمامة وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٦٩).

(٧) رواه النسائى، وأحمد، والحاكم، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٣٧١).

أهل الجنة يتزاورون ويتذاكرون ما كان بينهم

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾(١).

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أهل الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا. عن أحوالٍ كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائلٌ منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه ... يقول: أئنك لمن المصدقين، بأنَّا نُبعث ونُجازَى بأعمالنا ونُحاسَب بها بعد أن مزَّقنا البِلى، وكنا ترابًا وعظامًا... ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى». أي النافذة أو الفتحة في الحائط.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(٢)(٣).

---

(١) سورة الصافات: الآيات: (٥٠-٥٧).

(٢) سورة الطور: الآيات: (٢٥-٢٨).

(٣) مختصر حادي الأرواح (ص: ١٣١، ١٣٢).

أدنى أهل الجنة

۞ عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: « سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »(١).

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عملٍ ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إنّ العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

۞ وقال ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلًا رجلٌ صرفَ اللهُ وجههُ عنِ النارِ قِبلَ الجنَّةِ، ومَثَّلَ لهُ شجرةً ذاتَ ظِلٍّ، فقالَ: أى ربِّ قدِّمنى إلى هذه الشجرةِ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

فأكونَ فى ظِلِّها، فقال اللهُ: هلْ عسيْتَ أنْ تسألنِى غيرَهُ؟ قالَ: لا وعزَّتِكَ، فقدَّمهُ اللهُ إليها، ومَثَّلَ لهُ شجرةً ذاتَ ظِلٍّ وثمرٍ، فقالَ: أى ربِّ قدمنى إلى هذه الشجرة فأكونَ فى ظلِّها، وآكل منَ ثمرِها، فقالَ الله: هل عسيْتَ إن أعطيتُكَ ذلك أن تسألنى غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتِكَ، فيقدمُهُ الله إليها، فيمثل اللهُ لهُ شجرةً أخرَى ذات ظِلٍّ وثمرٍ وماءٍ، فيقولُ: أى ربِّ قدمنى إلى هذهِ الشجرةِ فأكونَ فى ظِلِّها، وآكل منْ ثمرِها، وأشرب منْ مائِها، فيقولُ لهُ: هلْ عسيْتَ إنْ فعلتُ أنْ تسألنى غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزَّتك لا أسألكَ غيرهُ، فيقدمهُ الله إليْها، فيُبرز لهُ بابُ الجنَّةِ، فيقولُ: أىْ ربِّ قدمنى إلى بابِ الجنةِ فأكونُ تحتَ سِجافِ الجنة[1] فأرى أهلَها، فيقدِّمهُ الله إليها فيرىَ الجنَّةَ وما فيها، فيقولُ: أىْ ربِّ أدخلنى الجنَّةَ، فيدخلُ الجنَّةَ، فإذا دخل الجنَّةَ قالَ: هذا لى؟ فيقولُ الله لهُ تمنَّ: فيتمنَّى، ويُذكرهُ الله عَزَّوَجَلَّ سَلْ مِنْ كذا وكذا حتَّى إذا انقطعت بهِ الأمانى، قالَ الله: هوَ لك وعشرةُ أمثالِهِ، ثمَّ يُدخلهُ الله الجنةَ، فيدخلُ عليه زوجتاهُ منَ الحور العين؛ فيقولان: الحمدُ لله الذى أحياكَ لنا، وأحيانا لكَ. فيقولُ: ما أُعطِىَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيتُ ... وأدنى أهل النارِ عذابًا يُنعلُ من نارٍ بنعلينِ يغلى دماغُه من حرارةِ نعليه»[2].

---

(١) سجاف: أى الستر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٨) كتاب الإيمان.

آخر من يدخل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -»، قَالَ: «فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟»، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان

فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ -والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك- أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»(١).

وفي رواية: «..وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ) مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَقَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللهُ: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، (يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ)، حَتَّى إِذَا انقطعت بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، وَذَلِكَ الرَّجُل آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة»(١).

من يكون في الفردوس الأعلى؟

قال تعالى عن وصف هؤلاء الذين يرثون الفردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسَلُوه الفردوس فإنه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٨) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١-١١).

أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تَفجَّر أنهار الجنة»[١].

لماذا الفردوس الأعلى

قال ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِردَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعلَى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[٢].

وفي هذا الدعاء فوائد عدة منها: حثّ النفس على استحضار الهمَّة العالية دائمًا وعدم الرضا بالدون، وذلك في كافة الأخلاق والأعمال والصِّفات، ولا فارق في ذلك بين الأعمال الدنيوية والأُخروية؛ لأنَّ الدنيا عند عاشق الآخرة المركب الذي يوصله إلى الجنة والبضاعة التي تُبلِّغه إياها.

أعلى درجة في الجنة تستلزم أعلى بذل في الدنيا، والدليل تلمحه بين ثنايا حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله .. أي الجهاد أفضل؟! قال: **«أَن يُعقَر جوادك ويُهرَاق دمك»**[٣].

ومنها: تهيئة النفس للعمل الذي يجعلها تستأهل الفردوس، فإن فترت قليلًا فللعمل الذي يُدخل الجنة، في حين أنها لو استعدت من الأول بعمل يورث أدنى درجات الجنة فربما فترت فضاعت عليها الجنة بالكلية.

ومنها: الدلالة على كرم الله الفياض وسعة جوده وفضله.

ومنها: الإشارة إلى أنك لا تعلم متى تتفتح أبواب السماء، فلعل دعاؤك يوافق ساعة إجابة فترث الفردوس الأعلى بدعوة مباركة.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان، ورواه أبو داود، وأحمد، بنحوه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٦٥).

وإجابة دعوة كهذه ليست كما يظن كثير من الناس من أن ربح الجنة قد يأتي من عمل لحظة واحدة؛ مهما عملوا بعدها ما شاؤوا ...لذا تراهم يزدحمون على ختمات المساجد في رمضان ينشدون الفوز العظيم بأقل القليل.

كلا والله ما كانت الجنة يومًا رخيصة لتُشترى بمثل هذا الثمن .. إنما معنى إجابة الله لدعائه بالفردوس أن الله يوفق صاحب هذه الدعوة المجابة لعملٍ صالح يظل مصاحبًا له حتى يغادر الحياة، ويختم له بخاتمة الصلاح، مما يجعلك تستحي أن تدعو الله بالفردوس وهو أعلى الجنة وأنت لم تُقدِّم بين يديه سوى أقل العمل.

سبحانه!! ما أكرمه !! سبحانه !! ما ألطفه!! دعاك أولًا لتدعوه، ثم دلَّك على أعظم كنز تطلبه وهو الفردوس، فإذا لمح منك الصدق والإلحاح استجاب لك بأن وفَّقك مستقبلًا للعمل الصالح الذي يؤهلك لبلوغ ما دعوت به[1].

الجنة ودرجاتها

والله إنى لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرض ولا بُصاق ولا نوم ولا آفة تطرأ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة لا يعتريها منغص، فى نعيم متجدد فى كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى. فأطيش ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك، لولا أن الشرع قد ضمنه.

معلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ههنا. فواعجبًا من مضيع لحظة فيها.

فتسبيحة تغرس له فى الجنة نخلة أُكلها دائم وظلها.

(١) ليلى بين الجنة والنار (ص ٩٢-٩٣).

فيا أيها الخائف من فوت ذلك، شجع قلبك بالرجاء.

ويا أيها المنزعج لذكر الموت تلمح ما بعد مرارة الشربة من العافية.

فإنه من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها فيهون سير المجذوب للذة المنتقل إليه.

ثم الأرواح فى حواصل طير تعلق فى أشجار الجنة.

فكل الآفات والمخافات فى نهار الأجل، وقد اصفرت شمس العمر.

فالبدار البدار قبل الغروب ولا معين يرافق على تلك الطريق إلا الفكر، إذا جلس مع العقل فتذاكرا العواقب.

فإذا فرغ ذلك المجلس، فالنظر فى سير المجدّين فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها للفضائل، والتوفيق من وراء ذلك.

ومتى أرادك لشىء، هيأك له.

فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل.

والعزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية[1].

أصحاب الغُرف العالية في الجنة

(١) كافلُ اليتيم:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا[2].

---

(١) صيد الخاطر (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

(٢) الساعي على الأرملة والمسكين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالقَائِمِ الَّذِى لاَ يَفتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ**»(١).

(٣) مَن حَسُنَ خُلُقُهُ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»(٢).

(٤) مَنْ عَالَ جاريتين حتى تبلغا:

عَنْ أَنسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَينِ**» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ(٣).

(٥) الشُّهداء المقاتلون في الصف الأول:

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ لا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) حسن: رواه أبو داود، والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٧).

الوسيلة .. أعلى منزلة في الجنة

والوسيلة هى أعلى منزلة فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا) وهى من نصيب خليل الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله (موسى)، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ.

وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال موسى: «**رب لم أظن أن ترفع علىَّ أحدًا**»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، فإنه مَن صلَّى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»[2].

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه **أَنَّ** رسولَ الله ﷺ **قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦١٤) كتاب الأذان.

وسُمِّيت درجة النبي ﷺ الوسيلة؛ لأنَّ أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن.... قال الإمام ابن القيم: وهي أقرب الدرجات إلى الله .. وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القُرب ... قال: ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربِّه وأعلمهم به، وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبَّة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة ... وأمر النبي ﷺ أمَّته أن يسألوها له؛ لينالوا بهذا الدُّعاء زُلفى من الله وزيادة الإيمان(١).

قوة النبي ﷺ تعدل قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة

ففى صحيح البخارى من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبى ﷺ يطوف على نسائه فى ليلة واحدةٍ وله تسع نسوة.

وفى رواية للبخارى عن قتادة أنه قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهُن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أَوَ كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أُعطى قوة ثلاثين... وفى رواية «**قوة أربعين**».

قال الحافظ فى الفتح: وفى صفة الجنة لأبى نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد «**من رجال أهل الجنة**» وعند أحمد والنسائى وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه «**إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائةٍ فى الأكل والشُرب والجماع والشهوة**» فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف(٢).

(١) حادي الأرواح (٧٧، ٧٨).

(٢) (فتح الباري:١/ ٤٥٠).

صور من المتع واللذات النفسية والقلبية

فكما أن أهل النار يُعذَّبون عذابًا حسيًّا ومعنويًّا فكذلك أهل الجنة يتمتعون بمتع ولذات جسدية ونفسية.

ووالله لولا أن الله (جل وعلا) لم يكتب الموت على أهل الجنة لماتوا من تلك اللذات التى لا تخطر على قلب بشر.

۞ ومن بين تلك اللذات بعد لذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

۞ صحبة النبى ﷺ فى الجنة:

وهل هناك لذة بعد لذة النظر إلى وجه الله تعالى أعظم من صحبة النبى ﷺ فى الجنة.

۞ إنها اللذة التى حملت ربيعة بن مالك على أن يقول للنبى ﷺ حينما سأله قائلًا: «**سلنى شيئًا يا ربيعة**».

قال ربيعة بلا تردد: أسألك مرافقتك فى الجنة.

۞ وها هو رجلٌ آخر قد اشتاق لصحبة النبى ﷺ فى الجنة.

فقد جاء فى الحديث أن رجلًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وإنك لأحب إلىَّ من أهلى. وإنك لأحب إلىَّ من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ

﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ (١) (٢).

الفوز بالرضوان:

قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٣).

قال ابن عباس في تفسيرها: «أكبر مما يوصف» (٤).

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة!! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك! والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب!! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» (٥).

سلامة القلوب والصدور:

قال تعالى حاكيًا عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ (٦).

ونزع الغل في الجنة هو أن يطهر الله نفوس أهل الجنة من الانفعال بخواطر الشر التي يدخل من ضمنها الغل، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ﴿وَنَزَعْنَا﴾ للتنبيه على تحقق وقوعه، فما أنزلهم الله دار كرامته إلا بعد أن نزع الغل والحسد من قلوبهم، فتمتعوا بالجنة، وقابلوا إخوانهم هناك

---

(١) سورة النساء: الآيتان: (٦٩، ٧٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٩٣٣).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٤) زاد المسير (٣/ ٤٦٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٦) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

على السُّرر متلذذين بالنظر إليهم، وفى مقابلة وجوههم لوجوه بعض كانت سلامة صدورهم ونزع الغل من قلوبهم، ولو لم يفعل ذلك لفقدوا لذة الجنة، إذ يرى المظلوم ظالمه سارحًا فى الجنة مستمتعًا بها، فيبقى فى نفسه شيء ليتدابروا ويتقاطعوا، وهل فى الجنة قطيعة؟!

وقد فضَّل الله عَزَّوَجَلَّ بين أهل الجنة فى المنازل، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، لكنه لما نزع الحسد من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها، وأقربهم عهدًا بدخول الجنة، أنه أفضلهم منزلة، وأكرمهم درجة، وأوسعهم دارًا، فقرَّت عينه وطاب عيشه وذهب غمه، وهل يُتصوَّر أصلًا وجود هَمٍّ هناك!!.... قال ﷺ فى وصف أهل الجنة: «**قلوبهم على قلب رجلٍ واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد**»(١).

۞ لكن متى وأين تتم عملية التطهير هذه؟!

يتم ذلك عند القنطرة التى بين الجنة والنار، وهى جسر يسميه بعض العلماء بالصراط الثانى، وهى المرحلة الأخيرة قبل دخول الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «يخلُص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا؛ حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم فى دخول الجنة»(٢) (٣).

۞ ذهاب الحزن:

وذلك لأن المسلم سينسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٦٥٣٥) كتاب الرقاق.

(٣) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٧١-٧٢).

الرحمن (جل وعلا).

قال رسول الله ﷺ: «... **ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مَرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط**»(١).

۞ ولذا قال تعالى حاكيًا على لسان أهل الجنة:

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(٢) أى: وقالوا عند دخولهم الجنة: الحمدُ لله الذى أذهب عنا جميع الهموم والأكدار والأحزان.

قال المفسرون: عبَّر بالماضى ﴿وَقَالُوا۟﴾ لتحقق وقوعه، والحزن يعمُّ كل ما يكدر صفو الإنسان من خوف المرض، والفقر، والموت، وأهوال القيامة، وعذاب النار وغير ذلك(٣).

قال الزجَّاج: «أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد»(٤).

۞ فما كان من الأحزان بسبب هموم الدنيا: مثل حمل هم الرزق والأمراض والابتلاءات فإنه سيذهب مع أول غمسة فى الجنة.

وما كان من الأحزان بسبب هموم الآخرة كالخوف من عذاب النار وسخط العزيز الجبار فإن أهل الجنة لن يدخلوا الجنة إلا إذا رضي الله عنهم وأنجاهم من النار... فدخول الجنة يُذهب كل الأحزان التى كان أهل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٣) تفسير أبى السعود (٤/ ٢٤٥).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٩٨).

الجنة يعانون منها فى الحياة الدنيا.

وفيه إشارة إلى أن أهل الجنة هم أهل حزن وبلاءات فى الدنيا، حتى قال إبراهيم التيمى: «ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾(١)، وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾(٢)»(٣).

❁ إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا عمله:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ:** ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ **قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين**» - الأبناء -(٥).

وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان....... إلى ثلاثة أقوال:

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم فى إيمانهم فأتوا

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الطور: الآية: (٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٤/ ٢١٥).

(٤) سورة الطور: الآية: (٢١).

(٥) أخرجه البزار (ص٢٢١)، وابن عدى (ق٢٧٠/ ١)، والبغوى فى «التفسير» (٨/ ٨٢- منار)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٤٩٠).

من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم فى الدرجات.

قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فجعل الفعل فى الاتباع لهم، قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾(١).

وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه**» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلَّغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها. قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى: أنه سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية، وهذا كما أن زوجات النبى ﷺ معه فى الدرجة تبعًا وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنهم ليسوا تابعين للآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهَلُمَّ جرًّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون فى درجة السابقين.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٨٤).

قالوا: ويدل عليه أيضًا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا فى الدرجة كما جعلهم تبعًا معهم فى الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا بل إيمان استقلال.

وأيضًا فالحور العين الخدم فى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يُرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدى: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا.

قال الكلبى عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء. وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء..... قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتَهُم﴾ فهذا من حق البالغين.

ومن قرأ: (وأتبعناهم ذرياتهم). فهذا حق الصغار[١].

۞ الأمن من الفزع:

قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[٢].

فإن سألت: كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبلها بآيتين: ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣].

أجيب على ذلك بجوابين:

الأول: الفزع هو الرعب الحاصل ابتداء من نفخة الصور من معاينة

(١) مختصر حادى الأرواح (ص: ١٨٤-١٨٥).

(٢) سورة النمل: الآية: (٨٩).

(٣) سورة النمل: الآية: (٨٧).

أهوال القيامة، ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الفطرة البشرية، وإن كان المحسن يأمن وصول أى ضرر منه إليه.

الثانى: أن هذا الرعب لا يحصل للمؤمنين الفائزين لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، ومن هؤلاء: المؤمنون الذين لن يحدث لهم أى فزع أو اضطراب، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

وهى آية جامعة مانعة لأن الرجل إذا علم أنه لا يمسه السوء كان فارغ البال، وإذا لم يحزن بسبب فوات الماضى كان فى أحسن حال، فحينئذ يكون قد سلم عن كل الآفات، ولا يكون ذلك فى مكان إلا فى الجنة[2].

ضحك أهل الجنة من أهل النار

لقد كان الكفار فى الدنيا يسخرون من المؤمنين ويستهزؤن بهم...

فإذا كان يوم القيامة فإن الله ينصر عباده المؤمنين ويقتص لهم من هؤلاء الكافرين.. بل ويجعل المؤمنين وهم فى نعيم الجنة يسخرون من هؤلاء الكفار وهم يُعذَّبون فى النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا
ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ
أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦١).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٧٢ - ٧٣).

﴿ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[1].

۞ ما خفى من النعيم كان أعظم:

قال رسول الله ﷺ: «قال الله عَزَّ وَجَلَّ: **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك فى كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]»[3].**

۞ وقال ﷺ: «**لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرٌ مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلًا من أهل الجنة اطَّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم**»[4].

۞ ولذلك لما سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كعبًا عن أعلى أهل الجنة منزلة قال له: «يا أمير المؤمنين!! ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، إن الله جل ذكره خلق دارًا جعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة»، ثم قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

قال: «وخلق دون ذلك جنتين وزيَّنهما بما شاء، وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه فى عِليين نزل فى تلك الدار التى لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج، فيسير فى مُلكه فلا تبقى خيمة من

(١) سورة المطففين: (٢٢-٣٦).

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٣٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥١).

خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذا الريح.. هذا ريح رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى مُلكه».

۞ ونحن نعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ وصف فُرش أهل الجنة قائلًا: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ ﴾(١) فإذا كانت البطانة التى لا نراها من الإستبرق فما ظنك بالظاهر.

قيل **لسعيد بن جبير**: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: «هذا مما قال الله: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٢) (٣).

۞ وهكذا... ففى الجنة من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر... ولذا لم يذكر الله (عَزَّوَجَلَّ) كل أنواع النعيم فى الجنة لأن عقول البشر لن تستطيع أن تتصور مدى عظمة النعيم الذى أعده الله لعباده فى الجنة.

أمنيات أهل الجنة

يتمنى بعض أهل الجنة فيها أمانى تتحقق على نحو عجيب، لا تشبه حال ما يحدث فى الدنيا،... وقد حدثنا الرسول ﷺ عن بعض هذه الأمانى وكيفية تحققها.

فهذا واحد من أهل الجنة يستأذن ربه فى الزرع، فيأذن له، فما يكاد يلقى البذر، حتى يضرب بجذوره فى الأرض، ثم ينمو، ويكتمل، وينضج فى نفس الوقت،... ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ كان يتحدث – وعنده رجل من أهل البادية –: «إن رجلًا من أهل الجنة استأذن

(١) سورة الرحمن: الآية: (٥٤).

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٣) القرطبى (١٧/ ١٥٥).

ربه فى الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟[١] قال: بلى، ولكن أحب الزرع، فبذر، فبادر الطرف نباته[٢] واستواؤه، واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شىء» فقال الأعرابى: «والله لا تجده إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب الزرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»[٣].

وهذا رجلٌ آخر يتمنى الولد، فيحقق الله له أُمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل زوجه وتضع في ساعة واحدة.

قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ، كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، كَمَا يَشْتَهِي»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى، وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[٥].

تلك الجنة .. فأين مهرها؟

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى كتابه القيم «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح»:

«وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من

(١) أى فيما شئت من أنواع النعيم وألوان الطعام والشراب.

(٢) سابق النظر.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٣٤٨) كتاب المزارعة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى (٢٥٦٣) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٣٣٨) كتاب الزهد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٩).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحُلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسُرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلا فى السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها

فهى غُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهى الأَسرَّة عليها البشخانات -وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب- فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، وحيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حُليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مُخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين -الشمس والقمر- وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها،

كما يرى فى المرآة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالًا، مُبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى... هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا،وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حَور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيِّرات الحسان، اللاتى جُمع لهن بين الحسن والإحسان، فأُعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر وإن سألت

عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبّلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل، وإن نوّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدًا. وجُمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدًا، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نُصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويُثقل موازيننا. ويُدخلنا

الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا تُرد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب -جل جلاله- الحُجُب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضَره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يُذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[1].

فحى على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيمُ

ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونَسلمُ[2]

---

(١) سورة القيامة: الآيات: (٢٢-٢٥).

(٢) حادى الأرواح/ (ص: ٢٦٢: ٢٦٥) بتصرف.

الجنة دار الخُلد

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١).

وقد تقدم قول النبى ﷺ: «مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٢) وقوله: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا» فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)(٤).

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٥) وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا......(٦).

---

(١) سورة هود: الآية: (١٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٦) كتاب الجنة.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة.

(٥) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة.

أعياد المؤمنين في الجنة

وأما أعياد المؤمنين فى الجنة فهى أيام زيارتهم لربهم عَزَّوَجَلَّ فيزورونه، ويكرمهم غاية الكرامة، ويتجلى لهم وينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم من ذلك ... وهو الزيادة التى قال الله تعالى فيها ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه:

إن يومًا جامعًا شملي بهم ذاك عيدٌ ليس لي عيدٌ سواه

كل يوم كان للمسلمين عيدًا فى الدنيا فإنه عيد لهم فى الجنة، يجتمعون فيه على زيارة ربهم، ويتجلى لهم فيه ... ويوم الجمعة يُدعى فى الجنة يومَ المزيد ... ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة.

وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة ... فهذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد، يزورون ربهم كلَّ يوم مرتين بُكرة وعشيًا.

الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعيادًا فصارت أيامهم فى الآخرة كلها أعيادًا.

قال الحسن: كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد... كل يوم يقطعه المؤمن فى طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد(١) .

(١) لطائف المعارف/ لابن رجب الحنبلى (ص: ٥٥١، ٥٥٢).

يوم المزيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أن جبريل قال: «إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عِلِّيين على كرسيِّه، ثم حفَّ الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصدِّيقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى يُنظر إلى وجهه وهو يقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه الرضا فيقول عز وجل:

رضائي أحلكم داري، وأنالكُم كرامتي فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصِّدِّيقون: ويرجع أهل الغُرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها غرفها وأبوابها، مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دُعي يوم المزيد»(١).

---

(١) حسن لغيره: البزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٩٤ / ٣٥١٩)، والأوسط (٧/ ١٥ / ٦٧١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩/ ٤٢٢٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٢٧): البزار والطبراني وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وإسناد البزار فيه خلاف، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٧٦١): حسن لغيره.

ورضوان من الله أكبر

قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(٣).

۞ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٣) سورة البينة: الآيتان: (٧-٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

لذة النظر إلى وجه الله تعالى

وها هى أعظم لذة لأهل الجنة فى الجنة... ألا وهى لذة النظر إلى وجه الله (عَزَّوَجَلَّ).

ولذلك كان النبى ﷺ يدعو دائمًا بهذا الدعاء: «... **وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة...**»[1].

۞ وعن أبى هريرة «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «**هل تُضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك...**»[2].

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: كنا جلوسًا مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا**» ثم قرأ قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[3].

وأما حديث صهيب فرواه مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الحِجابُ فَمَا**

(١) رواه النسائى والحاكم عن عمار وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٣) سورة ق: الآية: (٣٩).

أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾(١).

وأما حديث أبى موسى ففى الصحيحين عنه عن النبى ﷺ قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ تبارك وتعالى إِلَّا رداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكًا يوم القيامة**»(٢).

تفاوُت النظر

ومن المعلوم أن كل أهل الجنة يتلذذون بالنظر إلى ربهم (جل وعلا) لكن من المؤكد أنه سيكون هناك تفاوت بينهم فى تلك اللذة فكما أنه سيكون بينهم تفاوت فى دخول الجنة فكذلك سيكون هناك تفاوت فى النظر... فمنهم من يدخل بغير حساب ولا عذاب ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والعذاب الشديد ومنهم من يدخل الجنة قبل أخيه بألفى عام.. ومنهم من يكون فى أعلى درجات الجنة فى الوقت الذى يكون فيه من هو أدنى منه فى درجات الجنة.

۞ ولذلك فإن الناس سيتفاوتون فى لذة النظر كما بين السماء والأرض لأن «لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته فى الدنيا، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف

---

(١) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد، والطبرانى، وصححه الألبانى فى الصحيحة لشواهده (٧٥٥).

بالمحبوب وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم»[١].

۞ بل هناك تفاوت فى عدد المرات التى يتلذذ بها العبد برؤية وجه ربه (جل وعلا) كما يقول ابن سعدى فى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢].

«أى تنظر إلى ربها حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيًّا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم وجماله الباهر، الذى ليس كمثله شىء».

۞ ومن أجل ذلك فإن الله (جل وعلا) قد جمع لعباده المؤمنين بين التمتع بنعيم الجنة وبين التمتع برؤية وجهه (جل وعلا) فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[٣].

الله يُنشئ للجنة خلقًا جديدًا

ومن رحمة الله (جل وعلا) أنه بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ويظفر كل واحدٍ منهم بنعيم لا يخطر على قلب بشر فإنه يبقى فى الجنة فضلٌ فيخلق الله خلقًا جديدًا ويُسكنهم فضل الجنة.

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: **«لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا**

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣) بتصرف.
(٢) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢-٢٣).
(٣) سورة المطففين: الآيتان: (٢٢-٢٣).

فيسكنهم فضل الجنة»(١).

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: «**وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد**» فغلط من بعض الرواة.

فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢) .... ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

يمر المؤمنون فى الموقف العظيم بأهوال عظام، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولًا ورعبًا، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه، فقد أذهب عنهم الحزن، وصدقهم وعده، وأورثهم الجنة»(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٤٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الملك: الآيات: (٨-١٠).

(٣) الجنة والنار (ص: ٢٥٦).

(٤) سورة يونس: الآيتان: (٩-١٠).

قال حجاج عن ابن جريج أُخبرت أن قوله: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾. قال: إذا مر بهم الطير ليشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾. قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة.

وفي الحديث: «**أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين**». فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يُلهمونهما كما يُلهمون النَّفَس.

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى من عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ

(1) سورة فاطر: الآيات: (٣٣-٣٥).

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

الجنة أولاً

۞ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّما، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ:

«أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ» (٢).

وهذا الحديث يُلخِّص على نحوٍ موجز ورائع موقف الناس من الله والسير إليه، وكيف أن جزاء كل واحد منهم كان من جنس عمله.

فأما الأول: « **فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ** »:

وفيه المسابقة إلى سدِّ الفُرَج بمعنى التقدُّم إلى مواطن البذل والخيرات قبل الغير، والسبق إليها، وثوابها الرائع: إيواء الله الخالق العظيم الذي لا يُقيِّد كرمه شيء ولا تضيق به حدود .... هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وسد الفُرَج فيه معنى سد الثغرات التي لا تُسَدُّ إلا بك، فإذا كنت في مكان لا ينصر فيه الإسلام أو يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر أو يرد غيبة مسلم أو يغض بصره أو يمسك لسانه غيرك، بحيث تكون الفضيلة متوقفة

---

(١) سورة الزمر: الآيات: (٧٣-٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦) كتاب العلم، ومسلم (٢١٧٦) كتاب السلام.

عليه وإلا ماتت، والخير نابع من وجودك وإلا انعدم، فعندها يتضاعف ثوابك وتنال أجر السابقين.

۞ « وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ »:

أي: ترك المُزاحمة وَتَخَطِّي الرقاب حياءً من الله تعالى ومن النبي ﷺ والحضور، أو استحياءً منهم أن تأخر ولم يدرك الحلقة، أو استحى أن يُعرِض ذاهبًا كما فعل الثالث، فاستحيا الله منه فرحمه ولم يُعذِّبه، وقيل: جازاه بعظيم الثواب، لكنه مع ذلك لم يلحق بدرجة صاحبه الأول في الفضل والرتبة الذي آواه ربه وأكرمه بلطفه وقربه، فشتَّان ما بين الدرجتين.

۞ « وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ »، وفي رواية أنس رضي الله عنه: «**فاستغنى فاستغنى الله عنه**»، أي: لم يرحمه وسَخِطَ عليه، وفي هذا إشارة إلى أن هذا الرجل ذهب مُعرِضًا عن الخير لا لعذر وضرورة ... وفيه ذم مَن زهد في الخير وأعرض، وهذا حال أكثر الخلق.

كما ناجى بعض الصالحين ربه فقال:

«إلهي! ما أكثر المُعترضين عليك والمُعرضين عنك، وما أقل المُتعرضين لك».

وإن المرء تتعدد أهدافه في دُنياه، على حسب مراحل حياته ومسؤولياته التي تتراكم عليه كلما تقدَّم في العمر، فهل تبقى الجنة في سلم الأولويات، أم تتراجع في ظل الضغوط والمغريات؟! هذا هو السؤال الذي يحتاج من كُلٍّ منا إلى إجابة ... وبسبب نسيان الإنسان وغفلته وجد عبد القادر الجيلاني نفسه مضطرًا إلى أن يقول:

«اجعل آخرتك رأس مالك، ودنياك ربحه، واصرف زمانك أولًا في

تحصيل آخرتك، ثم إن فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك وفي طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه، ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك»(١).

وطمأن الحسن البصري جموع الخائفين وعموم الحريصين على دنياهم والباذلين في سبيلها كل ما يملكون فقال مُوجِّهًا خطابه إلى الشباب خاصة:

« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيْكُمْ بِالْآخِرَةِ فَاطْلُبُوهَا؛ فَكَثِيرًا رَأَيْنَا مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ فَأَدْرَكَهَا مَعَ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا طَلَبَ الدُّنْيَا فَأَدْرَكَ الْآخِرَةَ مَعَ الدُّنْيَا »(٢).

انفروا خِفافًا وثِقالاً

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾(٣).

۞ وفي معنى خِفافًا وثقالًا أورد ابن الجوزي أحد عشر قولًا:

«أحدها: شيوخًا وشبابًا.

والثاني: رجّالةً ورُكبانًا.

والثالث: نِشاطًا وغير نِشاط.

والرابع: أغنياء وفقراء.

والخامس: ذوي عيال، وبغير عيال.

والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع.

(١) فتوح الغيب (ص ١٢٤).
(٢) الزهد للبيهقى (ص٩) نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).
(٣) سورة التوبة: الآية: (٤١).

والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال.

والثامن: أصحَّاء، ومرضى.

والتاسع: عُزَّابًا، ومتأهِّلين.

والعاشر: خِفافًا إلى الطاعة، وثقالًا عن المخالفة.

والحادي عشر: خفافًا من السلاح، وثقالًا بالاستكثار منه».

وإن كانت الآية واردة في الجهاد لكن إسقاط معانيها على طلب الجنة مقبول إذ الجهاد أحد أبرز الطرق الموصلة إليها ... فهيا جميعًا .. مهما كانت أعماركم .. أحوالكم .. كلكم بلا استثناء .. اطلبوا الجنة جهدكم، وابذلوا في سبيلها أرواحكم، ولا عذر لأحدٍ منكم في التأخُّر عن الرَّكب بعد كل هذا الترغيب والتشويق ... كيف وقد انتفت عنكم الجهالة، وعرفتم عظمة المطلوب، فإلى متى الغفلة؟! إلى متى غير الحق؟! إلى متى الهوى؟! إلى متى الطيش؟! إلى متى غير الجنة؟!

أخي عاقد الصفقة وبائع الدنيا في سبيل الآخرة: اجعل همك الأول الجنة، واقطع قائمة أعذار التخلُّف عنها بعزمك، واحزم أمتعتك نحوها بهمتك، ثم حُطَّ رحالك في حيٍّ عشاقها، وقِفْ على عرفاتهم، وطُف بسيرتهم كلما عجَّت الدنيا حولك بعشاق الزيف الفارغ والدنيا الزائلة، واعلم أن كثرة ذكر سِيَر عشاق الجنة تدفع المُبحِرين إلى خِضَمِّ البذل وأمواج العمل دون تردُّد أو وَجَل، فهيا جميعًا .. انطلقوا.

أما المتسلِّحون بالأعذار المتعللون بالأوهام، فهؤلاء في وادٍ وعشاق الجنة في وادٍ ... وهي الصيحة العالية التي أطلقها أبو عبد الله القرشي يصك بها الآذان الصم ويعالج قلوب المتلكئين ويمزِّق قائمة أعذارهم التي لا

تنتهي بقوله: «سيروا إلى الله تعالى عرجًا ومكاسير، فإن انتظار الصحة بطالة»(١).

هل تستحق الدنيا أن نضحى من أجلها بالجنة

وأخيرًا بعد أن عشنا سويًّا رحلة الفرحة ومشاهدها التى تُثلج الصدور بقى لنا أن نسأل أنفسنا سؤالًا واحدًا:

هل تستحق الدنيا أن تجعل المؤمن ينشغل بها عن طاعة الله جل وعلا، وأن يُحرَم من تلك الفرحة الغامرة؟!!

كلا والله... لأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

ولذا قال الحبيب ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا**»(٢).

بل يكفى والله أن تعلم أن حب الدنيا يبعدك عن محبة الله جل وعلا، وأن الزهد فيها يجعلك تظفر بمحبته.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دُلَّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(٣).

بل تأمل معى لحال (أنعم أهل الدنيا) الذى انشغل بدنياه عن دينه وعن طاعة ربه عَزَّ وَجَلَّ.

قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٦) نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى رَحِمَهُ الله فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يقال له: يا ابن آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(١).

فيا له من مشهد تنخلع منه القلوب... فمتاع الدنيا بأسرها يُنسى مع أول غمسة فى نار جهنم.

بل إن الله (جل وعلا) حينما يسأل الكفار والمنافقين، ويقول لهم: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ فإنهم يشهدون أن الدنيا بأسرها وبكل ما فيها من نعيم ولذة فانية لا تساوى يومًا ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ فيبكتهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٢).

فهل تستحق ساعات لذة مؤقتة أن يفرط المسلم فى دينه وينسى ربه وخالقه ويترك الجنة ونعيمها؟!

إذن فلنبدأ صفحة جديدة كلها فرحة بطاعة الله جل وعلا، عسى الله أن يجمعنا على أجمل فرحة إخوانًا على سُررٍ متقابلين وتنادينا الملائكة وتقول: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١١٢-١١٤).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٣).

النفس تبكى على الدنيا

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه ... وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مُسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... وديارنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت ... أمست خرابًا وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ ... الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللِّين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يُفنينا ويفنيها
واعمل لدارٍ غدًا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مُصفًّى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً ... تُسبِّح الله جهرًا فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس يَعْمرُها ... بركعةٍ فى ظلام الليل يُحييها[1]

---

(١) الأبيات من شعر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شعرٌ في وصف الجنة

وَمَــــا ذَاكَ إلا غَيْــــرَةٌ أَنْ يَنَالَهَــــا ... سِوَى كُفْؤِهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ
وَإِنْ حُجِبَــتْ عَنَّــا بِكُــلِّ كَرِيهَــةٍ ... وَحُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النُّفُوسَ وَيُؤْلِمُ
فَلِلَّـهِ مَـا فِـي حَشْوِهَا مِـنْ مَسَرَّةٍ ... وَأَصْـنَافِ لَـذَّاتٍ بِهَـا يُتَـنَعَّمُ!!
وَللهِ بَـرْدُ الْعَـيْشِ بَـيْنَ خِيَامِهَـا ... وَرَوْضَاتِهَا وَالثَّغْرُ فِي الرَّوْضِ يَبْسِمُ
فَلِلَّـهِ وَادِيهَـا الَّـذِي هُـوَ مَوْعِـدُ الْـ ... ـمَزِيدِ لِوَفْدِ الْحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمُ
بِـذَيَّالِكَ الْـوَادِي يَهِـيمُ صَـبَابَةً ... مُحِـبٌّ يَـرَى أَنَّ الـصَّبَابَةَ مَغْـنَمُ!
وَللهِ أَفْـرَاحُ الْمُحِبِّـينَ عِنْـدَمَا ... يُخَـاطِبُهُمْ مِـنْ فَـوْقِهِمْ وَيُـسَلِّمُ
وَللهِ أَبْـصَارٌ تَـرَى اللهَ جَهْـرَةً ... فَـلا الـضَّيْمُ يَغْشَاهَا وَلا هِـيَ تَسْأَمُ
فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْهِ نَضْرَةً ... أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ؟
وَللهِ كَـمْ مِـنْ خَيْـرَةٍ لَـوْ تَبَـسَّمَتْ ... أَضَـاءَ لَهَـا نُـورٌ مِـنْ الْفَجْـرِ أَعْظَـمُ
فَيَـا لَـذَّةَ الأَبْـصَارِ إِنْ هِـيَ أَقْبَلَـتْ ... وَيَـا لَـذَّةَ الأَسْـمَاعِ حِـينَ تَكَلَّـمُ
وَيَا خَجْلَةَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْثَنَتْ ... وَيَا خَجْلَةَ الْبَحْرَيْنِ حِينَ تَبَسَّمُ؟؟
فَـإِنْ كُنْـتَ ذَا قَلْـبٍ عَلِيـلٍ بِحُبِّهَـا ... فَلَـمْ يَبْـقَ إِلا وَصْـلُهَا لَـكَ مَـرْهَمُ
وَلاسِيَّمَا فِـي لَثْمِهَـا عِنْـدَ ضَـمِّهَا ... وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمُ
يَرَاهَـا إِذَا أَبْـدَتْ لَـهُ حُـسْنَ وَجْهِهَـا ... يَلَـذُّ بِهَـا قَبْـلَ الْوِصَـالِ وَيَـنْعَمُ
تَفَكَّـهُ مِنْهَـا الْعَـيْنُ عِنْـدَ اجْتِلائِهَـا ... فَوَاكِـهَ شَـتَّى طَلْعُهَـا لَـيْسَ يُعْـدِمُ
عَنَاقِـدُ مِـنْ كَـرْمٍ وَتُفَّـاحُ جَنَّـةٍ ... وَرُمَّـانُ أَغْـصَانٍ بِهَـا الْقَلْـبُ مُغْـرَمُ
وَلِلْـوَرْدِ مَـا قَـدْ أَلْبَـسَتْهُ خُـدُودُهَا ... وَلِلْخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ وَالفَمُ

تَقسم مِنْهَا الحُسنُ فِي جَمعِ واحدٍ ... فَيــا عَجَبًــا مِــن وَاحــدٍ يَتَقَــسَّمُ
لَهَا فِرَقٌ شَتَّى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ ... بِجُمْلَتِهَـــا إِنَّ الـــسُّلُوَّ مُحْـــرَّمُ
تُــذَكِّرُ بِــالرَّحْمَنِ مَــنْ هُــوَ نَــاظِرٌ ... فَيَنْطِـــقُ بالتَّــسْبِيح لا يَتَلَعْـــثَمُ
إِذَا قَابَلَـتْ جَـيْشَ الْهُمُـومِ بِوَجْهِهَـا ... تَـوَلَّى عَلَـى أَعْقَابِـهِ الْجَـيْشُ يُهْـزَمُ
فَيَا خَاطِبَ الْحَسْنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا ... فَهَـذَا زَمَـانُ الْمَهْـرِ فَهُـوَ الْمُقَـدَّمُ
وَلَمَّـا جَـرَى مَـاءَ الـشَّبَابِ بِغُـصْنِهَا ... تَـيَقَّنَ حَقًّـا أَنَّـهُ لَـيْسَ يَهْـرَمُ
وَكُـنْ مُبْغِـضًا لِلْخَائِنَـاتِ لِحُبِّهَـا ... لِتُحْظَـى بِهَـا مِـنْ دُونِهِـنَّ وَتَـنْعَمُ
وَكُـنْ أَيِّمَـا مِمَّـا سِـوَاهَا فَإِنَّهَـا ... لِمِثْلِـكَ فِـي جَنَّـاتِ عَـدْنٍ تَـأَيَّمُ
وَصُمْ يَوْمَكَ الأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ ... تَفُـوزُ بِعِيـدِ الْفِطْـرِ وَالنَّـاسُ صُـوَّمُ
وَأَقْـدَمْ وَلا تَقْنَـعْ بِعَـيْشٍ مُـنَغَّصٍ ... فَمَـا فَـازَ بِاللَّـذَاتِ مَـنْ لَـيْسَ يُقْـدِمُ
فَحَـيَّ عَلَـى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فَإِنَّهَـا ... مَنَازِلُـكَ الأُولَـى وَفِيهَـا الْمُخَـيَّمُ
وَلَكِنَّنَـا سَـبْيُ الْعَـدُوِّ فَهَـلْ تَـرَى ... نُـــرَدُّ إِلَـــى أَوْطَانِنَـــا وَنُـــسَلِّمُ
وَقَـدْ زَعَمُـوا أَنَّ الْغَرِيـبَ إِذَا نَـأَى ... وَشَـطَّتْ بِـهِ أَوْطَانُـهُ فَهُـوَ مُغْـرَمُ
وَأَيُّ اغْتِـرَابٍ فَـوْقَ غُرْبَتِنَـا الَّتِـي ... لَهَـا أَضْـحَتْ الأَعْـدَاءُ فِينَـا تَحَكَّـمُ
وَحَيَّ عَلَى السُّوقِ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ الْـ ... ـمُحِبُّونَ ذَاكَ الـسُّوقُ لِلْقَـوْمِ يُعْلَـمُ
فَمَـا شِـئْتَ خُـذْ مِنْـهُ بِـلا ثَمَـنٍ لَـهُ ... فَقَـدْ أَسْـلَفَ التُّجَّـارُ فِيـهِ وَأَسْـلَمُوا
وَحَـيَّ عَلَـى يَـوْمِ الْمَزِيـدِ الَّـذي به ... زِيَـارَةُ ربِّ العَـرشِ فَـاليومَ مُوسـمُ
وَحَـــيَّ عَلَـــى وَادٍ هُنَالِـــكَ أَفْـــيَحِ ... وَتُرْبَتُـهُ مِـنْ أَذْفَـرِ الْمِسْكِ أَعْظَـمُ
مَنَــابِرُ مِــنْ نُــورٍ هُنَــاكَ وَفِــضَّةٍ ... وَمِـنْ خَـالِصِ الْعِقْيَـانِ لا تَتَفَـصَّمُ
وَمِـنْ حَوْلِهَـا كُثْبَـانُ مِـسْكٍ مَقَاعِـدُ ... لِمَـنْ دُونَهُـمْ هَـذَا الْعَطَـاءُ الْمُفَخَّـمُ

يَـرَوْنَ بِـهِ الـرَّحْمَنَ جَـلَّ جَلالـه … كَرُؤْيَـةِ بَـدْر الـتِّم لا يُتَـوَهَّمُ

كَذَا الشَّمْسُ صَحْوًا لَيْسَ مِنْ دُونِ … سَـحَابٌ وَلا غَـيْمٌ هُنَـاكَ يُغَـيِّمُ

فَبَيْنَـاهُمْ فِـي عَيْـشِهِمْ وَسُـرُورِهِمْ … وَأَرْزَاقُهُـمْ تَجْـرِي عَلَـيْهِمْ وَتُقْـسَمُ

إِذَا هُـمْ بِنُـورٍ سَاطِعٍ قَـدْ بَـدَا لَهُـمْ … وَقَـدْ رَفَعُـوا أَبْـصَارَهُمْ فَـإِذَا هُـمُ

بِـرَبِّهِمْ مِـنْ فَـوْقِهِمْ قَائِـلٌ لَهُـمْ: … سَـلامٌ عَلَـيْكُمْ طِبْـتُمُ وَنَعِمْـتُمُ

سَـلامٌ عَلَـيْكُمْ يَـسْمَعُونَ جَمِـيعُهُمْ … بِـآذَانِهِمْ تَـسْلِيمَهُ إِذْ يُـسَلِّمُ

يَقُولُ سَلُونِي مَا اشْتَهَيْتُمْ فَكُلَّ مَا … تُرِيـدُونَ عِنْـدِي إِنَّنِـي أَنَـا أَرْحَـمُ

فَقَالُوا جَمِيعًا نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَى … فَأَنْـتَ الَّذِي تُولِي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ

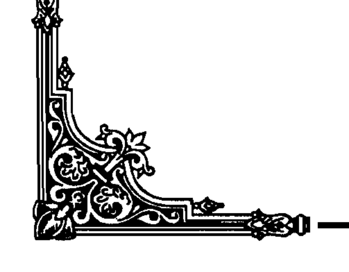
فَيُعْطِـيهِمُ هَـذَا وَيُـشْهِدُ جَمْعَهُـمْ … عَلَيْـهِ تَعَـالَى اللهُ فَـاللهُ أَكْـرَمُ

فيـا بائِعًـا هـذا بِـبَخْسٍ مُعَجَّـلٍ … كأنـكَ لا تـدري بـل سـوفَ تَعْلَـمُ

فَـإِنْ كُنْـتَ لا تَـدْرِي فَتِلْـكَ مُـصِيبَةٌ … وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ[1]

(١) مختصر حادى الأرواح للإمام ابن القيم / تحقيق المصنف (ص ١٦-١٩).


وصف النار



أنذرتكم النار

❁ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرتُكُمُ النَّارَ .. أَنْذَرتُكُمُ النَّارَ»، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ فِي مَقَامِي هَذَا سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ، حَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيهِ عِنْدَ رِجلَيْهِ(١).

وهو ملخص رسالة النبي ﷺ التي صدح بها منذ بداية بعثته وحتى رحيله إلى ربه، وتُبرز حرصه الشديد على استنقاذنا من عذاب جهنم وعتق رقابنا من النار، ولذا كان من أوائل ما نطق به النبي ﷺ بعد أن نزل عليه الوحي: **«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، إِنَّ لَكِ رَحِمًا وَسَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا»**(٢).

وكانت الرسالة واضحة وضوح الشمس وكان البدء بأهم الأمور وأعظم الأخطار: النار.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ» وَأَشَاحَ،

---

(١) صحيح: رواه الدارمي، وصححه الألباني في المشكاة (٥٦٨٧)، وصحيح الترغيب (٥٦٥٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٣) وأصله عند مسلم - و«البِلَال جمع بَلَل، وقيل: هو كلّ ما بلَّ الحلْق من ماءٍ أو لبن أو غيره». النهاية في غريب الأثر (١/ ٤٠٦). قال النووي: «شُبِّهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه: بِلُّوا أرحامكم أي: صلوها». شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٠) وبلها يكون بمعروفها اللائق بها في الدنيا أو بالشفاعة لها يوم القيامة.

ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِد فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١).

ووصيته ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ» مفادها أن من اتقى النار ترك معاندة ربه، ونظيره أن يقول الملك لحاشيته: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا غضبي، واتبعوني وأطيعوا أمري، وافعلوا كل ما يحميكم من سخطي، وهذا من أعظم البلاغة والإيجاز الذي أُوتيه نبي البلاغة والبيان.

لكن النبي ﷺ الرحيم بأمته والشَّفيق على رعيته عرض المشهد الأُخروي والحساب الدقيق بتفاصيل أكثر وأحداث أوضح لعل قلوبنا تعي وأرواحنا تخشع وجوارحنا في النهاية تخضع، فلننجرف جميعًا مع تيار جذب قوله ﷺ: «يَقِي أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ وَلَوْ بِتَمْرَةٍ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاقِي اللهَ وَقَائِلٌ لَهُ مَا أَقُولُ لِأَحَدِكُمْ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ، أَيْنَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنْظُرُ قُدَّامَهُ وَبَعْدَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ لا يَجِدُ شَيْئًا يَقِي بِهِ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ، لِيَقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٢).

ومن معاني «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»: أن الله يقبل منك أي شيء تُقدِّمه، ولعلك لا تقبل ما يقبله ربُّك!! وهل تقبل أن يهاديك أحدٌ بنصف تمرة؟!

مرَّ الحسن البصري بنخَّاس ومعه جارية، فقال للنخاس: أترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين؟! قال: لا. قال: «فاذهب، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ رضي في الحور العين بالفلس واللقمة»(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٦١٦) كتاب الزكاة.
(٢) صحيح: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١٤٧).
(٣) الإحياء (١/ ٢٢٦-٢٢٧).

التخويف من النار

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٣].

وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٤].

وقال ﷺ: «**اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا ولو بشق تمرة**»[٥].

وقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»[٦].

۞ تالله لو عرف المؤمن ما فى النار من عذابٍ ونكال لم يهنأ بعيشٍ ولم يغفل عن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

قال يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيان يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، وعجبت من النار كيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٣) سورة المعارج: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

(٤) سورة الفرقان: الآيتان: (٦٥، ٦٦).

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن فضالة بن عبيد وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٧) سورة الأعراف: الآية: (٩٧).

وقال أبو الجوزاء: لو وُلِّيت من أمر الناس شيئًا اتخذت منارًا على الطريق وأقمت عليها رجالًا ينادون فى الناس: النار النار.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾(١).

قال الحسن فى قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال: «والله ما أُنذر العباد بشىء قط أدهى منها».

وقال ﷺ: « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ » وفى رواية لمسلم « مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا»، قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي، وَتَقَحَّمُونَ فِيهَا »(٢).

۞ وقال إبراهيم التيمى: ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار. لأن أهل الجنة قالوا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(٣)، وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾(٤).

(١) سورة المدثر: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل.

(٣) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٤) سورة الطور: الآية: (٢٦).

وقِنا عذاب النار[١]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا النَّبِي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»[٢].

وأجمل الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا: العبادة والعافية، وفي الآخرة: الجنة والمغفرة.

ومعنى قوله: « **وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** »: احفظنا من كل شهوة وذنب يجرنا إليها ... وفيه طلب العفو عن التقصير والعصيان إن هما غَلَبَا وتَمكَّنا.

والخوف من عذاب النار واليقين به دفع بعض الصحابة إلى تمنِّي تعجيل العقوبة في الدنيا إن كان ذلك سيحميه من عقوبة الآخرة، وهذا من معرفتهم قدر العذاب واستشعارهم له ... فعن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ[٣].

ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة لهذا الدعاء في مواجهة فريقين متكتِّلين وحزبين متآزرين: أبالسة الإنس المتربصين بنشر الفحشاء وقطع الطريق

(١) الإحياء (١/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٨٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٨) كتاب الذكر والدعاء.

إلى العلياء، وشياطين الجن اللذين لا ينامون، وقد عزم كُلٌّ منهما على أن لا يدخلوا النار وحدهم ... لذا كان أعظم سلاح يُدفع به مكر الليل والنهار من هؤلاء: الدعاء ... والأمر كما قال يحيى بن معاذ:

«ابن آدم.. احذر الشيطان فإنَّه عتيق وأنت جديد، وهو فارغ وأنت مشغول، وهمته واحدة وهي هلاكك وأنت مع همم كثيرة، وهو يراك وأنت لا تراه، وأنت تنساه وهو لا ينساك، ومن نفسك للشيطان عون عليك».

كان من دعاء النبي ﷺ:

« اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ »[١].

وهو كما ترى يعلِّمك هذا الدعاء لتحفظه وتستحضره دومًا في خاطرك، وهي الوصية التي كررها النبي ﷺ مع أم حبيبة رضي الله عنها، لكن هذه المرة بالأمر المباشر والتوجيه القاطع... واسمع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **« سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ أَجَلِهِ، وَلا يُؤَخِّرَ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»**[٢].

وهي وصية مباركة بركة التوجيه النبوي تعيد صياغة النفس المؤمنة على نحوٍ يجعل الآخرة مُقدَّمة على كل شيء وفي أول سلم الأولويات، وهي ليست دعوة لعدم سؤال الله من فضله بل دعوة لإعطاء الآخرة قدرها

(١) حسن: رواه النسائى عن عائشة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٣) كتاب القدر.

وإنزالها منازلها، وهل تساوي الدنيا في الآخرة شيئًا؟! فإلى الله نشكو همة دنيوية ورغبات أرضية صرفت القلب عن حياته وتركته في سُباته.

❁ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا قال ﷺ:

«إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١).

فهذه خمس مرات يوميًّا على الأقل يذكر فيها المسلم جهنم ويتعوذ منها، جعلها الله لفريضة يذكرها المرء إجباريًّا، فلا مجال للنسيان أو الانشغال، وعندما تنتهي صلاتك فلا تفعل جوارحك ما يوردك ما تعوَّذ منه لسانك منذ لحظات، وإلَّا كنت ...!! كنت ماذا؟!

بل حرص النبي ﷺ على أن يُعلِّم أصحابه هذا الدعاء ويُحفِّظهم إياه كأنه سورة من القرآن!! ... فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ **كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»**(٢).

وورث أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المهمة واستمر في أداء الرسالة قائمًا بها على أكمل وجه، وذلك بطريقة مبتكرة وصيحة متكرِّرة، فكان له صيحتان كل يوم: أول النهار وآخره...يقول: ذهب الليل وجاء النهار وعُرِض آل فرعون

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٨٨) كتاب المساجد.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٩٠) كتاب المساجد.

على النار، فلا يسمعه أحد إلا استعاذ بالله من النار[١].

يا من يطمع في العتق من النار ثم يمنع نفسه الرحمة بالإصرار على كبائر الآثام والأوزار .. استعذ بالله من النار[٢].

هل النار موجودة الآن؟

۞ بلى .. إنَّ النار مخلوقة وهي موجودة الآن.

ولا بد أن نعلم أن من عقيدة أهل السنة والجماعة التي لم يشذَّ عنها أحدٌ منهم أنَّ الجنَّة والنار موجودتان الآن، ولم يُخالف في هذا إلا من لا يُعتد بإجماعهم كالقدرية والمعتزلة، فإنَّهم أنكروا أن تكون الجنة والنار موجودتين الآن.

۞ وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن النار موجودة:

(١) أدلة الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾[٤].

(٢) أدلة السنة:

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، وَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[٥].

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١١).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص ٤٢-٤٥) بتصرف.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٣١).

(٤) سورة النبأ: الآيتان: (٢١، ٢٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٥٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فَذَكَرَتِ الْحَدِيثَ وَفِيهِ-: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ بِهِ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي آخُذُ قِطْفًا من الجنة حين رأيتموني تقدمت ولقد رأيت النار يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرتُ»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»(٣).

رأيت الجنة والنار

* قال أحد السلف: والله لقد رأيت الجنة والنار!!!

فقالوا له: كيف ذلك؟!

قال: رأيتها بعيني رسول الله ﷺ.. فإن عيني قد تطغى أو تزيغ.. أما عين رسول الله ﷺ فلا تزيغ ولا تطغى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾(٤).

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢١٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٢٦) كتاب الصلاة.

(٤) سورة النجم: الآية: (١٧).

قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»(١).

فقد رأى النبي ﷺ ما لم يرَ أحدٌ قبله، وما لن يراه أحدٌ بعده.

وهي ليست رؤيا بشر كأي بشر، بل رؤيا المعصوم الذي لم تتلطَّخ بصيرته بمعصية قط ... حاشاه، ولم تمسّ فطرته غفلة أو خاطر غفلة وما أجلّه وأسماه، لذا كانت أصدق حقيقة دون أدنى زيادة أو نقصان.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه:

« وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»(٢).

وفي رواية: أن الصحابة بكوا على إثر ذلك بكاءً شديدًا، ثم انصرف عنهم رسول الله ﷺ فأوحى الله عز وجل إليه: «يَا مُحَمَّدُ، لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟»، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا، وَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا»(٣).

لقد رأى النبى ﷺ كل ما غاب عنا ... رأى النعيم الرائع وبجواره الشر المُفزع في لحظة تاريخية نادرة لن تتكرر ليخرج بعدها إلى أصحابه مُحذِّرًا ومُنذرًا حتى انفطرت قلوبهم لما رأوا عليه رسولهم من الخوف والوجل.

* قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٢٦) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣١٩٤).

رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»[(١)].

ويرى النبي ﷺ مالك خازن النار، ويرى قبله الأنبياء واحدًا واحدًا ووجهًا لوجه ويصفهم بأشكالهم، ثُم يرى مالك خازن النار بهيئته الملائكية التي خلقه الله عليها، وكأنَّ المراد إثبات أن ما رآه النبي ﷺ كان واضحًا حقيقة لا خيالًا، جسدًا لا صورة، وأي صناعة على عين الله أروع من هذا!! وأي قلب نتعلم على يديه؟! وأي قلب نستقي منه!! وأي كلام يروينا مثل كلمات النور تفيض من لسان نبينا الذي ما زاغ بصره يومًا وما غوى.

قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرتُ**»[(٢)].

إنها المشاهدة الحقيقية للنار بعيني النبي ﷺ... ففي لحظة فريدة رأى النبي ﷺ المستقر النهائي والنهاية الأكيدة رأي عين ولمس يد، واطلع على كل ما يشحن القلب شوقًا إلى الجنة أو خوفًا من النار، لتكون النذارة طازجة مؤثرة ناجعة تجعل اللسان أفصح والحجة أبين والصورة حقيقة والغيب شهادة ... رأى ذلك ثم حذَّر أمته من ذلك[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٢) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢١٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٣) ليلى بين الجنة والنار (ص ٤٩-٥١) بتصرف.

شُبهة من قال أن النار لم تُخلَق بعد

وقد ناقش شارح الطحاوية شُبهة الذين قالوا: لم تُخلَق النار بعد، وردَّ عليها فقال:

«وأما شبهة من قال: إنها لم تُخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطرارًا أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(١)، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾(٢).

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد، أَقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر**»(٣). وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة**»(٤).

قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغًا منها لم تكن قيعانًا، ولم يكن لهذا الغراس معنى ... قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾(٥).

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٩).

(٥) سورة التحريم: الآية: (١١).

مما لم يُذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث فيها عند دخولهم أمورًا أُخَر ... فهذا حق لا يمكن رَدّه، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١)، فأُتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن - نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم تُوفَّقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وُفِّق لذلك أئمة الإسلام.

فمن كلامهم: أن المراد ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مما كتب الله عليه الفناء والهلاك ﴿هَالِكٌ﴾، والجنة والنار خُلِقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف الجنة (٢).

النبي ﷺ يستعيذ بالله من عذابها

وها هو الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب جهنم... بل لقد كان يأمر أصحابه (رضي الله عنهم) أن يستعيذوا بالله من عذاب النار - بعد التشهد .

فقد كان ﷺ يقول: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»** (٣).

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٨).

(٢) الجنة والنار / د. عمر الأشقر (ص ١٧-١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٥٨٨) كتاب المساجد.

۞ وكان يقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار...**»(١).

۞ وكان ﷺ يقول: «**اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وربَّ إسرافيل أعوذ بك من حرِّ النار ومن عذاب القبر**»(٢).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبى ﷺ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٣)(٤).

وفى «سنن أبى داود» و«ابن ماجه» عن جابر أن النبى ﷺ قال لرجل «**كيف تقول فى الصلاة**» قال: أتشهَّد، ثم أقول: اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إنى لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ .. فقال النبى ﷺ: «**حولها ندندن**»(٥).

۞ وكيف لا يستعيذ النبى ﷺ بالله من عذابها وهو الذى رآها.

قال ﷺ: «**أُتيتُ بالبراقِ، وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ، يضعُ حافرهُ عند منتهى طرْفه فلمْ نُزايلْ ظهرَهُ أنا وجبريل حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ، ففُتحتْ لى أبوابُ السماءِ، ورأيتُ الجنةَ والنارَ**»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد.

(٢) صحيح: رواه النسائى عن عائشة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠٥).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٨٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٨) كتاب الذكر والدعاء.

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٣).

(٦) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم عن حذيفة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٨).

وأنذر عشيرتك الأقربين

ولما نزلت تلك الآية الكريمة قام النبى ﷺ ينذر قومه وعشيرته وابنته فاطمة رضي الله عنها من نار جهنم.

۞ عن أبى هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا »[2].

خوف السلف من عذاب النار

وها هى باقة عطرة من أحوال سلفنا الصالح وخوفهم من عذاب النار:

۞ عن وهب بن منبه، قال: ما عُبد الله بمثل الخوف.

۞ وقال أبو سليمان الدارانى: أصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ... وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلبٌ خَرِب.

۞ وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

۞ وسُئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل فى سبيل الله عز وجل، قال: أحبهما إلىَّ أخوفهما.

---

(١) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤) كتاب الإيمان.

۞ وقال عمر: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو.

۞ وخرّج الإمام أحمد من طريق عبد الله بن الرومى قال: بلغنى أن عثمان ﷺ، قال: لو أنى بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما يُؤمر بى لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

۞ وكان من السلف مَن إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله.

وقد قال تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾(١) ..... قال مجاهد وغيره: يعنى أن نار الدنيا تُذكِّر بنار الآخرة.

۞ وعن عطاء الخُراسانى قال: كان أويس القرنى يقف على موضع الحدَّادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط.

۞ وقال الحسن: كان عمر ﷺ ربما تُوقَد له النار ثم يُدنى يديه منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر.

۞ ولما أُهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مُطيبًا، فقام يصلى حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له صلة: إنك أدخلتنى بالأمس بيتًا أذكرتنى به النار -الحمَّام- ثم أدخلتنى بيتًا أذكرتنى به الجنة -بيت معاذة- فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت.

۞ وقال أبو نوح الأنصارى: وقع حريق فى بيت على بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يناودنه: يا ابن رسول الله..... النار، فما رفع رأسه حتى

(١) سورة الواقعة: الآية: (٧٣).

أُطفئت، فقيل ما الذى ألهاك عنها؟ قال: النار الأخرى.

۞ وعوتب يزيد الرقاشى على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خُلقت لك ما زدت على هذا ...فقال: وهل خُلقت النار إلا لى ولأصحابى ولإخواننا من الجن والإنس ...أما تقرأ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[١] ...... أما تقرأ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[٢] .... فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٣] .... وجعل يجول فى الدار ويصرخ ويبكى حتى غُشى عليه.

۞ ورُوى من غير وجه أن على بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

۞ وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يتهجد فى الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[٥] .... قال عمر: قَسَمٌ حقٌّ ورب الكعبة، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

۞ وعن أبى مهدى قال: ما كان سفيان الثورى ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتى غير مُعلَّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار.

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٣١).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٣٥).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٤٤).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٢٧).

(٥) سورة الطور: الآيتان: (٧، ٨).

۞ وفى هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

۞وكان الأحنف بن قيس يجىء إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه فيه ثم يقول: (حس.... حس)، ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

۞ وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خُثيم: يا أبتِ ما لك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباكِ ينام.

۞ وقال الحسن: إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة مُخلَّدين، وكمن رأى أهل النار مُعذَّبين ... وقال أيضًا: والله ما صدّق عبدٌ بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها.

۞ وعن إبراهيم بن محمد البصرى قال: نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجلٍ عنده متغير اللون، فقال له: ما الذى أرى بك، قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين، إن شاء الله ... فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات ... فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عينى زهرتها وملاعبها، واستوى عندى حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يُساقون إلى الجنة وأنا أُساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلى وأظمأت له نهارى، وكل ذلك صغير حقير فى جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه.

۞ وبالجملة فالخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد من الخلق،

وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية ... قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾(١).

وقال فى حق الملائكة المكرمين: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

۞ وكان بعض السلف يقول: مَن عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مُرجئ، ومن عَبَدَهُ بالخوف وحده فهو حروري، ومَن عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحدٌ مؤمن(٣).

أولو الألباب يستعيذون بالله من النار

إننا نؤمن جميعًا باليوم الآخر وبكل ما فيه من النعيم والعذاب لأننا نؤمن بالغيب الذى أخبر عنه ربنا (جل وعلا) وأخبر عنه نبينا ﷺ.

قال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٤).

۞ ولذلك قال تعالى عن المؤمنين أصحاب القلوب النقية والعقول السوية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٩).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٢٩).

(٣) بتصرف من مختصر التخويف من النار/ للإمام ابن رجب الحنبلي - اختصار وتحقيق المصنف.

(٤) رواه البيهقى عن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٩٨).

إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[١].

وفى «الصحيحين» عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ فى ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: مِمَّ يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها، قالوا: لا والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد منها مخافة، قال: فيقول: إنى أُشهدكم أنى قد غفرت لهم»[٢].

۞ وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة؛ ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أَجره من النار»[٣].

تحاجَّت الجنة والنار

قال ﷺ: «احتجَّتِ الجنَّةُ والنارُ، فقالت الجنَّةُ: يدخلنى الضعفاءُ والمساكينُ، وقالتِ النَّارُ: يدخلنى الجبارونَ والمتكبرونَ، فقالَ اللهُ للنارِ: أنتِ عذابى، أنتقمُ بكِ ممنْ شئتُ، وقالَ للجنةِ: أنتِ رحمتى، أرحمُ بكِ منْ شئتُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤُها»[٤].

وقال ﷺ: «تحاجَّتِ النَّارُ والجنَّةُ، فقَالتِ النَّارُ: أُوثِرتُ بالمتكبِّرينَ، والمتجبرينَ، وقالتِ الجنة: فما لى لا يدخلُنى إلا ضُعفاءُ الناسِ وسقطُهم وعُجَّزُهم؟ فقالَ الله عَزَّ وَجَلَّ للجنَّةِ: إنما أنتِ رحمتى، أرحمُ بِكِ منْ أشاءُ مِنْ

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٩٠-١٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) رواه الترمذى والنسائى والحاكم عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٦) كتاب الجنة.

عبادى، وقال للنارِ: إنما أنتِ عذابى أُعذِّبُ بكِ منْ أشاءُ منْ عبادِى، ولكُلِّ واحدةٍ منكما مِلؤها، فأمَّا النارُ، فلا تمتلئُ حتى يضعَ الله قدمهُ عليها فتقولُ: قَطِ قَطِ، فهنالِكَ تَمتلئُ، وينزوى بعضُها إلى بعض، فلا يظلم الله مِنْ خلقهِ أحدًا، وأما الجنَّة فإنَّ الله يُنشِئُ لها خَلقًا»[١].

إنما الأعمال بخواتيمها

قال ﷺ: «إنّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثمَّ يكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِك ثمَّ يكونُ مُضْغةً مِثْلَ ذَلِك ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ إليهِ مَلَكًا، ويُؤْمَرُ بأرْبَعِ كَلِماتٍ، ويُقالُ لهُ: اكتُبْ عَمَلَهُ ورِزْقَهُ وأجَلَهُ وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ؛ ثمَّ يَنْفُخ فيهِ الرُّوحَ، فإنّ الرَّجُلَ منكمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلاّ ذِراعٌ، فيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتابُ فيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النارِ، فيَدْخُلُ النارَ وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النارِ، حَتَّى مَا يَكونُ بَيْنَهُ وبَيْنَها إلاّ ذِراعٌ، فيَسْبقُ عَلَيْهِ الكِتابُ، فيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنّةِ فيدخل الجنة »[٢].

وقال ﷺ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٣].

وفى رواية قال ﷺ: « إنّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ الجَنّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أهْلِ النَّارِ وإنّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ النّار فِيما يَبْدُو لِلنّاسِ وهُوَ مِنْ أهْلِ الجَنّة »[٤]. زاد البخارى: « وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا ».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٧) كتاب الجنة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

أسماء النار

كلما ازدادت خطورة الشيء كثرت أسماؤه .. ولقد ذكرنا كثرة أسماء يوم القيامة عندما تحدثنا عن أهوالها .. وكذلك كثرة أسماء النار لعظم شأنها وشدة عذابها .. وهذا كله من باب التحذير منها لكي يحذر المؤمن من أن يفعل شيئًا يوصله إلى النار.

(١) **النار:** هي الدار التي أعدها الله.

وأسماء النار التي ذُكرت فى القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالآتي:

(٢) **جهنم:**

وهو من أشهر أسمائها، عياذًا بالله منها ... وكلمة جهنم مشتق من الجَهْم وهو العبوس والغِلْظَة والظُّلْمَة، كما يقال: وجهٌ متجَهِّم، أي: عَبُوسٌ مُظلم.

وقد ذكرها الله تعالى بهذا الاسم مِرارًا، كما في قوله تعالى عن المجرمين: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[1] .

فهم يُدَعُّون إلى جهنم، أي يُدفَعون إليها دفعًا عنيفًا .

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[3] .

---

(١) سورة الطور: الآية: (١٣).

(٢) سورة الملك: الآية: (٦).

(٣) سورة النبأ: الآية: (٢١).

(٣) السعير:

السعير هو شدة الاشتعال والاحتراق ... فكانت العرب تقول: سُعِّرت النار، إذا أشعلها ووضع عليها حطبًا صغارًا، لتكبر وتشتعل.

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ (٢).

(٤) لظى:

لظى هي الشُّعلة الحارقة من النار، فنار جهنم يخرج منها لظى يحرق الأبدان، ويَشْوِي الجلود.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ (٣)

اللظى: اللهب الخالص، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ (٤).

التظاء النار: التهابها، وتلظيها: تلهبها ... وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾، أي تتوهج وتتوقد (٥).

(٥) الهاوية:

الهاوية لفظ مشتق من الهَوْى وهو السقوط الشديد إلى المكان العميق، فأهل النار أمُّهم هاوية، أي: مستقرهم ومكانهم النار.

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (١١).

(٢) سورة الملك: الآية: (٥).

(٣) سورة المعارج: الآيات: (١٥-١٨).

(٤) سورة الليل: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٥) لسان العرب (١٥/ ٢٤٨).

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾(١).

وسُمِّيت النار بالهاوية لبُعد قعرها، فمن سقط يهوى فيها ... ومعنى أُمه هاوية: أي مستقره الهاوية(٢).

(٦) سقر:

كانت العرب تقول: يوم مسقر، إذا كان شديد حرارة الشمس، فالسَّقر هو شدة الحرارة المؤدِّيَة إلى الانصهار.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾(٤).

والسقر: البعد ... وسقرته الشمس: لوحته وآلمت دماغه بحرِّها، ويوم مسمقر: شديد الحر(٥).

(٧) الحُطمة:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾(٦).

والحطم: الكسر في أي وجه كان ... قيل: هو كسر الشيء اليابس

(١) سورة القارعة: الآيات: (٨-١١).

(٢) اليوم الآخر/ د. المطيري (ص٤٢٥).

(٣) سورة القمر: الآية: (٤٨).

(٤) سورة المدثر: الآيات: (٢٦-٣٠).

(٥) لسان العرب (٤-٣٧٢).

(٦) سورة الهمزة: الآيات: (٤-٩).

خاصة، كالعظم ونحوه[١].

وسُميت النار بذلك لأنها تُحطم رأس وعظام كل مَن دخلها[٢].

(٨) الجحيم:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٣].

قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَنَّة، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[٤].

الجحيم: المكان الشديد الحر، وجَحَم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي تَوقُّدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾[٥]، وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة[٦]، وسُميت النار بالجحيم لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار، كما قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾[٧]، أي التي أُوقد عليها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب جهنم، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾[٨]. جهنم والسعير ولظى والحُطمة وسقر والجحيم والهاوية

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١٣٧).

(٢) اليوم الآخر / د. المطيري (ص٤٢٦).

(٣) سورة الدخان: الآية: (٤٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥)- وأصله في الصحيحين.

(٥) سورة الصافات: الآية: (٩٧).

(٦) لسان العرب (١٢/ ٨٢)، بتصرف وتقديم وتأخير.

(٧) سورة الهمزة: الآية: (٦).

(٨) سورة الحجر: الآية: (٤٤).

وهي أسفلهم، وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما هي لدركات [١] النار، والصحيح أن هذه الأسماء للنار .. لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأن الآثار التي ذُكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها ... خُذ مثلًا على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[٢]. فهل يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة بابًا؟!.. وكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[٣] ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة.. ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾[٤]، فهذا نَصٌّ في أن هذا اسم للنار وكذا قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[٦].

ومعاني الأسماء تُقوي هذا الرأي أيضًا ... فالنار كلها تلتهب وتستعر وتتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء، لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القعر ليس الباب ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[٧] وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلى

---

(١) البعث والنشور للبيهقي (ص٢٥٥).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (١١).

(٣) سورة الهمزة: الآية: (٤).

(٤) سورة الهمزة: الآيتان: (٥، ٦).

(٥) سورة القارعة: الآيات: (٩-١١).

(٦) سورة القمر: الآية: (٤٨).

(٧) سورة الأنعام: الآية: (١٣٢).

دماغه وهو أهون أهل النار عذابًا، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار[١].

أين مكان النار

هي في الأرض، ولكن قال بعض أهل العلم: إنها هي البحار.

وقال آخرون: هي في باطن الأرض ... والذي يظهر أنها في باطن الأرض، ولكن ما ندري أين هي من الأرض؟ نؤمن بأنها في الأرض، وليست في السماء، ولكن لا نعلم في أي مكان هي على وجه التعيين.

والدليل على أن النار في الأرض ما يلي:

قال الله - تعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[٢]. وسجين هي الأرض السُّفلى ... كذلك جاء في الحديث فيمن احتضر، وقُبض من الكافرين فإنها لا تُفتح لهم أبواب السماء، ويقول الله - تعالى -: «**اكتبوا كتاب عبدي في سِجِّين، وأعيدوه إلى الأرض**» ولو كانت النار في السماء لكانت تُفتح لهم أبواب السماء ليدخلوها؛ لأن النبي ﷺ رأى أصحابها يُعذَّبون فيها، وإذا كانت في السماء لزم من دخولهم في النار التي في السماء أن تُفتح لهم أبواب السماء.

لكن بعض الناس استشكل، وقال: كيف يراها الرسول ﷺ ليلة عُرج به وهي في الأرض؟![٣]

وأنا أعجب لهذا الاستشكال، إذا كنا ونحن في الطائرة نرى الأرض

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة (ص٤٢٩)، نقلًا عن الإيمان باليوم الآخر.

(٢) سورة المطففين: الآية: (٧).

(٣) انظر الفتوى رقم (١٥٤).

تحتنا بعيدة، وندركها، فكيف لا يرى النبي ﷺ النار وهو في السماء؟!

فالحاصل: أنها في الأرض، وقد روي في هذا أحاديث لكنها ضعيفة، وروي آثار عن السلف كابن عباس، وابن مسعود، وهو ظاهر القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾[١]. والذين كذبوا بالآيات، واستكبروا عنها لا شك أنهم في النار[٢].

وقال آخرون بالتوقُّف في ذلك، وهو الصواب، لعدم ورود نَصّ صريح صحيح يحدد موقعها ... ومن الذين توقفوا في هذا، الحافظ السيوطي قال: «وتَقِفُ عن النار، أي: تَقُولُ فيها بالوقف - أي محلها- حيث لا يعلمه إلا الله، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك». [٣]

خزنة جهنم

يقوم على النار ملائكة، خَلْقُهم عظيم، وبأسهم شديد، لا يعصون الله الذي خلقهم، ويفعلون ما يؤمرون، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[٤].

وهم خزنة جهنم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾[٥].

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٠).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٦٠-٦١).

(٣) يقظة أولي الاعتبار / لصديق حسن خان: (ص ٤٧).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٥) سورة غافر: الآية: (٤٩).

عدد خزنة جهنم

لابدَّ أن نعلم أنَّ الملائكة الموكلين بالنار .. والذين هم خزنتها لهم من القوة والقدرة ما لا يعلمه إلا الله .. وأمَّا عن عددهم فهم تسعة عشر ملكًا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[1] فعددهم تسعة عشر ملكًا...ولكن القرطبي قال: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2] . وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[3][4].

وقد فُتن الكفار بهذا العدد، فقد ظنوا أنه يمكن التغلُّب على هذا العدد القليل، وغاب عنهم أن الواحد من هؤلاء يملك من القوة ما يواجه به البشر جميعًا ... ولذلك عقَّب الحق على ما سبق بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قال ابن رجب: «والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغترَّ الكفار بقِلَّتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن للبشر كلهم مقاومته»[5]. وهؤلاء الملائكة هم الذين سمَّاهم الله بخزنة جهنم في

(١) سورة المدثر: الآيات: (٢٧-٣٠).

(٢) سورة المدثر: الآية: (٣١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢) كتاب الجنة.

(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٥٣).

(٥) التخويف من النار (ص ١٧٤).

قولـــــه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾(١)

ما اسم رئيسهم وكبيرهم

أما كبير خزنة جهنم ورئيسهم فهو مالك عليه السلام.

۞ قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾(٢).

وعَن سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِي ﷺ إذا صلَّى صَلَاة أقبل علينا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**مَنْ رأى مِنْكُم اللَّيْلَة رُؤْيا؟**» قَالَ: فَإن رأى أحدٌ رُؤْيا قَصَّها، فَيَقُول مَا شَاءَ الله، فسألنا يَوْمًا، فَقَالَ: «**هَل رأى أحدٌ مِنْكُم رُؤْيا؟**» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «**لكني رَأَيْت اللَّيْلَة رجلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخرَجَانِي إِلَى الأَرْض المقدسة**...، وذكر الحديث بطوله، وفيه: «**فَانْطَلَقْتُ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا**» قَالَ: **قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ**»، وفي آخر الحديث قالا: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ**»(٣).

۞ عن صفوان بن يعلي عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾(٤) وقـــال عز وجل: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا

(١) سورة غافر: الآية: (٤٩).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٧٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٤) سورة فاطر: الآية: (٣٦).

يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[١]، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون ... أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها[٢].

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ خزنة النار بأنهم ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعُصاة في النار ... كما قال سبحانه: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[٤] يعني أبا جهل ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[٥][٦][٧].

(١) سورة الأعلى: الآيات: (١١-١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٥).

(٣) سورة العلق: الآيتان: (١٧، ١٨).

(٤) سورة العلق: الآيات: (٦-١٣).

(٥) سورة العلق: الآيات: (١٤-١٩).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٧) الإيمان باليوم الآخر (ص ٢٣٦-٢٣٧).

ما وظائف خزنة النار؟

للملائكة العظام (خزنة النار) وظائف وأعمال يقومون بها، فهم يتولَّون عذاب أهل النار، وتَبْكِيت أهلها، وزَجْرهم، وإشعال النار، وزيادة لهيبها. وهم غِلاظٌ على أهل النار، شِدادٌ عليهم إذا استرحموهم؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلقهم وجعل من طبيعتهم الغِلْظة والشِّدة والغضب. فهم غِلاظ القلوب، شِداد الأبدان، ضِخام الأجسام أقوياء. ليس في قلوبهم رحمة، إنَّما خُلقوا للعذاب.

قال المِنهال بن عمرو: إذا قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[1]، ابتدره سبعون ألف ملك، وإنَّ المَلك منهم ليقول هكذا -يعني: يفتح يديه- فيُلقي سبعين ألفًا في النار»[2].

وقال تعالى واصفًا ما يفعله خزنة النار عند دخول أهلها إليها[3]:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

صفات خزنة النار... ومواقف من شدتهم مع أصحاب النار

وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات وهما: الغلظة والشدة فهي فيهم[5].

---

(١) سورة الحاقة: الآية: (٣٠).

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره.

(٣) العالم الأخير (ص ٣٦٨).

(٤) سورة الزمر: الآية: (٧١).

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة (ص ٤٣٥).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(١).

وقد ذكر الله تعالى (جلّ جلاله) بعض المواقف التي تبين شيئًا من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها ... قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾(٢).

الموطن الثاني: عند دخولهم النار ... قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ (٨) قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ (٩) وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)﴾(٣).

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب.. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ (٤٩) قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾(٤)(٥).

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) سورة الزمر: الآيتان: (٧١، ٧٢).

(٣) سورة الملك: الآيات: (٨-١١).

(٤) سورة غافر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٥) الإيمان باليوم الآخر (ص ٢٣٧-٢٣٨).

أبواب النار

❁ كما أنَّ للجنَّة أبوابًا واسعة، يدخل من خلالها أهلها فرحين ومستبشرين، وجوههم كالقمر ليلة البدر لا اختلاف بينهم، ولا تباغُض. كذلك فإن أهل النار يدخولنها من أبوابها .. لكن بوجوهٍ كالِحَة ... وقلوبٍ مُظلمة .. يَكْفُر بعضهم ببعض.. يَلْعَنُ بعضُهم بعضًا .. يُدفعون إلى أبوابها .. يتضاغَطُون ويحترقون..

عدد أبواب النار

أخبر الحق أن للنار سبعة أبواب كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي قد كُتب لكل بابٍ منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، أجارنا الله منها ... وكُلٌّ يدخل من بابٍ بحسب عمله، ويستقر في درك بحسب عمله ... ونُقِلَ عن علي بن أبي طالب قوله وهو يخطب: «إن أبواب جهنم هكذا أطباقًا بعضها فوق بعض» ونُقل عنه أيضًا قوله: «أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تمتلئ كلها»[2].

وعندما يَرِدُ الكفار النار تُفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٤٣، ٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤).

بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [١]، وبعد هذا الإقرار يُقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [٢][٣].

أبواب جهنم بعضها فوق بعض

أبواب النار متطابقة بعضها فوق بعض... قال عليٌّ رضي الله عنه: «أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها» [٤].

قال ابن جُرَيج: «لها سبعة أبواب: أولها جهنم، ثُمَّ لَظى، ثُمَّ الحُطَمة، ثُمَّ السَّعير، ثُمَّ سَقَر، ثُمَّ الجحيم، ثُمَّ الهاوية» [٥]...وقد ذكرنا قبل ذلك أن هذه أسماء النار وليست أسماء الأبواب.

إنها عليهم مؤصدة

وأهل النار يعانون من الشدائد بعد الشدائد.... فأبواب جهنم تُغلق على أهلها.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [٧].

فأخبر الحق أن أبوابها مغلقة عليهم.

---

(١)سورة الزمر: الآية: (٧١).

(٢)سورة الزمر: الآية: (٧٢).

(٣)الجنة والنار (ص ٢٧).

(٤)أورده الطبري فى تفسيره عند كلامه عن الآية، بسندٍ حسنٍ.

(٥)أورده الطبري فى تفسيره عند كلامه عن الآية، بسندٍ صحيحٍ.

(٦)سورة البلد: الآية: (٢٠).

(٧)سورة الهمزة: الآيتان: (٨، ٩).

وقال ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يعني الأبواب هي الممددة ...

وقال قتادة في قراءة ابن مسعود: (إنها عليهم مؤصدة بعمدٍ مُمددة)[1] .

وقال عطية العوفي: هي عمد من حديد، وقال مقاتل: أُطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّت بأوتادٍ من حديد، حتى يرجع عليهم غَمُّها وحرها ... وعلى هذا فقوله: ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ صفة للعمد، يعني أن العمد التي أُوثقت بها الأبواب ممددة مطولة، والممدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير[2] .

قال ابن رجب الحنبلي: وهذا الإطباق نوعان:

أحدهما: خاص لمن يدخل في النار، أو من يريد الله التضييق عليه، أجارنا الله من ذلك.

والثاني: الإطباق العام، وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها.

وفي معنى إطباق النار على أهلها يقول بعضُ السَّلف رضي الله عنهم: أُلبسوا النَّضيج من النّحاس، ومُنعوا خروج الأنفاس ... فالأنفاس في أجوافهم تتردد، والنيران على أبدانهم تتوقد، قد أُطبقت عليهم الأبواب، وغضب عليهم ربُّ الأرباب.

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة، أمر الله بكل جبارٍ عنيد، وكل شيطانٍ مريد، وبكل من يخاف في الدنيا شَرَّه العبيد، فأُوثقوا بالحديد، ثم أُمر بهم إلى جهنم التي لا تبيد، ثم أوصدها عليهم ملائكة رب العبيد، قال: فلا والله، لا تستقر أقدامهم على قرارٍ أبدًا، ولا والله، لا ينظرون فيها إلى أديم سماءٍ أبدًا، ولا الله، لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نومٍ أبدًا،

---

(١) تفسير ابن كثير: (٧/ ٣٦٨) .

(٢) التخويف من النار، لابن رجب، (ص ٦١).

ولا والله، لا يذوقون فيها بارد شرابٍ أبدًا[١].

بل إن سرادق جهنم يحيط بأهل النار... قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾[٢].

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجبًا لهمهم وغمهم وكربهم وعطشهم لشدة وهج النار عليهم قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٤].

متى تُفتح أبواب النار؟

وقد تُفتح أبواب النار وتُغلق قبل يوم القيامة ... فقد أخبر المصطفى أن أبواب النار تُغلق في شهر رمضان ... فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين ومردة الجن**»[٥].

وخرّج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا كانَ أوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ: صُفِّدَتِ الشَّياطينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أبْوابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْها بابٌ، وفُتِحَتْ أبْوابُ الجَنَّةِ فلمْ يُغْلَقْ مِنْها بابٌ**»[٦].

(١) التخويف من النار (٩٦-١٠٠) باختصار.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٤) سورة الحج: الآيتان: (٢١، ٢٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٨) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٦) حسن: رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٩).

كما تُفَتَّح أبواب النار يوم القيامة إذا ورد الكفار على النار ...

كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

سعة النار

النار شاسعة وواسعة ومترامية الأطراف ... ولا يستطيع أحدٌ من البشر أن يصف مدى سعة النار - عافانا الله وإياكم منها-.

۞ ومما يدلنا على سعة النار أن الذين يدخلونها لا يستطيع إنسان أن يُحصى عددهم .. ومع كثرة عددهم فإن الواحد منهم يصبح حجمه في النار كما بين مكة والمدينة وأن ضرسه في النار يكون مثل جبل أُحد.

ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وُجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عِظَم خَلقهم، ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق ... فقال: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[2].

إن النار تشبه الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكلّ ولا تملّ، وينتهي الحَبّ والطاحونة تدور انتظارًا للمزيد. وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار: «**إنما أنت عذابي أُعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدةٍ منهما ملؤها**»[3].

(١) سورة الزمر: الآية: (٧١).

(٢) سورة ق: الآية: (٣٠).

(٣) الجنة والنار (ص ٢٢).

ولهذا لا تتوقف عن العمل لحظة، ولا تمتلئ مهما وُضِع فيها من بشر، ولا تزدحم مهما امتلأت، حتى يتدخَّل الجبار بنفسه ليوقفها.

قال ﷺ: «**فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ قَدَمَهُ عَلَيهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا**»(١)، ومعنى قَطْ قَطْ: حسبي حسبي .. اكتفيت وامتلأت.

بل ويدل على سعتها وضخامتها كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة ... فقد وصف الرسول ﷺ مجيء النار في يوم القيامة، الذي يقول الله فيه: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾(٢)، فقال: «**يُؤتَى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك**»(٣). ولك أن تتخيل عظم هذا المخلوق الرهيب الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشداء الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى.

ومما يدل على هول النار وكبرها أن مخلوقين عظيمين كالشمس والقمر يكونان ثورين مكورين في النار(٤).

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ مُكَوَّرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٦) كتاب الجنة.
وجمهور السلف على أن هذا الحديث وغيره من أحاديث الصِّفات لا يُتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنَّها حق على ما أراد الله، ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد.

(٢) سورة الفجر: الآية: (٢٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢) كتاب الجنة.

(٤) الجنة والنار (ص ٢٣-٢٤).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٢٠٠) كتاب بدء الخلق مختصرًا،

=

عمق النار .. وبُعد قعرها

لقد ذكرنا قول النبى ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها فى النار سبعين خريفًا»(١).

۞ وعن أبى هريرة قال: كنا عند النبى ﷺ يومًا فسمعنا وجبة، (أى: سقطة) فقال النبى ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها**»(٢).

۞ وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد.

۞ وقال ﷺ: «إن الصخرة العظيمة لتُلقى من شفير جهنم فتهوى بها سبعين عامًا ما تُفضى إلى قرارها»(٣).

۞ وقال ﷺ: «لو أن حجرًا مثل سبع خَلِفاتٍ أُلقى عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفًا لا يبلغ قعرها»(٤).

= ۞ قَالَ الْخَطَّابِيُّ : لَيْسَ الْمُرَاد بِكَوْنِهِمَا فِي النَّار تَعْذِيبهمَا بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ تَبْكِيتٌ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدهُمَا فِي الدُّنْيَا لِيَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَتهمْ لَهُمَا كَانَتْ بَاطِلًا . وَقِيلَ إِنَّهُمَا خُلِقَا مِنْ النَّار فَأُعِيدَا فِيهَا . وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيّ : لَا يَلْزَم مِنْ جَعْلهمَا فِي النَّار تَعْذِيبهمَا ، فَإِنَّ لِلَّهِ فِي النَّار مَلَائِكَة وَحِجَارَة وَغَيْرهَا لِتَكُونَ لِأَهْلِ النَّار عَذَابًا وَآلَة مِنْ آلَات الْعَذَاب وَمَا شَاءَ الله مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا تَكُون هِيَ مُعَذَّبَة . فتح البارى (٦/ ٣٠٠).

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨) - وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة.

(٣) رواه الترمذى عن عتبة بن غزوان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٦٢).

(٤) رواه هناد ، وأبو يعلى، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٨).

دركات النار

النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعدَّه الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة ... وقد قال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[١]. والعرب تطلق: الدَّرَك على كل ما تَسافَل، كما تُطلق: الدَّرَج على كل ما تعالى: فيقال: للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهبت النار سفلًا كلما علا حرها واشتد لهيبها [٢] ... والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

وقد تُسمَّى النار درجات أيضًا، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار، ثم قال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾[٣]، وقال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[٤]، قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: (درجات الجنة تذهب عُلوًّا، ودرجات النار تذهب سفلًا) [٥].

وتتفاوت دركات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم وقد بينَّا أن الله عز وجل ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب وليست هذه الدركة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاث أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب [٦].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٢) راجع تذكرة القرطبي: (ص ٣٨٢)، والتخويف من النار، لابن رجب: (ص ٥٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٣٢).

(٤) سورة آل عمران: الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٥) التخويف من النار، لابن رجب: (ص ٥٠)، نقلًا عن (الجنة والنار).

(٦) اليوم الآخر في القرآن العظيم، والسنة المطهرة (ص٤٤٢).

الأول: فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾(١).

الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾(٢).

الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة: قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وأما أهون أهل النار عذابًا فهو رجل ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أدنى أهل النار عذابًا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»**(٤)(٥).

---

(١) سورة غافر: الآية: (٤٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٨٥).

(٣) سورة المائدة: الآيات: (١١٢-١١٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١١) كتاب الإيمان.

(٥) الإيمان باليوم الآخر (٢٤٠-٢٤١).

شدة حر النار

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «**ناركم هذه التى يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم**» قالوا: والله إن كانت لكافية قال: «**إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**»(١)، وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه «**ضُربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحدٍ**».

۞ وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**هذه النار جزءٌ من مائة جزءٍ من جهنم**»(٢).

۞ وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضى بعضًا، فأذِن لها فى نَفَسين، نفسٍ فى الشتاء ونفسٍ فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر سمومها وأشد ما تجدون من البرد زمهريرها**»(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾(٤)، وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس من الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئًا، فهواء جهنم: السَّموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها: اليحموم وهو قطع دخانها(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٤٣) كتاب الجنة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٠٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٧) كتاب المساجد.

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (٤١-٤٤).

(٥) التخويف من النار: (ص ٨٥).

وكما هَوَّل في هذه الآية أمر أصحاب الشمال - أهل النار- هوَّل في آية أخرى أمر النار فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾(١).

كلما خبت زدناهم سعيرًا

۞ جاء في التحرير والتنوير:

فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾(٢) إِشْكَالٌ لِأَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَا تَخْبُو. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾(٣).

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْكَفَرَةَ وَقُودٌ لِلنَّارِ ... قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾(٤) فَإِذَا أَحْرَقَتْهُمُ النَّارُ زَالَ اللَّهَبُ الَّذِي كَانَ مُتَصَاعِدًا مِنْ أَجْسَامِهِمْ فَلَا يَلْبَثُونَ أَنْ يُعَادَوْا كَمَا كَانُوا فَيَعُودَ الِالْتِهَابُ لَهُمْ.

فَالْخَبْوُ وَازْدِيَادُ الِاشْتِعَالِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ لَا فِي أَصْلِ نَارِ جَهَنَّمَ. وَلِهَذِهِ النُّكْتَةِ سُلِّطَ فِعْلُ ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ عَلَى ضَمِيرِ الْمُشْرِكِينَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ازْدِيَادَ السَّعِيرِ كَانَ فِيهِمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كُلَّمَا خَبَتْ فِيهِمْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا، وَلَم يقل: زدناها سَعِيرًا.

أما كيف يُرمى هَذا الحَطب البشري في النَّار؟! وَكيفَ تستقبل جَهنم حَطبها فَاسْمَعوا قَولَ الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(٥).

(١) سورة القارعة: الآيات: (٨-١١).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٧).

(٣) سورة النحل: الآية: (٨٥).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (٩٨).

❁ قال الضَّحَّاك:

«يَعْنِي يَرْمُونَ بِهِمْ فِي النَّارِ كَمَا يُرْمَى بِالْحَصْبَاءِ..وَأَصْلُ الْحَصَبِ الرَّمْيُ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾[1] أَيْ رِيحًا ترميهم بالحجارة»[2].

وهذا الوقود مِنَ النَّاس يضحك اليوم ويستمتع، ويلهو وينهل من المَلذَّات أقصى ما يستطيع، ولا يدرك ما الذي ينتظره في الغد؟!

قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: «رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٍ، يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَضْحَكُ وَقَدْ حَقَّ لَهُ فِي كِتَابِ اللهِ أَنَّهُ مِنْ وَقُودِ النَّارِ»[3].

من ضمن ما يعبده الكفار في الدنيا المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ

وكذلك الملائكة عبدها بعض الكفار! فهل يكونون في النار أيضاً!!

الجواب: نبي الله المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونبي الله عُزَير عَلَيْهِ السَّلَامُ، والملائكة ونحوهم، ممن عُبِد من الأولياء والصَّالحين، لا يُعذَّبون في النار، ولا يدخلونها، فإنَّ الله تعالى بعد قوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[4].

قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾[5].

---

(١) سورة القمر: الآية: (٣٤).
(٢) تفسير البغوي (ص ٣٥٦).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٢٣).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٩٨).
(٥) سورة الأنبياء: الآيتان: (١٠١، ١٠٢).

لماذا تدخل الأصنام النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب؟

الجواب: يُدخِل الله تعالى الأصنام في النار، لا تعذيبًا لها، وإنما بيانًا لكذب من اتخها آلهة، ليَروا آلهتهم التي كانوا يعظِّمونها، ويرجون نفعها، فإذا هي معهم في النار، عندها يزداد عذابهم وحسرتهم(١).

وقود النار

النار دائمة الاشتعال، لا تضعُف ولا تَخْبُوا ... وقودها دائم، وعذاب أهلها مقيم .. يستغيثون ولا مُغيث، ولا مَهْرب لهم من الله إلا إليه، لكنهم قد كفروا به وكذبوا من قبل، فكيف يهربون اليوم إليه، أو ينتظرون رحمته! مأواهم النار هي مولاهم وبئس المصير.

والنار مع حرارتها واشتعالها الدَّائم، لا بد أن يكون فيها ما يبقى يحترق لتبقى مشتعلة، مع ما فيها من السَّواد والظُّلمة، والعقارب والحيَّات. إضافة لصُراخ أهلها وعَويلهم وبكائهم.

۞ فوقود النار من الأحجار والفجرة الكفار...قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾(٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾(٤).

---

(١) العالم الأخير (ص ٣٧٤-٣٧٥) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٠).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٩٨).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[١]

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم: الكفرة المشركون، وأما نوع الحجارة التي تكون للنار وقودًا فالله أعلم بحقيقتها، وقد ذهب بعض السلف إلى أن هذه الحجارة من كبريت.

قال عبد الله بن مسعود: هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يُعدُّها للكافرين. وقال بهذا القول ابن عباس ومجاهد وابن جُريج[٢].

وإذا كان القول هذا مأخوذًا من الرسول ﷺ فنأخذ به، ولا نجادل فيه، وإن كان أمرًا اجتهاديًّا مبنيًّا على العلم بطبائع الحجارة وخصائصها فهذا قول غير مُسلَّم، فإن من الحجارة ما يفوق حجارة الكبريت قوة واشتعالًا. والأوائل رأوا أن حجارة الكبريت لها خصائص ليست لغيرها من الحجارة فقالوا: إنها مادة وقود النار .... يقول ابن رجب: «وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار. ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت»[٣].

وقد يوجد الله من أنواع الحجارة ما يفوق ما في الكبريت من خصائص، ونحن نجزم أن ما في الآخرة مغاير لما في الدنيا.

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ١٠٧).

(٣) التخويف من النار/ لابن رجب: (ص ١٠٧).

ومما توقد به النار الآلهة التي كانت تُعبَد من دون الله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1][2].

قوة النار ومدى تأثيرها

قال الحق مُبينًا قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المُعذَّبين: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[3]، إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تُبقي ولا تَذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.

وهذه النار لا يخبو أوارها مع تطاول الزمان، ومرور الأيام ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[4]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[5]، ولذلك لا يجد الكفار طعم الراحة، ولا يُخفَّف عنهم العذاب مهما طال العذاب: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[6]. والنار تُسعَّر كل يوم كما في الحديث عند مسلم عن عمرو ابن عبسة عن النبي ﷺ قال: « **صَلِّ صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِر عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِر عَنِ الصَّلاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ**

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٨، ٩٩).

(٢) الجنة والنار / د. عمر الأشقر (ص ٢٩-٣٠).

(٣) سورة المدثر: الآيات: (٢٦-٢٩).

(٤) سورة النبأ: الآية: (٣٠).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٩٧).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٨٦).

جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ »(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**»(٢).

وتُسعَّر النار في يوم القيامة عندما تستقبل أهلها ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾(٣)، ومعنى سُعِّرت: أُوقدت، وأُحميت(٤).

وديان النار

❁ سمَّى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية وهي كالتالي:

(١) وادي الويل:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾(٦).

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ويلٌ وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره والصَّعود جبلٌ من نار يصعد فيه سبعين خريفًا يهوي به كذلك فيه أبدًا**»(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم: (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري: (٥٣٦) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم: (٦١٥) كتاب المساجد.

(٣) سورة التكوير: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٤) الجنة والنار (ص ٣٢-٣٣) بتصرف.

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (١٨).

(٦) سورة الهمزة: الآيات: (١-٣).

(٧) ضعيف: رواه أحمد، والترمذى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦١٤٨).

(٢) وادي الغي:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله: ﴿غَيًّا﴾: هو وادٍ في جهنم يُقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات[٢].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: الغي وادي في جهنم بعيد القعر مُنتن الريح[٣]، وهذا لا يُقال من قِبَل الرأي فله حكم الرفع[٤].

(٣) وادي المَوْبق:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[٥]. قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ وادٍ من قيحٍ ودمٍ[٦].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: وادٍ في النار عميق فرَّق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة[٧]، وقوله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال ابن عباس: مهلكًا[٨].

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٢) ابن أبي الدنيا صفة النار (ص٤١).

(٣) المصدر نفسه (ص٤٦٠).

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٥٠).

(٥) سورة الكهف: الآية: (٥٢).

(٦) البيهقي في البعث والنشور (ص٢٦١).

(٧) البيهقي في البعث والنشور (ص٢٦١).

(٨) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٥٠).

والظاهر من السياق هاهنا أنه المُهلك ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره .... والمعنى: أن الله تعالى بيَّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه فرَّق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحدٍ من الفريقين، بل بينهم مهلك وهولٌ عظيم وأمرٌ كبير[١].

ظل النار

والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾[٢] هو ظل دخان النار، والظل يُشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريحه إليه.

أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظلٌّ من يحموم، وقد حدثنا القرآن عن هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣)﴾[٣]، فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لضخامتها ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالًا ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل ... أما شرار هذه النار المتطاير منها فإنه يُشبه الحصون الضخمة، كما يُشبه هذا الشرار الجمالة الصُّفر أي: الإبل السود[٤].

---

(١) اليوم الآخر، في القرآن والسنة المطهرة (ص٤٥١).- نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٤٣).

(٣) سورة المرسلات: الآيات: (٣٠-٣٣).

(٤) الجنة والنار (ص ٣١-٣٢).

النار سوداء مُظلمة

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(١).

۞ وعن الضحاك قال: جهنم سوداء وماؤها وشجرها أسود وأهلها سود وقد دَلَّ على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢).... وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾(٣).

وعن أُبى بن كعب قال: ضرب الله مثلًا للكافرين قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾(٤)، فهو يتقلب فى خمسٍ من الظُّلَم: كلامه ظُلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار.

۞ وعن أبى هريرة قال: «أُوقد على النار ألفَ سنةٍ حتى احمرَّتْ، ثم أُوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتى ابيضَّتْ، ثم أوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتى اسودَّتْ، فهى سوداءُ مُظلمَةٌ، كاللَّيل المُظلمِ»(٥).

۞ وعنه رضي الله عنه؛ قال: «أترونها حمراء كناركم هذه؟ لهى أسود من القار»(٦).

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٠٦).

(٤) سورة النور: الآية: (٤٠).

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢١٢٥) وهو حسن بشواهده لكنه موقوف على أبى هريرة ورفعه إلى النبى ﷺ ضعيف.

(٦) رواه مالك فى الموطأ (٢/ ٩٩٤) بإسنادٍ صحيح.

سجون أهل النار

۞ومع أنَّ عذاب النار الذي يزيد على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا يُعتبر كافيًا لأن يرى الإنسان أشد أنواع العذاب .. إلَّا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل لهؤلاء المجرمين سجونًا في النار.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ (١).

سِجِّين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسِكِّير ونحو ذلك...ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي أمرٌ عظيم وسجنٌ مقيم وعذابٌ أليم (٢).

۞بل وهناك سجن مخصوص للمتكبرين الذين ملأوا الدنيا كِبراً وغطرسة واستعلاءً على من حولهم.

قال تعالى فى الحديث القدسى: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار» (٣).

فلا ينبغى لعبدٍ أن يتكبر أبدًا فمن فعل ذلك فقد حقّ عليه عذاب الله (عَزَّوَجَلَّ).

۞ **قال ﷺ مصورًا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة:**

« يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولُسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ» (٤).

---

(١)سورة المطففين: الآيتان: (٧، ٨).

(٢)الفتح الرباني (٧/ ٧٧).

(٣)رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١١).

(٤)رواه أحمد والترمذى عن ابن عمرو، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠).

فهؤلاء المتكبرون الذين يظنون أنهم خرقوا الأرض أو نافسوا الجبال طولًا، يُحشرون كالنمل هوانًا، يغشاهم الذلّ، ويُساقون إلى سجنٍ في النار، ويُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال جزاءً وفاقًا.

كيفية دخول أهل النار إلى جهنم

فصَّل الله تعالى كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، وبيَّن ذلك في كثير من الآيات... فقد أمر الله تعالى الملائكة أن تُقيد وتغلّ الكافر... قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾(١). الغل: هو ما يُقيَّد به(٢)، وهذا القيد يكون في عُنقه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤). وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل الحديد.

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾(٥).

ثم تجمع الملائكة نواصيهم مع أقدامهم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾(٦). عن ابن عباس قال: يُجمع بين رأسه ورجليه ثم

(١) سورة الحاقة: الآية: (٣٠).
(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٥٧).
(٣) سورة الرعد: الآية: (٥).
(٤) سورة سبأ: الآية: (٣٣).
(٥) سورة غافر: الآيات: (٧٠-٧٢).
(٦) سورة الرحمن: الآية: (٤١).

يُقصف كما يُقصف الحطب [١].

ثم يُساقون إلى النار سوقًا شديدًا ويُدفعون إليها دفعًا ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [٢]. الدَّع: الدَّفع الشديد .... ثم إذا اقتربوا منها فُتحت أبوابها في وجوههم بَغتة -فجأة- حتى يصيبهم عذاب الفزع ... قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [٣] ثم يلقون فيها إلقاء من مكان ضيق، وهم مُوثَّقون، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ [٤]، مُقرنين أي مشدودين ومربوطين [٥].

وهذا الربط بالأصفاد هي الأغلال ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [٦]. وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [٧][٨]. ثم يُلقى بعضهم على بعض قال تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾ [٩]

(١) البعث والنشور للبيهقي (ص٢٨٦).
(٢) سورة الطور: الآيتان: (١٣، ١٤).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٧١).
(٤) سورة الفرقان: الآية: (١٣).
(٥) مفردات القرآن للأصفهاني (ص٦٦٧).
(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٤٩).
(٧) سورة النمل: الآية: (٩٠).
(٨) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٥٧).
(٩) سورة الشعراء: الآيتان: (٩٤، ٩٥).

كُبكبوا: أُلقي بعضهم على بعض(١).

ثـم تبـدأ بعـد ذلـك سلسلة طويلـة مـن أنـواع العـذاب وأصـناف النكـال وألوان الآلآم(٢).

أول من تُسعَّر بهم النار

قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٣).

أهون أهل النار عذابًا

۞ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا مَن له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرجَل،

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٦٩٧).

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٥٨) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا»(١).

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»(٢).

۞ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه»(٣).

۞ وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل النار عذابًا ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه»(٤).

الله يكلم أهون أهل النار عذابًا

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ لأهونِ أهلِ النارِ عذابًا: لو أنَّ لكَ ما فى الأرض منْ شىءٍ كنتَ تفتدى بهِ؟ قالَ: نعم، قال: فقدْ سألتُكَ ما هو أهونُ منْ هذا وأنتَ فى صُلبِ آدم أنْ لا تشركَ بِى شيئًا فأبيتَ إلاَّ الشِّرك!»(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٣) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٦١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١١) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة.

طعام أهل النار

۞ يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا ... فمنهم مَن دُفن منذ آلاف السنين فلم يأكل لقمة واحدة ولم يشرب شربة ماءٍ واحدة ... فإذا دخل أهلُ النارِ النارَ وأرادوا أن يأكلوا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يأمر خزنة جهنم أن تُطعمهم من خمسة أنواع من الأطعمة وهي:

(١) يأكلون النار:

فهم يأكلون النار ... قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

أي إنما يأكلون ما يأكلونه - في مقابلة كتمان الحق - نارًا تأجَّج في بطونهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم**»[٣].

(٢) الزَّقوم:

الزقوم ثمر شجرة خبيثة تَخرُج في أصل النار، ثمرها كريه، يتجرعها أهل النار وهم كارهون ... والزَّقوم إذا أكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، إنما هو عذاب يتعذبون به.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٧٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٣٤) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٦٥) كتاب اللباس والزينة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾[1].

المهُل: قيل هو عكر الزيت[2]، وقيل النحاس المُذاب[3]، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[4].

فقوله ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ أي: على الزقوم ليُطفأ غليانه.

و﴿ٱلْهِيمِ﴾: هي الإبل العطاش .. واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال: هائم وهائمة، والهيم: داء يأخذ الإبل فلا ترى أبدًا حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا[5].

وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾[6].

---

(١) سورة الدخان: الآيات: (٤٣-٥٠).

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص٧٨١).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٠).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (٥١-٥٦).

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٤٧).

(٦) سورة الصافات: الآيات: (٦٢-٦٨).

فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف.

ويؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة شجرة خبيثة، جذورها تضرب في قعر النار، وفروعها تمتد في أرجائها، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر ولذلك شَبَّهه برؤوس الشياطين، وقد استقر في النفوس قُبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم، ومع خُبث هذه الشجرة وخُبث طلعها، إلا أن أهل النار يُلقَى عليهم الجوع بحيث لا يجدون مفرًّا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت، فيجدون لذلك آلامًا مُبرِّحة، فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم، وهو الماء الحار الذي تناهَى حَرُّه، فشربوا منه كشرب الإبل التي تشرب وتشرب ولا تروى .. لمرضٍ أصابها، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١]. هذه هي ضيافتهم في ذلك اليوم العظيم ... أعاذنا الله من حال أهل النار بمنِّه وكرمه[٢].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامَهُ؟**»[٤].

(٣) الضريع:

والضريع نبات في الحجاز له شوكٌ كبار .. وقيل: هو نوع من الشوك لا

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٢) الجنة والنار (ص ٨٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٠).

تأكله الدواب لخُبثه.

❁ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[١].

وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يُفيدهم، فلا يَجدون له لذَّةً، ولا تنتفع به أجسادهم ... فأكلهم له نوع من أنواع العذاب.

(٤) الغِسلين:

وهو الدم والماء والصَّديد الذي يَسيل من لحومهم.

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[٢].

فالكافر لا يجد يوم القيامة قريبًا ودودًا، ولا صديقًا حميمًا، يُنقذه من عذاب الله تعالى، فكل واحد منشغل في ذلك اليوم بنفسه، ولا يجد له طعامًا في النار إلا ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والصَّديد...والصديد شيء كريه المذاق يتجرعه أهل النار، كما تجرَّعوا الحرام في الدنيا جزاءً وفاقًا[٣].

(٥) طعام ذو غصة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحَلق لا يدخل ولا يخرج[٥].

هذا مع أغلال ثقيلة تحيط بأجسادهم، في أرجلهم وأيديهم، إذلالًا لهم.

---

(١) سورة الغاشية: الآيتان: (٦، ٧).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) العالم الأخير (ص ٣٩١)

(٤) سورة المزمل: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٥) صفة النار لابن أبي الدنيا (ص٦٤).

عطش أهل النار

۞ فيُساق أهل النار إلى النار وهم في قمة العطش.

وهو من أشد عذاب أهل النار قسوة: العطش.

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾(١).

قال الضحاك: عِطاشًا، وقال مجاهد: منقطعة أعناقهم من العطش، وذلك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لا يذوقون فيه شربة ماء، ولا يستظلون من حر الشمس الحارق لحظة، حتى تتفتَّت أكبادهم من العطش، وتستمر حالة الظمأ غير المعقولة هذه حتى دخول النار، وعندها يرفع الله الحُجُب عنهم ليُطلوا على أهل الجنة وهم يرتوون من أحلى شراب ويلتذون بغاية النعيم ... فيرون ما يُضاعف عذابهم ويزيد ألمهم، فإنَّ صاحب المصيبة إذا جهل أن غيره آمن هان عليه ما هو فيه من العذاب، أما إذا رأى ضد ذلك تضاعفت حسراته أن لم يسلك طريق الفوز.

عذابٌ ما بعده عذاب، ظلمات بعضها فوق بعض.

ومع ذلك الألم تلمح لهم بارقة أمل، وذلك أن ينالوا قطرة واحدة تُذهب الظمأ، لكن هيهات ....اسمع القصة من كتاب الله أبلغ:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

قال ابن عباس: «ينادي الرجل أخاه، فيقول: ... يا أخي أغثني، فإني قد احترقت، فأفض عليَّ من الماء، فيقال: أجبه فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى

(١) سورة مريم: الآية: (٨٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٠).

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وقد سبقنا جيل الصحابة رضوان الله عليهم يقينًا وعملًا، حين عاشت آيات القرآن معهم واقعهم اليومي وسكنت تفاصيل الحياة.

فقد شرب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماءً باردًا يومًا فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يُبكيك؟ فقال: ذكر آية من كتاب الله؛ قوله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[٢]، فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣].

وفى «الصحيحين» عن أبى سعيد: عن النبى ﷺ فى حديث الشفاعة الطويل «**إنه يُقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيُشار إليهم ألا تَرِدون؟ فيُحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يَحطِم بعضها بعضًا، فيتساقطون فى النار**»[٤].

---

(١) يقظة أولي الاعتبار (ص ٧٠).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٥٤).

(٣) السابق (ص ٧٠) - نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار) (ص ٢٢، ٢٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

شراب أهل النار

۞ وبعد أن يتناول أهل النار تلك الأطعمة التي أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ عنها فإنَّهم يحتاجون إلى أن يشربوا .. فيا تُرى ما هو شراب أهل النار في النار؟!

(١) الحميم:

الحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتَسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾[٢]. أي: بلغ وقته من شدة الحر ... ومنه قوله تعالى: ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾[٤]. قوله: ﴿سَمُومٖ وَحَمِيمٖ﴾ أي: هواء حار، وماء حار ... وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾[٥].

وهذا الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم ... كما قال سبحانه: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾[٦].

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٧٠).

(٢) سورة الرحمن: الآيتان: (٤٣، ٤٤).

(٣) سورة الغاشية: الآية: (٥).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (٤٢-٤٤).

(٥) سورة النبأ: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٦) سورة محمد: الآية: (١٥).

وإذا لم يشربوه صُبَّ فوق رؤوسهم فتنصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾[1].

(٢) الغسَّاق:

ومن عجائب النار أن الله يعذِّب فيها بالشيء وضده: بالحرِّ والبرد.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الغسَّاق: الزمهرير البارد الذي يُحرِق من برده.

قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[2].

أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يُستطاع من شدة برده المؤلم ... ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾، أي: وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يُعاقَبون بها[3].

وعن مجاهد قال: الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده.

وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾. قال: استثنى من الشراب: الحميم، ومن البارد: الغسَّاق[4].

(٣) الصَّديد:

وهو ما يسيل من لحم الكافر، وجلده ... قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[5].

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (١٩، ٢٠).

(٢) سورة النبأ: الآيتان: (٢٤، ٢٥)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١).

(٤) البدور السافرة / للسيوطي (ص٤٤١).

(٥) سورة إبراهيم: الآيتان: (١٦، ١٧).

أي: يُسقى من ماء صديد شديد النَّتانة والكثافة فيتَجَرَّعه ولا يكاد يبتلعه من شدة نَتَانَتِه وكَثَافته، مخلوط بالقَيْح والدم.

ولا يزال هذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهرًا يُسمَّى نهر الخبال.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أربعين صباحًا، فإن تَابَ تَابَ الله عَلَيهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صباحًا، فإن تَابَ تَابَ اللهُ عَليهِ فَإنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ الله عَليهِ فَإن عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبِ الله عَلَيْهِ وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الخَبَالِ» (١).

(٤) ماءٌ كالمُهل:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾(٢).

المُهل: دردي الزيت، وهو ما يبقى في أسفله (٣)، فهو ماء ثقيل، يختلف عن الحميم.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هل تدرون ما المُهْل؟ «مهل الزيت يعني أحرَّه»(٤).

والمُهل يجمع بين لونين من ألوان العذاب: أحدهما بصري، وهو لون

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٦٣١٢).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٩).
(٣) لسان العرب (٣/ ١٦٦).
(٤) الزهد لابن المبارك (ص ٤٣٩).

العكارة والشكل القبيح ... والآخر حِسِّي وهو حرارته الصاهرة ولهبه الفظيع.

(٥) وآخر من شكله أزواج:

جاء في القرآن ذكر أنواع أخرى، يتجرّعها أهل النار، قال تعالى:

﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾[1].

فهو يتجرّع الحميم والغساق مُكرَهًا مُرغَمًا، ويتجرَّع أنواعًا أُخرى لم يذكرها الله تعالى لنا، لكنها أشكال أخرى وأنواع.

لباس أهل النار

أخبر الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ أهل النار يُصنع لهم حُلَل من النار، وأن من تحتهم نار، وفوقهم نار ... فقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾[2].

فالثِّياب فُصِّلت على قدر أجسادهم، ويُصَبُّ الماء الشديد الحرارة فوق رؤوسهم فيشوي وجوههم وأجسادهم، ويُذيب أمعاءهم.

فبعد أن يُحشر الناس حُفاة عُراة يلبسون لباسًا وهذا اللباس ليس لستر العورة، ولا للزينة لأنه لباسٌ مُقطَّع مُمزق .... بل لباس لزيادة العذاب فهو لباس من نار ....قال تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ

(١) سورة ص: الآيات: (٥٥-٥٨).

(٢) سورة الحج: الآية: (١٩).

وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾[١].

قوله: ﴿قُطِّعَتْ﴾: يعني ليست مُفصَّلة على جسمهم، بل هي مُقطعة مُمزقة وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول: سبحان من قطع من النيران ثيابًا[٢]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[٣].

السرابيل: جمع سربال، والسربال هو القميص أو الدرع.

وقيل: كل ما لُبس فهو سربال[٤].

والقطران: النحاس المذاب[٥]، فلباسهم من نُحاسٍ مُذاب، والنحاس لا يكون مذابًا حتى يُحمَى عليه ويكون في الغاية من الحرارة والغليان.

عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ ... وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[٦].

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (١٩، ٢٠).

(٢) اليوم الآخر، الأشقر (ص٩٧).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٥٠).

(٤) لسان العرب (١١/ ٣٣٥).

(٥) البعث والنشور للبيهقي (ص٢٨٤).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز.

فراش أهل النار وغطاؤهم

فراش أهل النار نار .. وغطاء أهل النار نار.

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (١).

أي: لهم فراش من النار من تحتهم ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أي ومن فوقهم أغطية من النار ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي كل من ظلم وتعدَّى حدود الله (عَزَّوَجَلَّ).

۞ وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (٢).

أي تغشاهم نار جهنم من فوقهم ومن تحتهم، وتحيط بهم من جميع جوانبهم، ومعنى الظُّلل: أطباقٌ من نار جهنم، وتسميتها ظُللًا تهكُّمٌ بهم، لأنها مُحرقة والظلةُ تقي من الحر.

هل هناك أحدٌ رأى النار قبل يوم القيامة؟

۞ بلى ... لقد رأى النبي ﷺ النار وكذلك رأى الجنة وأخبر أصحابه بذلك.... بل إن العباد إذا ماتوا ودخلوا قبورهم فإنه تُعرض عليهم مقاعدهم في الجنَّة إن كانوا مؤمنين ومقاعدهم في النار إن كانوا كافرين ... وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن عالم البرزخ.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ**

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤١).

(٢) سورة الزمر: الآية: (١٦).

عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصبَهُ فِي النَّارِ »[١].

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس في صلاة الخسوف أن الرسول ﷺ قال: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».[٢]

وعن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ النَّارَ أُدْنِيَتْ مِنِّي حَتَّى نَفَخْتُ حَرَّها عنْ وَجْهِي فَرَأَيْتُ فِيها صاحِبَ المِحجَنِ، والّذِي بَحَّرَ البَحِيرَةَ، وَصاحِبَ حِمْيَرَ، وصاحِبَةَ الهِرَّةِ »[٣].

وفي صحيح البخاري عن أسماء أن الرسول ﷺ قال: «قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لاَ أَطْعَمَتْهَا، وَلاَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[٤].

رؤيا عبد الله بن عمر للنار

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن عمر ، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٠٤) كتاب الكسوف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٥٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٢).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٣٦٤) كتاب المساقاة.

فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي المَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلَاةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ البِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلَاسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ اليَمِينِ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ»(١).

حُفَّت النار بالشَّهوات

قال ﷺ: « **حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ** »(٢).

وقال ﷺ: « **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** »(٣).

وقال ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ النار قال: يا جبريل! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فيدخلها فحفَّها بالشهوات**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٢٨) كتاب التعبير، ومسلم (٢٤٧٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٧) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

ثم قال: يا جبريل اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا .. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يبقى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا »(١).

وفى حديث سمرة بن جندب عن النبى ﷺ: «إن ملكين أتياه فى المنام - فذكر رؤيا طويلة وفيها-: «قال: فانطلقت فأتينا على رجلٍ كريه المَرآة، كأكره ما أنت زاعم، فإذا هو عند نار يَحُشُّها ويسعى حولها، قال: قلت: ما هذا!! قالا لى: انطلق انطلق»،... وفى آخر الحديث «قالا: فأما الرجل الكريه المَرآة عند النار يَحشُّها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم»(٢).

وقوله: «كريه المَرآة» أى المنظر، وقوله: «يَحشُّها» أى يوقدها.

جملة الجرائم التي تُدخل النار

من الجرائم التي تُدخل النار: الإشراك بالله تعالى، والتكذيب للرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجُبن عن الجهاد، والبُخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصُّب للباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علمٍ وشهادة، والسحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا

(١) رواه أحمد والترمذى وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير، ومسلم (٢٢٧٥) كتاب الرؤيا.

بالحق، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"[١].

من أوصاف عذاب الآخرة

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد في آياتٍ كثيرة أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد وصف عذاب الحياة الآخرة، بأوصافٍ كثيرة متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته ... فمن هذه الأوصاف:

❁ **أنه أشق وأشد:** قال تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾[٢].

❁ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[٣].

❁ **غرام:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٤].

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سُمِّي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مُغرَم بكذا، أي: ملازم له ومولع به ... هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما .... ومنه قول الأعشى:

(١) اليوم الآخر، الجنة والنار / للأشقر (ص٥٧ ـ ٥٨).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٣٤).

(٣) سورة طه: الآية: (١٢٧).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٦٥).

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلًا فإنه لا يبالي [(١)]

❁ **العذاب المهين:** قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[(٣)]، لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصَّغار في الدنيا والآخرة ... كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[(٤)]. أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين [(٥)].

❁ **العذاب الأخزى:** ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه عذاب أخزى.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ﴾[(٧)].

❁ **العذاب العظيم:** قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٨)].

---

(١) ديوان الأعشى الكبير(١/ ٤٥) الحياة في القرآن الكريم/ أحزمي سامعون جزولي (١/ ٢٧٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٩٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٩٠).

(٤) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١١٢).

(٦) سورة فصلت: الآية: (١٦).

(٧) سورة آل عمران: الآية: (١٩٢).

(٨) سورة آل عمران: الآية: (١٧٦).

۞ **العذاب السيئ:** ومن الأوصاف لعذاب الحياة الآخرة أنه العذاب السيء، الشديد النكاية.

- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[2].

۞ **العذاب الأكبر:** قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

- وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

- وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5][6].

هل تؤثِّر نار الآخرة في دار الدنيا

۞ بلى .. إنَّ نار الآخرة تؤثر في دار الدنيا .. فأشد حرٍّ نجده في الصيف هو من فيح جهنم... وأشد بردٍ نجده في الشتاء هو من زمهرير جهنم.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٢٤).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٤٧).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٢٥، ٢٦).

(٤) سورة القلم: الآية: (٣٣).

(٥) سورة الغاشية: الآيات: (٢١-٢٤).

(٦) الحياة في القرآن الكريم (١/ ٢٧٢ - ٢٨١) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ، فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ حَرِّهَا، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا»[٢].

هل عذاب النار حقيقي، أو أن أهلها يكونون فيها كأنهم حجارة لا يتألمون؟

۞ عذاب أهل النار حقيقى بلا ريب، ومن قال خلاف ذلك فقد أخطأ، وأبعد النجعة، فأهلها يُعذَّبون فيها، ويألمون ألمًا عظيمًا شديدًا.

كما قال تعالى فى عدة آيات: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] حتى إنهم يتمنون الموت، والذى يتمنى الموت هل يقال: إنه تألم، أو أنه تأقلم؟!

لو تأقلم ما تألم، ولا دعا الله أن يقضى عليه ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٤]. إذن هم يتألمون بلا شك، والحرارة النارية تؤثر على أبدانهم ظاهرها وباطنها.

وقال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥]

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦١٥) كتاب المساجد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٧) كتاب المساجد.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٩١).

(٤) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٧، ٧٨).

(٥) سورة النساء: الآية: (٥٦).

وهذا واضح أن ظاهر أبدانهم تتألم وينضج جلودهم...

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾(١).

وشَيُّ الوجوه، واللحم معروف... فهم إذا استغاثوا ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ بعد مدة طويلة، وهذا الماء إذا أقبل على وجوههم شواها، وتساقطت والعياذ بالله، فإذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(٢).

وهذا عذاب الباطن.

وقال النبى ﷺ فى أهون أهل النار عذابًا: «**إنه فى ضحضاح من نار، وعليه نعلان يغلى منهما دماغه**»(٣). أعوذ بالله ... الدماغ يغلي!

فما بالك بما دونه مما هو أقرب إلى النعلين!

وهذا دليل واضح على أنهم يتألمون، وأن هذه النار تؤثر فيهم .... وكذلك قال تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٤) أى المُحرق، والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة واضحة، تدل على بُطلان قول مَن قال: «إنهم يكونون كالحجارة لا يتألمون»(٥).

أهل النار خمسة

فى «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار أن النبى ﷺ قال فى خطبته: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ:**

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٢) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٦٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٠) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٥٠).

(٥) فتاوى العقيدة / للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٥١٨-٥١٩).

الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ(١).

وأما أهل النار فقد قسمهم النبى ﷺ فى هذا الحديث إلى خمسة أصناف:

الصنف الأول: الضعيف الذى لا زَبر له ... ويعنى بالزَّبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه فى الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم همم فى طلب الدنيا، ولا الآخرة، وإنما همة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تَبَعٌ للناس، خادم لهم أو طواف عليهم سائلٌ لهم.

الصنف الثانى: الخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دَقَّ إلا خانه، أى يعنى لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار مَن لا تمنعه خشية الله من شىء خفى له.

الصنف الثالث: المخادع الذى دأبه صباحًا ومساءً مخادعة الناس على أهليهم، وأموالهم...والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك...والخداع معناه إظهار الخير وإضمار الشر بقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة.

وفى حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ **«من غَشَّنا فليس منَّا، والمكر والخداع فى النار»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٠٨) - وأصله في الصحيحين.

الصنف الرابع: الكذب والبُخل. والكذب والبُخل كلاهما ينشأ عن الشُّح... فالشحيح أخذ المال بغير حقه، والبخيل منعه من حقه، وكذلك روى تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاووس وغيرهما من السلف،..... وفى الأثر «**إن الشيطان قال: مهما غلبنى ابن آدم فلن يغلبنى بثلاث: يأخذ المال من غير حِلِّه، أو ينفقه فى غير وجهه، أو يمنعه من حقه**».

وينشأ من الشُّح أيضًا الكذب والمخادعة والتحايل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة... وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «**إن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار**»(١).

الصنف الخامس: الشنظير ... وقد فُسِّر بالسيئ الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش ... وفى «الصحيحين» عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «**إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحشه**»(٢) (٣).

۞ بل لقد ذكر النبى ﷺ أصنافًا من أهل النار غير هؤلاء.

۞ فعن أبى هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٤).

الدُّعاة إلى النار

أصحاب المبادئ الضالة، والمذاهب الباطلة المخالفون لشرع الله،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٤) كتاب الأدب،ومسلم (٢٥٩١) كتاب البر والصلة.

(٣) مختصر التخويف من النار (ص: ٧٤: ٧٨) بتصرف.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

الدعاة المؤمنون بباطلهم هم دعاة النار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾(١)، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾(٢)، ومن هؤلاء: الشيطان.

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٣) ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٤).

وهؤلاء الذين يدعون إلى النار في الدنيا يقودون أقوامهم وأتباعهم إلى النار في الآخرة، ففرعون مثلًا: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾(٥) وكل قادة الشر الذين يدعون إلى عقائد ومبادئ مخالفة للإسلام هم دُعاة إلى النار، لأن الطريق الوحيد الذي يُنجي من النار ويُدخل الجنة هو طريق الإيمان ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(٦)، كانوا يدعونه إلى فرعون وكُفره وشِركه، وهو يدعوهم إلى الله وتوحيده والإيمان به.

ولما كان الكفار دُعاةً إلى النار حرم الله على المؤمنين الزواج من المشركات كما حرم على المؤمنات الزواج من المشركين ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٧)(٨).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢١).

(٢) سورة القصص: الآية: (٤١).

(٣) سورة لقمان: الآية: (٢١).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٦).

(٥) سورة هود: الآية: (٩٨).

(٦) سورة غافر: الآية: (٤١).

(٧) سورة البقرة: الآية: (٢٢١).

(٨) الجنة والنار (ص ٥٠-٥١).

فداؤك من النار

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار فيُقال له: هذا فداؤك من النار»(١).

۞ وقال ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾(٢).

«ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ فى الجنَّة، ومنزلٌ فى النَّار، فإذا مات فدخل النَّار، ورث أهلُ الجنَّة منزلَه، فذلك قول: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾»(٣).

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خُلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أُمروا به مما خُلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عَزَّوَجَلَّ .... وأبلغ من ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى بردة عن أبى موسى عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «يجىء ناسٌ يوم القيامة من المسلمين بذنوبٍ أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى».

وفى لفظٍ له: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيُقال هذا فكاكك من النار» فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات، أن أباه حدَّثه عن رسول الله ﷺ بذلك، قال فحلف له(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب التوبة.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠، ١١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٩٩).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٢).

النار تسمع وتُبصر وتتكلم؟!

❁ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرَانِ وَأُذُنَانُ يَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ من دعا مع الله إلها آخَرَ وَبِالمُصَوِّرِينَ »[(١)].

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقًا يتكلم ويبصر ويغضب .... أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾[(٢)].

وأما رؤيتها للناس .. فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[(٣)].

فقوله: ﴿رَأَتْهُم﴾ يدل على أنها تبصر، وقوله ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ يدل على أنها تتكلم، وقوله ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ يدل على أنها تغضب.

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين بل تكاد تتميز ... أي تتقطع[(٥)] من شدة غضبها عليهم.

عن ابن عباس قال: إن العبد ليُجَرُّ إلى النار فتشهق إليه شهقة البغلة إلى

(١) رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٢) سورة ق: الآية: (٣٠).

(٣) سورة الفرقان: الآيتان: (١١، ١٢).

(٤) سورة الملك: الآيتان: (٧، ٨).

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة (ص ٤٤٦).

الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحدٌ إلا خاف.

وعن الضحاك قال: إن لجهنم زفرة يوم القيامة لا يبقى مَلَكٌ مُقرَّب، ولا نبيٌّ مُرسَل، إلا خرَّ ساجدًا يقول: رب نفسي نفسي.

وروى ابن جرير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَتَنْزَوِي وَتَنْقَبِضُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَقُولُ لَهَا الرَّحْمَنُ: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَسْتَجِيرُ مِنِّي. فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا عَبْدِي. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرّ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا الظَّنُّ بِكَ؟ فَيَقُولُ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْ تَسَعَنِي رَحْمَتُكَ. فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليُجَرّ إلى النَّارِ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ شُهُوقَ الْبَغْلَةِ إِلَى الشَّعِيرِ، وَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَاف[1].

أهل النار لا ينامون

وكما أن النوم في الجنة منعدم، فكذلك هو في النار، وهل يُعقل نوم لمن لا يستقر به مضجع، ولا يجف له مدمع؟!

يا نائمين عن صلاة الفجر ليس في جهنم نوم ... قال الله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[2].

قال محمد بن كعب والضحاك والسدي وغيرهم: المهاد: الفراش، والغَواش: اللُّحُف ... وقال الحسن في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾[3]، قال: فراشًا ومِهادًا، بينما قال قتادة: محبسًا حُصِروا فيها فلا يفلت منهم أحد.

(١) ساق ابن كثير هذا الحديث في (النهاية) (٢/ ٢١) وقال: (إسناده صحيح). وانظره في تفسير ابن جرير (١٨/ ١٨٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤١).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٨).

وكيف النوم والقرار لمن لباسه النار؟!

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ ﴾(١).

وكأنَّ الله يُقدِّر لهم نيرانًا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تُقطع الثِّياب الملبوسة ... وجمع الثياب بدلًا من إفرادها؛ لأنَّ النار لتراكمها عليهم تصبح كالثِّياب الملبوس بعضها فوق بعض... والنار كذلك تغزو أجسادهم طبقة من بعد طبقة ... وجاء لفظ الماضي إشارة إلى أن ذلك كائن لا محالة فهو كالثَّابت المتحقق.

ثياب ليتها ما نُسِجت ولا لُبِست ... قال وهب بن مُنبِّه: «كُسِي أهل النار والعريُّ كان خيرًا لهم، وأُعطوا الحياة ... والموت كان خيرًا لهم»(٢).

وهو ما دفع عطاء السلمي إلى أن يقول: لو أنَّ إنسانًا أوقدت له نار، فقيل له: من دخل هذه النار نجا من النار، فقال عطاء: «لو قيل لي ذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحًا قبل أن أقع فيها!!»(٣).

لا عزاء لأهل النار

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾(٤).

والمعنى: أن الله عَزَّوَجَلَّ حَرَمَ أهل النار هذا المقدار من الفرح وهو أن يواسي بعضهم بعضًا ...وذلك أن صاحب البلاء إذا رأى من يساويه في المصيبة خفَّ عليه حزنه كما اشتُهِر عن الخنساء عندما فقدت أخاها صخرًا فقالت:

(١) سورة الحج: الآية: (١٩).

(٢) حلية الأولياء (٤/ ٧١).

(٣) التخويف من النار (ص ٩٨) - نقلًا عن (ليلى بين الجنة والنار).

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٣٩).

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَنْدُبُهُ بِكُلِّ مَغِيبِ شَمْسِ
وَلَولا كَثْرَةُ الباكينَ حَولي ... عَلى إِخوانِهِم لَقَتَلتُ نَفسي
وما يَبْكُونَ مِثْلَ أخي ولكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي

فما تعارف عليه الناس في الدنيا من تَسلِّي أحدهم برؤية مثله ممن ابتُلي بمصيبة، فذلك كله من أوهام البشر في الدنيا، وقد جعل الله ذلك رحمة بهم في دنياهم، وأما الآخرة فعالم الحقائق فقط ينتصب دون عالم الأوهام[١].

الحمَّى .. حظُّ المؤمن من نار جهنم

إن العبد إذا كان يعيش على طاعة الله (عَزَّوَجَلَّ) وأُصيب بالحُمَّى فإن الله يجعلها - برحمته - نصيبه من نار الآخرة.

قال ﷺ: «**أبشِر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أُسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار يوم القيامة**»[٢].

عينان لا تمسهما النار

روى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: «**لا يلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع**»[٣].

وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عينان لا تمسهما النار أبدًا.... عين بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس فى سبيل الله**»[٤].

(١) ليلى بين الجنة والنار (ص ٢١).
(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢).
(٣) رواه الترمذى وأحمد والنسائى ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).
(٤) رواه أبو يعلى والضياء عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١١٣).

۞ بل إنه من السبعة الذين يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(١) .

النار لا تأكل أثر السجود

قال ﷺ: «**تأكل النارُ ابنَ آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر السجود**»(٢) .

وقال ﷺ: «**إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنْ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**»(٣) .

ويا لها - والله - من كرامة فالنار تأكل كل جزء من جسد العبد - إن كان من عصاة الموحدين - إلا أثر السجود فى وجهه لأنه أكرم موضع فى جسده فهو موضع السجود والذل لخالق السماوات والأرض (جل وعلا).

يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعًا

يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كافر يأتى يوم القيامة فيتمنى أن يفدى نفسه من عذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعًا.

قال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾(٤) .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) رواه ابن ماجه ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٠٥) وأصله فى الصحيحين.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩١) كتاب الإيمان .

(٤) سورة المعارج: الآيات: (١١-١٨).

۞بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب»** (٣).

إنها لحظات قليلة تُنسي أكثر الكفار نعيمًا كلّ أوقات السعادة والهناء.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مُفتديًا بها؟ فيقول: نعم. فيقول أردت منك أهون من هذا، وأنت في صُلب آدم أن لا تُشرك ولا أُدخلك النار، فأبيت إلا الشرك»**. (٤)

إن شدة النار وهولها تُفقد الإنسان صوابه، وتجعله يجود بكل أحبابه لينجو من النار، وأنَّى له النجاة: ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩١).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة.

﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[١].

وهذا العذاب الهائل المتواصل يجعل حياة هؤلاء المجرمين في تنغيص دائم، وألمٍ مستمر[٢].

كفرة الجن في النار

كَفَرةُ الجن يدخلون النار كما يدخلها كفرة الإنس ... فالجن مُكلَّفون كالإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٣].

وفي يوم القيامة يُحشر الجن والإنس على حدٍّ سواء: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾[٤]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾[٥] ثم يقال للكفرة منهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾[٦]، وعند ذلك يُكبكبون في النار: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[٧]، وبذلك تتم كلمة الله القاضية بملء النار من كفرة الجن والإنس ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٨]، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ

(١) سورة المعارج: الآيات: (١١-١٦).

(٢) الجنة والنار (ص ٨٩-٩٠).

(٣) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢٨).

(٥) سورة مريم: الآيات: (٦٨-٧٠).

(٦) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٧) سورة الشعراء: الآيتان: (٩٤، ٩٥).

(٨) سورة هود: الآية: (١١٩).

﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾(١)(٢).

إذا كانت الجن مخلوقة من النار فكيف يُعذَّب كافرهم بالنار؟

هذا سؤال طالما تردد على ألسنة الكثيرين، ولكن لو تفكروا قليلًا لعقلوا وفهموا، فكلنا نعلم أن الإنسان خُلق من طين، ولكنه الآن ليس طينًا؛ بل أصله فقط هو الطين، وكذلك الجن خُلقت من نار، ولكنها الآن ليست نارًا، والأدلة على ذلك كثيرة.

منها: ما رواه النسائى بإسناد صحيح على شرط البخارى عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ: «**حتى وجدت برد لسانه على يدى**»(٣).

فمن هذا الحديث يتبين أن الجن الآن ليست نارًا، إذ لو كانت كذلك ما وجد رسول الله ﷺ للسان الشيطان بردًا.

ومنها: قول رسول الله ﷺ: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى**»(٤).

والشاهد من هذا الحديث أن إبليس لو كان باقيًا على ناريته ما احتاج إلى أن يأتى بشهاب من نار.

ومنها: قول النبى ﷺ: «**إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم**»(٥)

(١) سورة فصلت: الآية: (٢٥).

(٢) الجنة والنار (ص ٥٧).

(٣) سنده صحيح: رواه أحمد (٣٩١٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصحح سنده العلامة الألبانى رحمه الله فى كتاب صفة الصلاة (ص٨٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٤٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٨) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

فلو كان باقيًا على ناريته لأحرق الإنسان.

فإن قيل: إن المقصود بهذا الحديث هو وسوسة الشيطان.

نقول: اتفق علماء الأصول على أنه لا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلا بقرينة، وأين القرينة هنا؟

وأضف إلى ذلك أن الإنسان خُلق من طين ويمكن أن يُعذَّب به، كما أنه خُلق أيضًا من ماء ويمكن أن يُعذَّب به.

والأحسن من هذا وذاك أن نقول: إن الله على كل شيء قدير[١].

مصير إبليس يوم القيامة ... وخطبته في النار[٢]

إبليس هو رأس الضلال، ومخيِّب الآمال، وعدوّ الصالحين، ونصير المجرمين، من أطاعه تردَّى وهلك، ومن عصاه فاز.

تكرر اسم الشيطان في القرآن ٨٨ مرة[٣]، إظهارًا لخطَره، وبيانًا لعداوته، وتحذيرًا من طاعته، وفضْحًا لخُطَطه، وإفشالًا لخطواته.

والشَّيطان يوم القيامة يلقى أسوأ مصير، وقد أخبرنا الله بكَيْدِهِ وأمرنا بعداوته، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٤].

بل حتى الأنبياء أوصَوا أولادهم بذلك فقال يعقوب لولده يوسف

(١) وقاية الإنسان من الجن والشيطان/ الشيخ وحيد عبد السلام بالى - حفظه الله - (ص: ٢٢ - ٢٣).

(٢) من كتاب (العالم الأخير) / د. محمد العريفي.

(٣) تكرر ذكر الشيطان في القرآن ٨٨ مرة، منها ٦٨ مرة بلفظ: الشيطان، ومرتان بلفظ: شيطانًا، و١٧ مرة بلفظ الشياطين، ومرة بلفظ شياطينهم.

(٤) سورة فاطر: الآية: (٦).

عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾(١).

بداية قصة الشيطان

الشيطان من الجِنِّ ... والجن كانوا في الأرض قبل الإنس.

وكانوا يُفسِدون ويَسفِكون الدِّماء. فبعث الله عليهم جنودًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فأَسَرَت الملائكة إبليس، فأظهر الصَّلاح وصار يتعبَّد مع الملائكة.

فلما أمر الله الملائكة - وإبليس بينهم - بالسجود لآدم سجد الملائكة إلَّا إبليس استكبر وعصى، وقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾(٢).

فلعنه الله تعالى وطرده من رحمته، فلم ينكسر إبليس ولم يَتُبْ ويستغفر عن خطئه، ويسأل ربه المغفرة والسماح، كلا، وإنما حقد إبليس على آدم وذريته وبدأ يُهدِّد ويتوعد بإفساد الناس، وصرفهم عن عبادة الله.

وقد بيَّن الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾(٣).

(١) سورة يوسف: الآية: (٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٦١).

(٣) سورة الأعراف: الآيات: (١١-١٨).

فكاد إبليس لآدم حتى تسبب في إخراجه وزوجه حَوَّاء من الجنة، وبالتالي إخراج ذرية آدم من الجنة، ولا يزال يُفسد ويُضل مَن استطاع.

عداوتنا للشيطان

ولهذا أوجب الله تعالى علينا معاداته، ومخالفته، وحذرنا من طاعته واتباع خطواته ... قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢).

الحكمة من خلق الشيطان

الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى ... وقد بيَّن الله تعالى الطريقين للناس ... كما قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(٤).

وقد توعَّد إبليسُ النَّاسَ وجعل همّه إضلالهم، فقال إبليس لربّه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٦).

(٢) سورة يس: الآية: (٦٠).

(٣) سورة الشمس: الآيات: (٧-١٠).

(٤) سورة النازعات: الآيات: (٣٧-٤١).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٦٢).

فكأن الشيطان قال: إنَّ هذا الإنسان الذي أكرمته وأمرتنا بالسُّجود له، سوف يُفسد في الأرض، ويَسفك الدِّماء ... اتركني يا رب أوسوس له وسأُثبت ذلك.

وكان من المُمكن أن لا يقبل الله طلبه، بل يُلقيه في النار فورًا، لكن حكمة الله اقتضت أن يتركه امتحانًا واختبارًا لإيمان الناس ... فأعطى إبليس فرصة المحاولة وأمهله... كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

رحمة الله بالعباد

من كرم الله أن رحمته واسعة، وهو غفور رحيم، يحب التَّوابين الأوَّابين ... فلو وسوس الشيطان للمرء مائة مرة، فحسنة واحدة تمحو كل ما فعل، ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد الإنذار إليه ... كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٢].

خطوات الشيطان

الشيطان يتدرج مع عباد الله لإضلالهم، فيجرهم من معصية إلى أكبر منها، حتَّى ربما أوصل بعضهم للشِّرك، وهي خطوات نهايتها النار.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١٥).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٦٨).

(٤) سورة النور: الآية: (٢١).

وأي بيان أوضح من كلام ربنا، ومع ذلك لا يزال أقوامٌ يركُضون خلف الشيطان ويطيعونه..!!

عرش إبليس!!

أخبرنا النبي ﷺ أنَّ إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه من أصحابه الشياطين لإضلال الناس وإحداث المشاكل بينهم.

فهو يدير أعوانه ويكون له مقر قيادة. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، ويُكافئ أصحاب الإنجازات!!

يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا. ثم يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا. ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته. فيُدنيه منه ويقول: نعم أنت[1].

فيعلم المرء أنَّ كل خصومة وخلاف وغضب، أصله من الشيطان، فيستعيذ بالله من شرِّه، ويَحذر من كَيده.

حِزب الشَّيطان

أتباع الشيطان وحزبه مصيرهم إلى النار، وقد قال تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣) كتاب صفة القيامة.

(٢) سورة فاطر: الآية: (٦).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١٩).

خُطْبة الشيطان

إذا قُضي الأمر، وانتهت الدنيا، ونُصِب الميزان، وتناثرت الصُّحف، وتناول أصحاب اليمين صحائفهم، وتناول أصحاب الشِّمال صحائفهم، وجاء ربنا لفصل القضاء، وجُوزي كل امرئٍ بما كان في صحيفته وصارت كل نفس بما كسبت رَهينة، وصُرِف أهل الجنة إلى الجنة، وأهلُ النَّار إلى النار ... هنا يقوم الشَّيطان ويخطب خطبة ما بعدها خطبة لأهل النار، فماذا يقول؟

بيَّن الله تعالى ذلك فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

نعم .. يقول لأتباعه: ﴿فَلَا تَلُومُونِى ﴾!! عجبًا!! إذن مَن يلومون؟

من الذي دعاهم إلى الفحشاء، وأغراهم بسفك الدِّماء. مَن الَّذي زيَّن لهم الحرام، ورغَّبهم في الآثام؟ يجيء الجواب: ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾، ثم يأتي المشهد الأخير في هذه الخطبة الخاسرة .. المشهد الذي يزيد أهل النار حسرة وألمًا .. المشهد الذي تظهر فيه حقيقة الشيطان .. مشهد التَّبرُّؤ من أتباعه.

يقول الشيطان لهم: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٢).

أي: كفرت بطاعتكم لي .. ولن ينفعكم اليوم إلا أعمالكم الصالحة ..
ثُمَّ يخبرهم بالنتيجة قائلًا: ﴿إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
هكذا تنتهي الخطبة .. فهذا حال رأس الكافرين وقائد المجرمين..

إبليس أول مَن يُكسى حُلة من النار

۞ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«أَوَّلُ مَنْ يُكْسى حُلَّه منَ النَّارِ إِبْلِيسُ فَيضَعُهَا على حَاجِبه أوْ حَاجِبَيْهِ - ويَسْحَبُهَا مِنْ بَعْدِهِ، وذُرِّيَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ - أوْ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُو يُنادِي: يا ثُبُورَاهُ، ويُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ مَرتين، حَتَّى يَقفُوا عَلَى النَّار، فيَقُولُ: يا ثُبُوراهُ، ويَقولُون: يا ثُبُورَهُمْ» فيُقَالُ لَهُمْ: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدۡعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[1][2].

مَن الجهنميون؟ وهل يخرجون من النار بعد دخولها؟

الجواب: نعم، هم أقوام من الموحدين لله، غير المشركين به، لكن عندهم معاصٍ دخلوا بسببها النار، فيُعذَّبون ما شاء الله، ثُمَّ يخرجون منها، قال ﷺ: **«يُخرِجُ اللهُ أُنَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ»**[3].

۞ قَالَ: **«لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَلَيْسَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ فَمَا لَكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ، فَإِذَا سَمِعَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّى يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمَّا**

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (١٤).

(٢) ضعيف: قال الهيثمي في المجمع (١٨٦١١): رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق، وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٤٣).

(٣) يأخذ نِقْمته: النِّقْمة هي الغضب، أي: يأخذ غضبه وعقوبته.

أُخْرِجُوا، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتُدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَنُخْرَجُ مِنَ النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[(١)]، قَالَ: «فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ مِنْ أَجْلِ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ، فَيَأْمُرُهُمْ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْهُمْ»[(٢)].

۞ وقال ﷺ: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[(٣)].

۞ وأخبر النبي ﷺ أن اسمهم «الْجَهَنَّمِيُّونَ» فقال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»[(٤)].

هل النار خالدة أم أنها تفنى؟

النار خالدة لا تفنى ولا تبيد، كما قال الطحاوي في عقيدته: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان ولا تبيدان»[(٥)]، ونقل ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك،

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٢).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٤٠٥/ ١٤٢/ ٨٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٨) كتاب الرقاق، ومسلم (١٩١) كتاب الإيمان.

(٥) شرح الطحاوية: (ص ٤٧٦).

فقد جاء في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل» قوله: «اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا الجهم بن صفوان».(١)

وجاء في كتابه «مراتب الإجماع» قوله: «... وأن النار حق، وأنها دار عذاب لا تفنى، ولا يفنى أهلها بلا نهاية»(٢). والنصوص الدالة على خلود النار كثيرة جدًّا، وحسبك أن الله سمَّاها «دار الخلد».

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار خالدة لا تبيد، وأهلها فيها خالدون ... ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون.

(١) أما الجنة: فقد دَلَّ على خلودها الكتاب والسنة:

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٣). يعني غير مقطوع.

- وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(٤). فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيدًا لمعنى أبدية الخلود.

- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾(٥).

- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل/ لابن حزم: (٤/ ٨٣).

(٢) مراتب الإجماع: (١٧٣) - نقلًا عن (الجنة والنار) للأشقر.

(٣) سورة هود: الآية: (١٠٨).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٤٨).

(٥) سورة النساء: الآية: (٥٧).

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾[١] [٢].

وأما في السُّنَّة، فمنها قوله ﷺ: « يُنَادِي مُنَادٍ: -يعني أهل الجنة- إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا، وَلَا تَهْرَمُوا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٣] [٤].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٥] وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا - ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾»[٦].

(٢) وأما خلود النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٢٢).

(٢) اليوم الآخر / عبد المحسن المطيري (ص٢٩٤).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧)، كتاب الجنة - اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة (ص٣٩٤).

(٥) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب التفسير، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة.

مُبْلِسُونَ ﴾(١).

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢).

- وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٣).

وأما السُّنة فحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جهنَّم خَالِدا مخلَّدًا فِيهَا أبدا»(٤).

هل تفنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يُخفَّف العذاب عن أهلها؟

أما فناء النار فقد بيَّن سبحانه عدمه بقوله: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(٥) ومعلوم أن ﴿ كُلَّمَا ﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نَصَّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(٦)

---

(١) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٤، ٧٥).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٨، ٩٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٨١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٩٧).

(٦) سورة فاطر: الآية: (٣٦).

وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[١]، وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[٢].

وقد بيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، أن الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبشٍ أملح فيُذبح وإذا ذُبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت.

كما قال ﷺ: «يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار، خلودٌ فلا موت»[٣].

❁ وأما إخراجهم منها: فنَصَّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٤]، وبقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[٥]، وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[٦].

❁ وأما تخفيف العذاب عنهم: فنَصَّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[٧].

- وقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٨].
- وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٩].

---

(١) سورة طه: الآية: (٧٤).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة.

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٦٧).

(٥) سورة السجدة: الآية: (٢٠).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٣٧).

(٧) سورة فاطر: الآية: (٣٦).

(٨) سورة النبأ: الآية: (٣٠).

(٩) سورة الزخرف: الآية: (٧٥).

- وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾(١).
- وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾(٢).
- وقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾(٣).
- وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٤).

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حق الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر ... ولا غرابة في خلود الكفار الأبدي، لأن خُبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائمًا لا يزول ... والدليل على أن خُبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾(٥) فقوله ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط فهي تَعُمّ، فلو كان فيهم خيرًا ما، لعلمه الله.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ وبقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٦)والعلم عند الله تعالى(٧).

هل المراد بالخلود طول المُكث؟

قد يقول القائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تُسمي أبناءها خالدًا تفاؤلًا بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلَّد الله مُلكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمدٍ لا

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٥).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٧٧).
(٣) سورة النحل: الآية: (٨٥).
(٤) سورة المائدة: الآية: (٣٧).
(٥) سورة الأنفال: الآية: (٢٣).
(٦) سورة آل عمران: الآية: (١٧٨).
(٧) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي (ص٩٣- ٩٧) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر) د/ علي الصلابي.

إلى الأبد، والرجل الذي أسَنَّ ولم يَشِب تقول عنه العرب: مُخلَّد[(١)].

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته.

قال صاحب لسان العرب: الخُلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها[(٢)]، وإنما يُطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقرينه، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم .... وهي بالتتبُّع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾[(٣)].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾[(٤)].

ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[(٥)].

وزاد هذا المعنى وضوحًا الآيات التي تنفي خروجهم من النار وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها[(٦)].

ـ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[(٧)].

ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ

---

(١) لسان العرب (٣/ ١٦٣).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٦٤).

(٣) سورة النساء: الآيتان: (١٦٨، ١٦٩).

(٤) سورة الأحزاب: الآيتان: (٦٤، ٦٥).

(٥) سورة الجن: الآية: (٢٣).

(٦) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة (ص٤٠٠).

(٧) سورة المائدة: الآية: (٣٧).

لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾(١).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾(٢).

- وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾(٣).

- وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾(٤).

❁ ففي تفسير هذه الآية أوجه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين... وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين ... ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحَّاك، وأبي سنان، وغيرهم.

الثاني: أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مُصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات ... فالظاهر مُقدَّم على المُجمَل كما يُقرَّر في الأصول(٥).

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (٣٥).

(٢) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٤، ٧٥).

(٣) سورة الأعلى: الآيات: (١١-١٣).

(٤) سورة هود: الآيتان: (١٠٦، ١٠٧).

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم (ص٤٠٢) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

الذين لا يُخلَّدون في النار

الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها هم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئًا، ولكن لهم ذنوب كثيرة فاقت حسناتهم، فخفَّت موازينهم، فهؤلاء يدخلون النار مُددًا يعلمها الله سبحانه وتعالى، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، ويُخرج الله برحمته أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط[١].

من هم أصحاب الأعراف؟

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

والأعراف سور بين الجنة والنار[٣].

وأما أصحاب الأعراف: هم قوم استوتْ حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصَّرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يُقضَى بين الناس، ثم يُدخلهم الجنة، برحمته ....

نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جمعٍ من الصحابة والتابعين[٤].

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهزلي قال: قال سعيد بن جبير

(١) الجنة والنار (ص ٥٨).

(٢) سورة الأعراف: الآيات: (٤٦-٤٨).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص٥٦٢).

(٤) البعث والنشور للبيهقي (ص٨١ ـ ٨٧).

وهو يحدث عن ابن مسعود أنه قال: يُحاسَب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[1]، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا إلى أهل النار فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. تعوَّذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورًا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويُعطَي كل عبد يومئذ نورًا، وكل أمة نورًا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم يُنزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولًا.

فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كُتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه[3].

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠٢، ١٠٣).

(٢) اليوم الآخر د. المطيري (ص٤١٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦)، فتح القدير (١/ ٢١٥) - (نقلًا عن الإيمان باليوم الآخر).

صورٌ من عذاب أهل النار

إنَّ من كمال رحمة الله (جلَّ وعلا) أنَّه ذكر لنا الجنة وما فيها من النَّعيم وذكر لنا النَّار وما فيها من العذاب والنَّكال ... ثُمَّ ذكر لنا مشاهد وأحداثًا بل وذكر لنا صورًا من عذاب أهل النار حتى نُسرع إلى التوبة والعودة إلى الله قبل أن نُعذَّب يوم القيامة بأي صورة من صور العذاب التي ستكون في النار.

۞ وها هي جملة من أنواع وألوان العذاب الذي يُسلَّط على أهل النار في نار جهنم - أعاذنا الله وإيَّاكم منها - فمن بين أنواع العذاب الذي يتعرضون له:

(١) تسويد الوجوه:

فمن العذاب الحسِّي والمعنوي في آنٍ واحدٍ أن يُسوِّد الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة وجوه أهل النار.. ويا له من خزيٍ أن يُصبح هذا الإنسان أسود الوجه وكأنَّه يحمله معه دليلًا على أنَّه من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(١) وهو سواد شديد، كأنما حلَّت ظُلمة الليل في وجوههم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٧).

(٢) إنضاج الجلود :

يُضخَّم يوم القيامة حجم الكافر في النار حتى يصبح حجم الواحد منهم كما بين مكة والمدينة ويصبح ضرسه في حجم جبل أُحد .. وذلك حتّى يتناسب مع قوة النار ولهبها - عياذًا بالله-.

قال ﷺ: « **إِنَّ غِلَظَ جَلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ**[١]**، وإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ وإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ** »[٢].

۞ وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « **مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ للرَّاكِبِ المُسْرِعِ** »[٣].

وخرّج مسلم أيضًا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**ضرس الكافر - أو ناب الكافر - مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام**»[٤].

وعن أبى هريرة أيضًا عن النبى ﷺ قال: « **ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ قُدَيْدٍ، وَمَكَّةَ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ** »[٥].

وفى رواية للحاكم: « **وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا** ».

قال الحافظ المنذرى: وقد ورد أن من هذه الأمة من يَعظُم فى النار كما يعظم فيها الكافر ... فروى ابن ماجه والحاكم وغيرهم من حديث عبد الله بن

---

(١) أى جبار من جبابرة الآدميين ممن كان فى القرون الأولى ممن كان أعظم خلقًا وأطول ذراعًا من الناس - كذا فى المستدرك عن شيخه أبى بكر بن إسحاق.

(٢) صحيح: رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى مع الفتح (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة.

(٤) صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة (٢٨٥١) كتاب الجنة.

(٥) رواه أحمد، والحاكم، وصححه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٩٠).

قيس قال: كنت عند أبى بريدة ذات ليلة فدخل علينا الحارث بن أقيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحدثنا الحارث لَيلَتئذٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مُضَر، وإن من أمتى مَن يَعظُم للنار حتى يكون أحد زواياها**»(١).

۞ وقد يسأل سائل ويقول: وما السبب فى ضخامة جسد الكافر إلى هذا الحد؟ بل وما السبب فى كثافة جلده على وجه الخصوص؟

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة -وفى رواية: مائة مرة- ولا يتحملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقة الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد - على وجه الخصوص - لأن مراكز الإحساس كلها لا تكون إلا فى الجلد فيكون الإحساس بلهيب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾(٢).

قال الحسن فى هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

۞ ولماذا كل هذا؟!

لكي تشعر كل ذرَّة من جسد المُعذَّب بالعذاب فيتضاعف أثر الألم على البدن ... ولو أنَّ رجلًا اشتكى رأسه من الألم، أو اشتكى بطنه فحسب أو رجله أو يده لنغَّص هذا الألم المحدَود في عضوٍ واحدٍ من أعضائه عليه أوقاته وأطار منامه، فكيف إذا كانت كل خليَّةٍ في الجسد تشتكي وتتعذَّب؟!

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٢٣) صفة النار والحاكم (١/ ٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وقال المنذرى: وإسناده جيد وصححه الألبانى في صحيح ابن ماجه (٤٣٢٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (٥٦).

ومن كثرة ما يلقى أهل النار من السَّعير يتحولون تَحوُّلًا آخر، حيث التهبت أحشاؤهم واحترقت أجوافهم حتى بدا أثر ذلك في أنفاسهم وزفيرهم ... ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَهُمْ نَفَسُهُ، لاحْتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيه»**(١).

وقد أخبر النبي ﷺ في حديثٍ آخر أن خصائص الخلايا البشرية تتغير، فبدلًا من مجرد احتراق الأنسجة وتَفحُّمها إذا وصلت النار إليها تتغير خصائصها، فتوصل هذه الأنسجة الحرارة حتى تمتد من قدمي المعذَّب إلى دماغه .... قال ﷺ: **«إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلي المِرجَل، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»**(٢).

وتكون النتجية الحتمية: ما أخبر عنه النبي ﷺ من أنَّ النار تلتهم الجسد كله لا تُبقي منه غير الوجه ليُعرَف به صاحبه، فقد أخبر ﷺ بالمشهد التالي وكأنَّه رآه رأي عين: **«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُخْرِجُ أَقْوامًا مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا لا يَبْقَى مِنْهُمْ فِيهَا إِلَّا الْوُجُوهُ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»**(٣)(٤).

(٣) اندلاق الأمعاء في النار:

وهذا مَثَلٌ لعالِم من علماء السوء الذين كانوا يأمرون الناس بالمعروف

(١) صحيح: رواه البزار، وأبو يعلى، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٣) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه عبد بن حميد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٩٣) -وأصله عند البخاري.

(٤) ليلى بين الجنة والنار (ص ٢٠،١٩).

ولا يفعلونه وينهون الناس عن المنكر ويفعلونه.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

وعن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»(٣).

ومن الَّذين يَجُرُّون أمعاءهم في النار عمرو بن لُحي، وهو أول من غيَّر دين العرب، وقد رآه الرسول ﷺ يَجرُّ قُصبَه في النار.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيْتُ عَمْرَو ابن عامِرٍ الخُزاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وكانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ»(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٤).

(٢) سورة الصف: الآيتان: (٢، ٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٨٥٦) كتاب الجنة.

تسييب السوائب: تشريع سنة عمرو للعرب حرم فيه ما أحلَّ الله تعالى، فقد حرَّم أنواعًا من الأنعام بأسباب لم يُنزل الله بها من سلطان، كأن يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها ... قال سعيد بن المسيب فيما رواه عنه البخاري ومسلم في روايتهما للحديث السابق: «البَحيرة التي يُمنع درها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم، فلا يُحمل عليها شيء».

(٤) تفاوت درجات العذاب على أهل النار:

۞ يتفاوت أهل الكفر في كفرهم .. فمنهم الكافر المحارب ... ومنهم الذي يَصُدّ الناس عن سبيل الله .. ومنهم الكافر المسالم الذي لا يُحارب أحدًا ولا يصد عن سبيل الله.

۞ وكذلك يتفاوت عُصاة الموحدين في معاصيهم.

ولذلك تتفاوت درجة العذاب على عصاة الموحدين وكذلك على الكافرين بحسب تفاوت أعمالهم.

قال تعالى عن أهل النار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾(٢).

۞ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**»(٣).

۞ واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾(٤) ..... وقال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾(٥) .... وقال ابن عباس: وافق أعمالهم،

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٢) سورة ص: الآية: (٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٥) كتاب الجنة.

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٣٢).

(٥) سورة النبأ: الآية: (٢٦).

فليس عقاب من تَغلَّظ كفره وأفسد فى الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٢).

وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين فى النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر ... وقد يُخفَّف عن بعضهم العذاب بحسناتٍ أُخَر له أو بما شاء الله من الأسباب.

۞ وأما الكفار إذا كان لهم حسنات فى الدنيا من العدل والإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب فى النار أم لا؟

وهذا فيه قولان للسلف وغيرهم... أحدهما: أنه يُخفَّف عنهم بذلك أيضًا... وقد سبقت الأحاديث فى تخفيف العذاب عن أبى طالب بإحسانه إلى النبى ﷺ .

والقول الثانى: أن الكافر لا ينتفع فى الآخرة بشىء من الحسنات بحال، ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٣).

وعن أنس عن النبى ﷺ، قال: **«إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة... يُعطَى بها فى الدنيا ويُجزَى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسنات ما عمل لله فى الدنيا**

---

(١) سورة النحل: الآية: (٨٨).

(٢) سورة غافر: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٢٣).

حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها»[١].

وفيه أيضًا عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن (ابن جدعان) كان فى الجاهلية يصل الرحم ويُطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه لأنه لم يَقُل يومًا: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين**»[٢].

وهؤلاء جعلوا تخفيف العذاب عن أبى طالب من خصائصه بشفاعة النبى ﷺ له، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبى ﷺ لا يشركه فيها غيره[٣].

(٥) قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٥].

يقول ابن رجب: «لما عَبَد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جُعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالًا، ونكاية لهم وإبلاغًا في حسرتهم وندامتهم ... فإن الإنسان إذا قُرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته»[٦].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٨) كتاب صفة القيامة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٤) كتاب الإيمان.

(٣) مختصر التخويف من النار (ص: ٤٥، ٤٦).

(٤) سورة الصافات: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٥) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٨، ٩٩).

(٦) التخويف من النار: (ص١٠٥).

ومن أجل ذلك يُقذَف يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا مما توقد به النار، تبكيتًا للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله.

ففي الحديث: «**الشمس والقمر مُكوران في النار**»(١).

يقول القرطبي: «وإنما يجمعان في جهنم، لأنهما قد عُبدا من دون الله لا تكون النار عذابًا لهم، لأنهما جماد، وإنما يُفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم»(٢).

ولهذا المعنى يُقرَن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾(٣)(٤).

(٦) قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

إن في النار سلاسل وأغلالًا وأنكالًا يُوثَق بها أهل النَّار في النار، ويُسحَبون بها في الحميم، ثُمَّ في النار يُسجرون ... السلسلة ذَرعُها سبعون ذِراعًا، وفيها يسلكون.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٠٠) كتاب بدء الخلق.

(٢) التذكرة للقرطبي: (ص٣٩٢).

(٣) سورة الزخرف: الآيات: (٣٦-٣٩).

(٤) الجنة والنار (ص ١٠١، ١٠٢).

(٥) سورة الإنسان: الآية: (٤).

(٦) سورة سبأ: الآية: (٣٣).

وقال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٣).

قال ابن رجب: فهذه ثلاثة أنواع:

أحدها: الأغلال: وهي في الأعناق، كما ذكر سبحانه.

والثاني: الأنكال: وهي القيود، ومفردها: نكل، وسُمِّيت القيود بالأنكال؛ لأنه يُنكَّل بها.

والثالث: السلاسل: قال ابن عباس، السلسلة تُدخل في استه (أي: دُبره) ثُمَّ تُخرج من فيه (أي: فمه) ثُمَّ يُنظَمون فيها كما يُنظَم الجراد في العود حتى يُشوى.

قال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾(٤).

قال الضَّحَّاك: يُجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره(٥).

وأعد الله لأهل النار مقامع من حديد، وهي المطارق التي تهوي على المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار، فإذا بها تطوح بهم مرة أخرى إلى سواء الجحيم، ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾(٦).

---

(١) سورة غافر: الآيتان: (٧١، ٧٢).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٣٠-٣٢).

(٣) سورة المزمل: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٤١).

(٥) التخويف من النار (ص ١٥٣، ١٥٤).

(٦) سورة الحج: الآيتان: (٢١، ٢٢).

(٧) سُرادق النار .. وإحاطة النار بالكفار:

لما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولذا فإن النار تحيط بالكفار من كل جهة.

كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[١]. والمهاد ما يكون من تحتهم، والغواش جمع غاشية، وهي التي تغشاهم من فوقهم.

والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾[٢]، وقال في موضع آخر: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾[٣]، وقد صرح بالإحاطة في موضع آخر: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[٤]. وقد فسر بعض السلف المِهاد بالفُرش، والغواش باللُّحف[٥].

وتأتي الإحاطة من ناحية أخرى، ذلك أن للنار سورًا يحيط بالكفار، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها[٦].

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٧].

السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء[٨].

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤١).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥٥).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٦).

(٤) سورة التوبة: الآية: (٤٩).

(٥) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٦٨) .

(٦) الجنة والنار (ص ٩٧، ٩٨).

(٧) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٨) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٣٥٩).

وقال رسول الله ﷺ: «**لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة**[١] ... وهذا السور له أعمدة ممددة طويلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[٢].

(٨) اطلاع النار على الأفئدة:

ذكرنا أن أهل النار يُضخَّم خلقهم في النار شيئًا عظيمًا، ومع ذلك فإن النار تدخل في أجسادهم حتى تصل إلى أعمق شيء فيهم ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[٣]، قال بعض السلف في قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾، قال: «تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك».

وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٤].

قال محمد بن كعب القرظي: «تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أُنشئ خَلقه» ... وعن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: «تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب ... ثم يبكي»[٥].

(٩) الضرب بمطارق الحديد:

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٦].

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى، وأحمد، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٤٦٧٥).

(٢) سورة الهمزة: الآيتان: (٨، ٩).

(٣) سورة المدثر: الآيات: (٢٦-٢٩).

(٤) سورة الهمزة: الآيات: (٤-٧).

(٥) التخويف من النار لابن رجب: (ص ١٤٦).

(٦) سورة الحج: الآيات: (١٩-٢١).

فيُضرب الكافرون بالسِّياط والمطارق من الحديد المُحَمَّى فتتناثر أعضاؤهم، ثم يعودون كما كانوا فيُضربون أخرى.

(١٠) صعود جبال النار ثم السقوط من فوقها:

لقد أخبر الحق (جلَّ وعلا) أنَّ في النار جبلًا يصعده بعض الكُفار ثم يسقطون من فوقه .. كنوعٍ من العذاب في النار.

قال تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾(١). قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: جبل في جهنم(٢).

(١١) السَّحب:

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾(٣)، ويزيد من آلامهم حال سحبهم في النار أنهم مُقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾(٤)، قال قتادة: يُسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة(٥).

(١٢) الصَّهر:

من ألوان العذاب صَبُّ الحميم فوق رؤوسهم... والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم

(١) سورة المدثر: الآية: (١٧).

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (ص٢٦٨).

(٣) سورة القمر: الآيتان: (٤٧، ٤٨).

(٤) سورة غافر: الآيات: (٧٠-٧٢).

(٥) التخويف من النار لابن رجب: (ص١٤٧).

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾(١).

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ، حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ**»(٢).

(١٣) اللفح بحرارة النار:

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه، ومن إهانة الله لأهل النار أنهم يُحشَرون في يوم القيامة على وجوههم عميًا وصمًّا وبكمًا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(٣)، ويُلقَون في النار على وجوههم ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤).

وتلفح النار وجوههم وتغشاها أبدًا لا يجدون حائلًا يحول بينهم وبينها ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٥)، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(٦).

أى: تحرقها بشدة حرها ... وتخصيص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ أى وهم فى جهنم عابسون مشوّهو المنظر.

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (١٩، ٢٠).

(٢) ضعيف: رواه الترمذى، وأحمد، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٤٣٣).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٩٧).

(٤) سورة النمل: الآية: (٩٠).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (٣٩).

(٦) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٤) – الجنة والنار (ص ٩٥).

قال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المُشيط بالنار .... وفى الحديث (تشويه النارُ فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخى شفته السُّفلى حتى تبلغ سُرته).

وقال أبو غندر الدمشقي: كان أويس إذا نظر إلى الرؤوس المشوية يذكر هذه الآية ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾، فيقع مغشيًّا عليه حتى يظن الناظرون إليه أنه مجنون.

۞ في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيرًا منه، وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء، فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السر في تقديمها على الفاعل(١)، ثم إن وجوههم تعلوها، وتحيط بها وتسعر أجسامهم المسربلة بالقطران(٢)، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٤).

وانظر إلى هذا المنظر الذي تقشعر لهوله الأبدان: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾(٥)، أرأيت كيف يُقلَّب اللحم على النار، والسمك في المقلى ... كذلك تُقلَّب وجوههم في النار، نعوذ بالله من عذاب أهل النار.

(١) تفسير أبي السعود (٦/ ١٥١).

(٢) القطران: النحاس المذاب - غريب القرآن (ص٤٠٧).

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٤) سورة الزمر: الآية: (٢٤).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٦٦).

(١٤) منهم من يقتل نفسه في النار كما فعل بنفسه في الدنيا :

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: « **مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا** »[١].

(١٥) منهم من تأكله النار إلى فؤاده :

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾[٢].

قال محمد بن كعب القرظى فى قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ قال: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أُنشىء خلقه.

(١٦) ومنهم من له لسانان من النار:

وقد ورد أن بعضهم له لسانان من نار، ووجهان من نار.

ففى «سنن أبى داود» عن عمار عن النبى ﷺ قال: « **مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ** »[٣].

(١٧) ومنهم من تُمسخ صورهم :

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة....... وفى «الصحيح» «**أن إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **إذا شفع فى أبيه، قيل له: يا إبراهيم انظر ما وراءك، فإذا هو بذيخ مُلطَّخ، فيُؤخذ بقوائمه، ويُلقَى فى النار**»[٤]..... والذيخ: الضبع الذكر.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الهمزة: الآيات: (٤-٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٣٥٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

قال ابن مسعود: إذا أراد الله تعالى أن لا يُخرج منها أحدًا غيَّر صورهم وألوانهم فلا يُعرف منهم أحد.

(١٨) ومنهم من يُلقى فى مكانٍ ضيق:

ومنهم من يُلقَى فى مكانٍ ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه،..

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾(١).

قال كعب: إن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج رُمح أحدكم ثم يُطبَق على أُناسٍ بأعمالهم.

وعن سويد بن غفلة قال: إذا أراد الله أن يُنسَى أهل النار جعل للرجل صندوقًا على قدره من النار ولا ينبض عرق إلا فيه مسمار من نار، ثم تُضرم فيه النار، ثم يُقفل بقفلٍ من نار، ثم يُجعل ذلك الصندوق فى صندوق من نار، ثم تُضرم بينهما نارٌ ثم يُقفَل، ثم يُطرح - أو يُلقى - فى النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾(٢)....وقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٣). قال: فما يرى أن فى النار أحدًا غيره..... أخرجه البيهقى(٤).

(١٩) حيَّات جهنم وعقاربها:

إن في النار حيَّاتٌ وعقاربٌ يشيب لهولِ منظرها الولدان .... لا يستطيع أحدٌ أن ينظر إليها لهولِ منظرها وقَبَاحَتِهَا ... فالحيَّات فيها كأَمْثَال أعناق الإبل .. والعقارب فيها كأمثال البغال .. عافانا الله وإياكم منها.

(١) سورة الفرقان: الآية: (١٣).

(٢) سورة الزمر: الآية: (١٦).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٠).

(٤) مختصر التخويف من النار (ص: ٩٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١).

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم، كما فسرها بذلك النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شُجاعًا أقرع، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وقال مرة: قرأ رسول الله ﷺ مصداقه: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: «**من اقتطع مال أخيه المسلم بيمينٍ لقي الله وهو عَليه غضبان**» ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ...﴾(٢)»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يُؤدِ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا**(٤) **أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلُهزمتيه -يعني شِدقيه- ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك .... ثم تلا**: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾(٥) (٦).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب كأمثال**

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٧٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١٩).

(٤) الشجاع: الحي الذكر - والأقرع الذي تقرع رأسه.

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٨٠).

(٦) صحيح: رواه البخاري، (١٤٠٣) كتاب الزكاة.

البغال الموكفة تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة»[(١)].

(٢٠) ينسى كل نعيم مع أول غمسة في النار:

قال ﷺ: « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يقال له: يا ابن آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَالله يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَالله يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ »[(٢)].

(٢١) يتمنى الموت ولا يجده:

قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[(٥)].

۞ قال إبراهيم فى قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ حتى من تحت كل شعرة فى جسده.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٤٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

(٣) سورة الأعلى: الآيات: (١١-١٣).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٣٦).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (١٧).

وقال الضحاك: حتى من إبهام رجليه .... والمعنى: أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح.

قال الأوزاعى عن بلال بن سعد: تنادى النار يوم القيامة: يا نار أحرقى يا نار اشتفى، يا نار أنضجى، كُلى ولا تقتلى.

وقال ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(١).

(٢٢) كثرة أهل النار:

فأهل النار الذين هم أهلها كثيرون .. وقد جاءت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة التي تدل على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٢).

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣).

- وقال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥) كتاب الإيمان.

(٢) سورة هود: الآية: (١١٩).

(٣) سورة السجدة: الآية: (١٣).

(٤) سورة ص: الآيتان: (٨٤، ٨٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»[١].

(٢٣) زيادة أهل النار من العذاب :

وعن عبد الله بن مسعود فى قول الله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[٢] قال: زِيدُوا عَقَارِبَ أنيابُهَا كالنَّخلِ الطِّوَالِ[٣].

۞ وعن ابن عباس أنه قالَ: فى قوْل الله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[٤] قالَ: هِىَ خَمْسَة أنهارٍ تَحْتَ العَرْشِ يُعذَّبُونَ بِبعْضِهَا بالليْل وبِبعْضهَا بِالنَّهار[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة النحل: الآية: (٨٨).

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (١٨٦٠٠): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٤) سورة النحل: الآية: (٨٨).

(٥) قال الهيثمى فى المجمع (١٨٦٠١): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٢٤) وعذابهم لا ينتهى أبدًا :

فعذاب أهل النار - الذين كتب الله عليهم الخلود فيها - لا ينتهى أبدًا.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾(٢).

قال مبارك عن الحسن: ذكر الله السلاسل والأغلال والنار وما يكون فى الدنيا، ثم قرأ: ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾(٣).

وقال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول على منبر دمشق : لا يأتى على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفًا من النعيم لم يكن يعرفه،... ولا يأتى على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لنوع من العذاب لم يكن يعرفه ... قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾(٤).

(٢٥) ندم وحسرة وبكاء أهل النار:

عندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم، ولات ساعة مندم ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٥).

وعندما يطَّلع الكافر على صحيفة أعماله، فيرى كُفرَه وشِركَه الذي

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٦).

(٢) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٤، ٧٥).

(٣) سورة ص: الآية: (٥٨).

(٤) سورة النبأ: الآية: (٣٠).

(٥) سورة يونس: الآية: (٥٤).

يؤهله للخلود في النار، فإنه يدعو بالثبور والهلاك ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١).

ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يُلقون في النار، ويَصلَون حرها ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (٢). هناك يشتد نحيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣)، إنهم يبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون دمًا، وتُؤثّر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر .... ففي مستدرك الحاكم عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: « **إنّ أهْلَ النارِ لَيَبْكونَ حَتَّى لوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ جَرَتْ وإنَّهُمْ لَيَبْكونَ الدَّمَ** » - يعني: مكان الدمع - (٤).

وعن أنس بن مالك أنَّ النبى ﷺ قال: «**يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الأخدود، لو أُرسلت فيه السفن لجَرَتْ**»(٥)(٦).

❊ ❊ ❊

(١) سورة الانشقاق: الآيات: (١٠-١٢).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٨٢).

(٤) حسن: رواه الحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٣٢).

(٥) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٨٣).

(٦) الجنة والنار / د. عمر الأشقر (ص ١٠٢-١٠٤).

عذاب أهل النار المعنوى

فهناك عذاب معنوى لأهل النار - فوق العذاب الحسى .

۞ فمن عذابهم المعنوى أنهم إذا دخلوا النار يلعن بعضهم بعضًا..

قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾(١).

۞ ومن عذابهم المعنوى أنهم يسمعون خطبة إبليس فى النار وهو يعلن أنه خدعهم وزيَّن لهم المعصية حتى وقعوا فى نار جهنم.... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

۞ ومن عذابهم المعنوى أن الملائكة تُبكتهم قبل أن يدخلوا إلى منازلهم فى نار جهنم... قال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾(٣).

۞ ومن عذابهم المعنوى أن المؤمنين يَسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٢٢).

(٣) سورة الملك: الآيتان: (٨، ٩).

هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[(١)].

۞ قال القرطبى: يُقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا، فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أُغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون[(٢)] ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أى هل جوزى الكفار فى الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

۞ وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عَزَّوَجَلَّ وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم ... كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتَجلِّيه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة ... قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[(٣)].

فكما حُجبت قلوبهم فى الدنيا عن الله حُجبوا فى الآخرة عن رؤيته، وهذا بخلاف حال أهل الجنة...قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾[(٤)]. والذين أحسنوا هم أهل الإحسان، والإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، كما فسره النبى ﷺ لما سأله عنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجعل جزاء الإحسان الحسنى وهو الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ[(٥)].

---

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٩-٣٦).

(٢) القرطبى (١٩/ ٢٦٨).

(٣) سورة المطففين: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٤) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٥) مختصر التخويف من النار (ص: ١٥- ٢٥).

تلاعُن أهل النار

۞ إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحدٍ منهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعُن بينهم إضافة إلى عذابهم الذى لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبدًا ... فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

ثم يذهب بنا القرآن إلى مشهد آخر فيقول الله (جلَّ وعلا): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[2].

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله ؟!
﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[3].

هكذا يتلاعنون فى النار ويدعو بعضهم على بعض ويتمنى كل واحدٍ

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (٣٨، ٣٩).
(٢) سورة الأحزاب: الآيات: (٦٤-٦٦).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

منهم للآخر زيادة الخزى والعذاب.

وكان السبب الرئيسى لهذا المشهد البئيس هو أنهم اتبعوا الرؤساء والقادة فى طرق الكفر والضلال. أما المؤمنون يقول عنهم الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[1].

وتتوالى مشاهد الخزى والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[2]. فأيقن القادة والأتباع أنهم من أهل النار وعرفوا أنه الخلود والبوار فتوجهوا بهذا السؤال إلى خزنة النار ليشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من عذاب النار.

يقول الحق جل وعلا مخبرًا أن الملائكة تُبكِّت وتُوبخ أهل النار قبل أن يدخلوا ويسكنوا منازلهم فى النار.

فقال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[3].

(١) سورة الحجر: الآيات: (٤٥-٤٨).

(٢) سورة غافر: الآيات: (٤٧-٥٠).

(٣) سورة الملك: الآيتان: (٨، ٩).

فجعلهم الله (جل وعلا) يُقرون على أنفسهم أنهم لم يدخلوا النار ظُلْمًا لأن الله هو الحَكَم العدل ... بل إنهم يعترفون على أنفسهم أنهم قد كذَّبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم، وبذلك تقع الحُجة عليهم فيعرفون أن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون... وتأمل معى عذابهم وتلاعُنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق (جل وعلا).

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾[1].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[2].

وقد أخبر الحق تبارك وتعالى عن هذا المشهد فى آيات كثيرة موضحًا مشهد سخرية الكفار من المؤمنين فى الدنيا وعقوبة الله للكافرين فى الوقت الذى يرحم فيه المؤمنين ويحل عليهم رضوانه ويدخلهم جنات النعيم.

فقال تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟

(١) سورة ص: الآيات: (٥٥-٦١).

(٢) سورة ص: الآيات: (٦٢-٦٤).

﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[١]. فحكم الله للمؤمنين بالفوز فى الجنة وحكم على الكافرين بالخسران ولم يأذن لهم بمجرد الكلام فقال: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم سألهم الحق تبارك وتعالى سؤالًا عظيمًا، وذلك على وجه التوبيخ فقال (جل وعلا): ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

أى كم تمتعتم بالأموال والنساء والمناصب ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾!! ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والله ما كانت تستحق تلك الدقائق والساعات أن تنسوا لقاء ربكم وتسخروا من أوليائه وتستكبروا من عبادة العزيز الجبار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[٢].

مطالب أهل النار في الآخرة

❁ وها هي جملة من مطالب أهل النار في الآخرة:

(١) طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾[٣].

وفي قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾، إن الله يعلم طبيعتهم ويعلم إصرارهم على باطلهم ويعلم أن

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٨-١١١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١١٢-١١٦).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

رجفة الموقف الرهيب الرعيب على النار هي التي أنطقت ألسنتهم بهذه الأماني وهذه الوعود ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ويدعهم السياق في هذا المشهد البائس وهذا الرد يصفع وجوههم بالمهانة والتكذيب[١].

- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢].

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: أي: يوم القيامة، وما وُعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار[٣].

- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤].

إنه مشهد الاحتقار وإعلان التوبة عند مواجهة الموت وطلب الرجعة إلى الحياة لتَدارُك ما فات والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال.

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٦٧، ١٠٦٨).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٣).

(٣) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة (ص٣٥) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٤) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

﴿ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(٣).

(٢) طلب الفداء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾(٤).

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض: هو أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعًا، ولكن السياق يفترض لهم، ما فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ثم عجزهم عن بلوغ

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٦-١١١).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٤، ٤٥).

(٣) سورة فاطر: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

الهدف وبقائهم في العذاب الأليم المقيم ... إنه مشهدٌ مُجسَّم ذو مناظر وحركات متواليات ... منظرهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرهم وهم يعرضونه ليفتدوا به ومنظرهم وهم مُخيبوا الطلب غير مقبولي الرجاء، ومنظرهم وهم يدخلون النار، ومنظرهم وهم يحاولون الخروج منها، ومنظرهم وهم يُرغَمون على البقاء ... ويُسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك[1].

- قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[2]. أي: من مات فلن يَقبل منه خيرًا أبدًا ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبًا ...لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها[3].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[4].

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ولكنهما لا يُغنيان شيئًا في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه لأنه لا خلاف لميعاد الله وهم فيه ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ .. بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته ويصورهم في صورة الحطب والخشب... ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ لا بل إن الأموال والأولاد

(١) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة / رجب محمود بخيت (ص١٨)، في ظلال القرآن / سيد قطب (٢/ ٨٨٢).

(٢) سورة الرعد: الآية: (١٨).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠).

ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئًا في الدنيا [١].

- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) ﴾ [٢].

إنه الهول الملفوف في ثنايا التعبير الرهيب، فلو أن لهؤلاء الظالمين، لو أن لهؤلاء ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما يحرصون عليه ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ لقدموه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة... وهولٌ آخر يتضمنه التعبير الملفوف ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ولا يفصح عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه. لا يفصح عنه ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون هكذا بلا تعريف ولا تحديد ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وهذه كذلك تزيد الموقف سوءًا، حين يتكشف لهم قُبح ما فعلوه، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير وهم في ذلك الموقف الأليم [٣].

(٣) طلب النور:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٣٧٣)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب بخيت (ص٢٠).

(٢) سورة الزمر: الآيتان: (٤٧، ٤٨).

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٥٦) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾[١].

إن المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾، فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتًا يناديهم ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودَسٍّ في الظلام ... ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور، وعلى الفور يُفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت منها.

هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ فما بالنا نفترق عنكم؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيدٍ واحد؟ وقد بُعثنا معكم في صعيدٍ واحد[٢]؟

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي: أخَّرتم التوبة من وقتٍ إلى وقت.

﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ أي: قلتم سيُغفر لنا ... وقيل: غرتكم الدنيا.

---

(١) سورة الحديد: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٨٦).

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت. ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان[1].

(٤) طلب سُقيا الماء والطعام:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2].

(٥) طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء:

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومُنقذكم

(١) مطالب الظالمين (ص١٥٩) - نقلًا عن الإيمان باليوم الآخر (ص ٢٩٠،٢٨٩).

(٢) سورة الأعراف: الآيات: (٤٨-٥١).

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان: (٢١، ٢٢).

ومُخلصكم مما أنتم فيه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ أي: بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال[١] ... قال القرطبي: فلا أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي، والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة، والمصرخ هو المغيث[٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾﴾[٣].

وفي قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾.

والمعنى: أن الله تعالى بيَّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يُفرَّق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلك وهولٌ عظيم وأمرٌ كبير[٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا

(١) مطالب الظالمين (ص٨٥).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٣) سورة الكهف: الآيتان: (٥٢، ٥٣).

(٤) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة (ص٩٥).

ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾، قال ابن عباس: يقولون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنّا كنا أذلاء وكنتم أعزاء (٤).

(٦) طلب الانتقام من السادة والكُبراء الذين أضلوهم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ

(١) سورة سبأ: الآيات: (٣١-٣٣).

(٢) سورة غافر: الآيتان: (٤٧، ٤٨).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٢٧-٣٤).

(٤) مطالب الظالمين (ص١٠٦) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٥) سورة الأعراف: الآيتان: (٣٨، ٣٩).

﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[4].

(٧) طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ

(١) سورة ص: الآيات: (٥٥-٦١).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٢٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآيات: (٦٤-٦٨).

(٤) سورة البقرة: الآيات: (١٦٥-١٦٧).

إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾(١).

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ يعني: حتى إذا جاء مترفيهم وهم المُنعَّمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون فيُقال لهم: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: إذا دُعيتم أبيتم وإن طُلبتم امتنعتم.

۞ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾(٢).

۞ وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾(٣).

وفي قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾. فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عُدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون ... فأُجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه، بل تَمُجّه وتنفيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ فهذا هو الذي

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (٦٤-٦٧).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩).

(٣) سورة غافر: الآيتان: (١١، ١٢).

يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل... إيمانكم بالشركاء وكفركم بالوحدانية، فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم. الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير[١].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢].

(٨) طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[٣]..

(٩) طلب القضاء عليهم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[٤].

خمس دعوات لأهل النار

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عَزَّ وَجَلَّ في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا.... يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٧٢) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٢) سورة السجدة: الآيتان: (٢٠، ٢١).

(٣) سورة غافر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٤) سورة الزخرف: الآيات: (٧٤-٧٨).

وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾[٢] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[٣] فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[٤] ثم يقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[٥] فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رضي الله عنه: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[٦].

قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

اخسئوا فيها ولا تكلمون

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار

(١) سورة غافر: الآية: (١١).

(٢) سورة غافر: الآية: (١٢).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٤٤).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

(٥) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٦-١٠٨).

(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٢١).

فقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[١].

۞ ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من العذاب.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[٢].

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لمالك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[٣].

قال الأعمش: نُبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

۞ وعن عبد الله بن عَمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾[٤] فلا يجيبهم مثل الدنيا -أى: مثل زمن الدنيا- ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٥] ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أوَّلها شهيق وآخرها زفير[٦].

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

(٢) سورة غافر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٧٧).

(٤) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٧).

(٥) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٨).

(٦) قال الهيثمى فى المجمع (١٨٦٣٦): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

تَحاوُر أصحاب الجنة وأصحاب النار

وتعالَ معى أخى الكريم لنتأمل سويًّا هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة .... إنه تَحاوُر أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار فى النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زَقُّومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها ويقولون: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾[1].

وهذا كما أخبر اللّه فى سورة الصافات عن الذى كان له قرين من الكفار ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[2].

أى: ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا، ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال ... وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

وكذلك قرع رسول اللّه ﷺ قتلى القليب يوم بدر (كما فى الصحيحين) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان يافلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم اللّه ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فقال عمر: يارسول اللّه ما تكلم من أجسادٍ لا

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٤).

(٢) سورة الصافات: الآيات: (٥٥-٥٩).

(٣) سورة الطور: الآيات: (١٤-١٦).

أرواح لها؟ قال النبى ﷺ : «**والذى نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (وفى رواية) ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون**».

ولنرجع إلى تحاور أهل الجنة وأهل النار..أنهم لما قالوا لأهل النار: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ ...قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى نادى منادٍ ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ثم وصفهم اللّه تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أى يصدون عن سبيل اللّه وعن شرعه ويبغون أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[1] أى جاحدون مكذبون فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكرٍ من القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابًا عليه ولا عقابًا فهم شر الناس أقوالًا وأعمالًا.

ثم لما ذكر اللّه تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبَّه أن بين الجنة والنار حجابًا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أى حاجز .... إنما سُمى الأعراف أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس وأهل الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال حذيفة رضي الله عنه عن أصحاب الأعراف: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] . فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك فقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم.

قال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كُتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تُكتب إلا واحدة ثم قال: هلك من غلبت آحاده عشراته.

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٤، ٤٥).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤٧).

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فعن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[1].

أى فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلامًا عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها.

قال الحسن: واللّه ما جُعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها اللّه بهم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم. تعوذوا باللّه من منازلهم وقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾

ثم يخبر تعالى عن تَضرُّع أهل الأعراف وهم رجال تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجُعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم.

يخبر تعالى عن تقريعهم لأهل النار ... وهم رجال من صناديد قريش وصناديدّ المشركين وقادتهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[2]. أى لا تنفعكم كثرتكم واستكباركم من عذاب اللّه الذى صرتم إليه وماتعانون من النكال ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

أى قال اللّه لأهل التكبر والأموال ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ أى أهل الأعراف

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤٨).

﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾. فقال اللّه لأهل الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾(١). أى برغم أنوف الكافرين.

۞ يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كما ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره» بعد أن يذكر استشفاع أهل الأعراف بآدم ثم إبراهيم ثم بموسى ثم عيسى ثم محمدٍ ﷺ واعتذر الجميع إلا محمدًا ﷺ فيقول: «فيأتون فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ... فيشفع لهم كما جاء فى خبر حذيفة ثم يقول ﷺ: «**فآتى بهم الجنة فأستفتح فيُفتح لى ولهم فيذهب بهم إلى نهرٍ يقال له: نهر الحيوان حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون فيه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدُّرِّية ويبقى فى صدورهم شاماتٌ بيض يُعرَفون بها ... يُقال مساكين أهل الجنة**».

فكل ماذكرناه آنفًا يمثل الجانب المشرق لأهل الإيمان الذين يتمتعون فى جنات النعيم ... ثم يأتى المشهد الثانى لأهل النار وهو مشهد الحسرة والذلة فنعوذ باللّه من الحسرة والخزى والذلة.

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم. وطعامهم وأنهم لا يُجابون إلى ذلك فهذا معنى قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢).

روى ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس أنه سُئل أى الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أفضل الصدقة الماء**». ألم تسمع إلى

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٠).

أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يتعمدونه فى الدنيا باتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها عما أُمروا به من العمل للآخرة.

﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[1] أى يعاملهم معاملة من نسيهم ... لأنه تعالى لا يشذّ عن علمه شيء ولا ينساه.

كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[2]. أى يتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفى الصحيح: « أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُزَوِّجْكَ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرأَسُ وَتَرَبَّعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي »[3][4].

واللّه يا إخوانى إنها لمشاهد تتفطر لها القلوب الحية التى تخشى اللّه حق الخشية. فكيف بك يا عبد اللّه لا تعمل حتى تكون من أهل الجنة الذين ينادون على أهل النار ويقولون لهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ هل تريد أن تكون من أهل النار الذين ينادون وهم فى خشوع وذُلٍّ ويقولون:

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥١).

(٢) سورة طه: الآية: (٥٢).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعى (٢/ ٢٠٣-٢٠٧)، بتصرف.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق.

﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فوالله للدنيا بمتاعها وكنوزها لا تساوى مشهدًا كهذا.

فلا تُؤْثِر الفانى على الباقى ولا تجعل الدنيا تُنسيك الآخرة واجتهد لفكاك رقبتك من النار قبل يوم الحسرة.

مقارنة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(١)].

أما أهل النار فليس لهم سوى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[(٢)].

بل إنه والله ما تعذَّب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله عز وجل وما تلذذ أهل الجنة فى الجنة بنعيم أفضل من رؤية وجه الله عز وجل.

قال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ يقول الله تعالى: تُريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُنجينا من النار؟ فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة.

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٢).

فالحُسنى هى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

۞ فالمؤمن يتلذذ برؤية وجه الله (جل وعلا)، أما الكافر فهو محجوب عن رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٣).

وعن أبى موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: « **إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا** »(٤).

۞ فالمؤمن له خيمة من لؤلؤة مجوفة. أما الكافر فله أودية فى قعر جهنم «وادى غى ووادى سقر وسجن بولُس ووادى ويل....». فشتَّان بين الفريقين: فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير.

۞ والمؤمن يُداعب الحور العين ويتلذذ بهن ويتنعم مع كل واحدة منهن فلا يَملّها ولا تَملّه.

أما الكافر فى النار فليس أمامه سوى الحيّات والعقارب والتلاعن بينه وبين قُرنائه من أهل النار.

واسمع يا أخى وتجهّز لأن تكون من أهل الجنة ... يقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾(٥).

---

(١) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة يونس: الآية: (٦٢).

(٣) سورة المطففين: الآية: (١٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة.

(٥) سورة الحجر: الآيتان: (٤٥، ٤٦).

أما الكفار: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾﴾(١).

۞ ويقول عن المؤمنين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٢).

أما الكفار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾(٣).

۞ وعن لباس المؤمنين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٤).

أما الكفار: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٥).

۞ وعن طعام المؤمنين: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾(٦).

وكذلك: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾(٧).

أما الكفار: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ

---

(١) سورة ص: الآية: (٥٩).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٤) سورة الدخان: الآيات: (٥١-٥٣).

(٥) سورة الحج: الآيات: (١٩-٢٢).

(٦) سورة الدخان: الآية: (٥٥).

(٧) سورة الواقعة: الآيات: (١٧-٢١).

ٱلدِّينِ ﴾(١).

۞ وعن خلود المؤمنين فى الجنة: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٢).

وأما الكفار: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾(٣).

فالمؤمن لا يموت إلا موتة واحدة ثم يحيا، ويتنعم فى الجنة، أما الكافر فى النار لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا فيتنعم ... فيا له من خزيٍ ويا لها من حسرة.

۞ ويقول الله (جل وعلا) عن المؤمنين ولذة النظر إلى وجه الله (جلَّ وعلا): ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾(٤).

وكذلك: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(٥).

أما الكفار: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(٦) .

وكذلك: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٧).

۞ وعن نضرة وجوه المؤمنين: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٨).

---

(١) سورة الواقعة: الآيات: (٥١-٥٦).

(٢) سورة الدخان: الآية: (٥٦).

(٣) سورة الأعلى: الآيات: (١٠-١٣).

(٤) سورة المطففين: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٥) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٦) سورة القيامة: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٧) سورة المطففين: الآية: (١٥).

(٨) سورة المطففين: الآية: (٢٤).

أما الكفار: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾(١).

۞ وعن شراب المؤمنين: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(٢).

وكذلك: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾(٣).

أما عن الكفار: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾(٤).

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾(٥).

۞ وعن حشر المؤمنين: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾(٦).

أي: راكبين على نوق الجنة عليها رخائم الذهب.

وعن الكفار: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾(٧).

أي: يُساقون كما تُساق البهائم إلى جهنم وِردًا، أي عطاشًا.

بل إنهم يتقون العذاب بوجوههم ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٤).

(٢) سورة المطففين: الآيات: (٢٥-٢٨).

(٣) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٥) سورة إبراهيم: الآيتان: (١٦، ١٧).

(٦) سورة مريم: الآية: (٨٥).

(٧) سورة مريم: الآية: (٨٦).

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(١).

۞ وعن المؤمنين: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(٢).

وعن الكفار: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾(٣).

﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾(٤).

۞ وعن المؤمنين: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٥).

وعن الكفار: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾(٦).

۞ وعن المؤمنين: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾(٧).

وعن الكفار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾(٨).

بل وتعرف الملائكة أن هؤلاء هم أصحاب النار من غير أن تسأل عنهم؛ لأن ذلك يظهر على وجوههم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٢٤).

(٢) سورة محمد: الآيتان: (٥، ٦).

(٣) سورة مريم: الآية: (٨٤).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٨٣).

(٥) سورة الإنسان: الآية: (٢١).

(٦) سورة غافر: الآية: (٧١، ٧٢).

(٧) سورة المطففين: الآيات: (٢٤-٢٦).

(٨) سورة الإسراء: الآية: (٩٧).

وَٱلْأَقْدَامِ ﴾(١).

أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويُلقونه فى النار كذلك.

وقال ابن عباس: فيؤخذ بناصيته وقدميه فيُكسَر كما يُكسَر الحطب فى التنّور.

ولو استطردنا فى الأمثلة لما انتهينا ولكن حسبُنا ما قلناه فى هذه المقارنة بين أحوال أهل النار وأهل الجنة! «أليس منكم رجل رشيد؟!!

فلا بد أن نتجهز من الآن ونُعد العُدة فلا ندرى متى يأتينا الموت... ولقد انتشر موت الفجأة الذى هو من علامات الساعة الصُّغرى ... فلا بد أن نتوب ونرجع قبل أن لا نستطيع أن نتوب!

يا نفس، قد أَزِف الرحيل | وأظلك الخَطبُ الجليل
فتأهبى يا نفس لا | يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزلٍ ينسى | الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه | من الثرى ثِقَلٌ ثقيل
قُرن الفناء بنا جميعًا فما | يبقى العزيزُ ولا الذليل

يا نفس، قد أزف الرحيل

يا نفس توبى قبل | ألا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الر | حمن غفّار الذنوبِ
إن المنايا كالرياح | عليك دائمة الهبوبِ
والموت شرعٌ واحدٌ | والناس مختلفوا الدروبِ

(١) سورة الرحمن: الآية: (٤١).

ولقلَّمـــا ينجـــو الفتـــى بِتُقــاه مــن لُطَـخ العيــوبِ
يـــا نفــس تـــوبى قبـــل ألا تـــستطيعى أن تتـــوبى

أهل النار مُيسَّرون لعمل أهل النار

قال ﷺ: «إن الله قبض قبضة فقال: هذه إلى الجنة برحمتى .. وقبض قبضة فقال: هذه إلى النار ولا أبالى»(١).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا»(٢).

وقال ﷺ: «إنَّ الله أخَذَ ذُرِّيةَ آدمَ منْ ظَهرِهِ ثمَّ ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾(٣) ثم أفاضَ(٤) بهم فى كفَّيه فقال: هؤلاء فى الجنة، وهؤلاء فى النار .... فأهلُ الجنةِ مُيسَّرون لعملِ أهلِ الجنةِ، وأهلُ النارِ مُيسَّرونَ لعمل أهل النارِ»(٥).

۞ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾(٦).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ أى أعطى ما أُمر بإخراجه، واتقى الله فى أموره

(١) رواه أبو يعلى عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٨٤).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢) كتاب القدر.
(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٧٢).
(٤) أفاض بهم: قلبهم ونثرهم.
(٥) رواه البزار والطبرانى فى الكبير، والبيهقى، عن هشام بن حكيم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٠٢).
(٦) سورة الليل: الآيات: (٥-١٢).

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أى بالمجازاة على ذلك... وعن أُبى بن كعب قال: «سألت رسول الله عن الحسنى، قال: **الحسنى: الجنة**».

وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: يعنى للخير وقال زيد بن أسلم: يعنى للجنة وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة، السيئة بعدها... ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ أى بما عنده ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ قال ابن عباس: أى بخل بماله واستغنى عن ربه عَزَّوَجَلَّ ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أى بالجزاء فى الدار الآخرة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أى لطريق الشر.

كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١]. والآيات فى هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عَزَّوَجَلَّ، يجازى من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدرٍ مُقدَّر... والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة.

عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنَّا مع رسول الله ﷺ فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**.. فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: **اعملوا فكل مُيسَّرٌ لما خُلق له**» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾[٢][٣].

أنا عند ظنّ عبدي بي

قال ﷺ: «**لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى**»[٤].

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٠).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣، ٥٢٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٦٢) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة.

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي إن ظنَّ خيرًا فله وإن ظن شرًّا فله**»(١).

فإذا حقق العبد التوحيد لله (جل وعلا) ولكنه كان مُقصرًا في طاعة الله أو كان طائعًا لله ولكنه كان مصرًّا على بعض الذنوب والآثام فإن رجاءه في الله وحُسن ظنه به ينفعه حتى وإن دخل النار.

قال ﷺ: «**يُخرَج من النار أربعة، فيُعرضون على الله عَزَّوَجَلَّ فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تُعدني فيها، قال: فينجيه منها**»(٢).

وخرَّجه ابن حبان في «صحيحه» ... وعنده «**فيلتفت فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي فيك، فيقول: ما كان رجاؤك؟! قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها ... فيرحمه الله فيُدخله الجنة**»(٣).

لا تأمن على نفسك من النار

قال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى خلقَ الرحمة يومَ خلقَها مائة رحمةٍ، فأمسكَ عندهُ تِسعًا وتسعينَ رحمةً، وأرسل في خلقِهِ كلهمْ رحمة واحِدةً، فلو يعلمُ الكافِرُ بكُلِّ الذي عندَ الله من الرحمةِ لم ييأسْ منَ الجنَّة، ولوْ يعلمُ المؤمِنُ بالذي عند الله منَ العذابِ لم يأمنْ منَ النارِ**»(٤).

۞ فلا تأمن على نفسك من النار أيها الأخ الحبيب فقد يدخل الإنسان تلك النار بكلمة يسيرة لا يُلقى لها بالًا.

---

(١) رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح ابن حبان (٢/ ٦٣٢ الإحسان).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفًا فى النار»(١).

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»(٢).

۞ فالنار خلقها الله تعالى لعصاة الجن والإنس وبهما تمتلئ...

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٤).

وقال تعالى حاكيًا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(٥)

وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٦).

وأما سائر الخلق فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم خائفون منها،... قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

(٤) سورة هود: الآية: (١١٩).

(٥) سورة الجن: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٦) سورة الرحمن: الآيتان: (٣١، ٣٢).

﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

آخر أهل النار خروجًا منها

قال ﷺ: « إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهلِ النارِ خُرُوجًا مِنَ النارِ وآخِرَ أَهلِ الجَنّةِ دُخولًا الجَنَّةَ ... رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القيامَةِ فيُقالُ: اعرِضوا عَلَيْهِ صِغارَ ذُنُوبِهِ وارْفَعُوا عنهُ كِبارَها فيُقالُ لهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وعمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فيقولُ: نَعَمْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكرَ وهوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبارِ ذُنوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ .. فيُقالُ لهُ: فإنّ لكَ مَكانَ كلِّ سَيّئَةٍ حَسَنَةً فيَقولُ: يارَبِّ عمِلتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَهُنا»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّة..، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا- قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟» قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات: (٢٦-٢٩) - مختصر التخويف من النار (ص ١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَب مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَب مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابُ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَب مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ -والمعنى أى شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك- أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

ذبح الموت.. وخلود أهل الجنة وأهل النار

قال تعالى: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ (وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا) وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**»(٤).

وفى رواية أخرى فى الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**».

فيا لها من حسرة شديدة حيث يعلم الإنسان أنه من المخلدين فى النار

(١) سورة النحل: الآية: (٢٩).

(٢) سورة طه: الآية: (٧٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٦٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة.

فلا ماله ينفعه ولا ولده يشفع له ولا منصب ينجيه ... ولذا يقول أحد الصالحين: والله لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار مليون سنة لكانوا أسعد الناس!! فتعجب أحدهم وقال كيف ذلك؟ فقال له الرجل لأنهم يعلمون أنهم سيخرجون بعد مليون سنة ... ولكنهم سيُخلَّدون فى النار.

ووالله إن أجسادنا لضعيفة لا تتحمل نار الدنيا فكيف بنار الآخرة التى هى أشد من نار الدنيا بسبعين مرة....... أُوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت وألف عامٍ حتى ابيضَّت وألف عام حتى اسودَّت فهى الآن سوداء قاتمة!!

فيالها من فرحةٍ شديدة لأهل الجنان عندما يعرفون أنهم مخلدون فى الجنة يشربون من أنهارها ويأكلون من ثمارها وأشجارها ويتلذذون بالحور العين ثم يتم لهم النعيم الأعظم برؤية وجه الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١].

دَعُونِي عَلَى نَفْسِيْ أَنُوحُ وأَنْدُبُ ... بِدَمْعٍ غَزِيرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِيْ أَنُوحُ فإِنَّني ... أَخُافُ على نَفْسِي الضَّعِيفةِ تَعْطَبُ
وَإِنِّي حَقِيقٌ بالتَضرُّع والبُكَا ... إذا مَا هَذَا النُّوَّامُ واللَّيْلُ غَيْهَبُ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الحُزنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وغَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وانْقضَّ كَوْكَبُ
كَفَى أَنَّ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ بَخِيْلَةٌ ... وأَنِّي بآفَاتِ الذُّنُوبِ مُعَذَّبُ
فَمَنْ لِي إذا نَادَى المُنادِي بِمَنْ عَصَى ... إِلَى أَيْنَ إِلْجَائِي إِلَى أَيْنَ أَهْرُبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الفَضَائِحُ كُلُّهَا ... وَقَدْ قُرِّبَ المِيزانُ والنارُ تَلْهَبُ
فَيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِي ... لَئِنْ كُنْتُ في قَعْرِ الجحِيمِ أُعَذَّبُ

(١) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

فَقَـد فَـازَ بالمُلْـكِ العَظـيمِ عِـصَابةٌ تَبيـتُ قِيَامًـا في دُجَـى اللَّيـلِ تَرْهَـبُ
إِذا أَشْـرَفَ الجَبَّـارُ مِـنْ فَـوْقِ عَرْشِـهِ وقـد زُيِّنـتْ حُـورُ الجِنـانِ الكَوَاعِـبُ
فَنَـادَاهُمُ أَهْـلًا وسَـهْلًا وَمَرْحَبًـا أَبَحْتُ لَكُـمْ دَارِي وما شِـئْتُمُ اطْلُبُـوا

كيف يتقى الإنسان عذاب النار؟

لما كان الكفر هو السبب في الخلود في النار فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل الصالح، ولذا فإن المسلمين يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم كي يُخلصهم من النار ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٢].

وقد فصَّلتْ النصوص هذا الموضوع فبيَّنت الأعمال التي تقي النار فمن ذلك محبة الله .. قال رسول الله ﷺ: **«وَالله لاَ يُلْقِي الله حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»**[٣]. والصيام جُنة من النار ...عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالى: الصيام جُنة يُستجَنُّ بها من النار»**[٤].

وعن عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ: **«الصوم جُنة من عذاب الله»**[٥]

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٩٢-١٩٤).

(٣) صحيح: رواه الحاكم، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٩٥).

(٤) حسن: رواه أحمد، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٨).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٦٦).

أما إذا كان الصوم في حال جهاد الأعداء فذاك الفوز العظيم.

فعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[١].

۞ ومما ينجي من النار مخافة الله، والجهاد في سبيل الله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[٢] ... عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلجُ النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم**»[٣].

وفي صحيح البخاري عن أبى عبس وهو عبد الرحمن بن جبر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اغبرَّت قدما عبدٍ في سبيل الله، فتمسه النار**»[٤].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا**»[٥].

۞ ومما يقي العبد من النار استجارة العبد بالله من النار، ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٦].

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما سأل أحدٌ الله الجنة ثلاثًا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار رجل مسلم الله من النار ثلاثًا، إلا قالت**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٥٣) كتاب الصيام.

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٨١١) كتاب الجهاد والسير.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٩١) كتاب الإمارة.

(٦) سورة الفرقان: الآيتان (٦٥، ٦٦).

النار: اللهم أجره مني» [١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر ... وفيه: «**أن الله عز وجل يسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: «فمِمَّ يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد مخافة. قال: فأُشهدكم أني قد غفرت لهم**» [٢][٣].

طاعات مكافحة للنيران [٤]

۞ تُمثل الطاعات خط الدِّفاع الأول للمؤمن وقوة الحماية المتقدِّمة في وجه الشيطان ... وعلى أعتابها تقف المعاصي متوثبة، ويتربص إبليس متحفزًا، ينتظر ثغرة في الجدار ليخترق ... وهذا المعنى نلمحه من بريق الحديث النبوي: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**» [٥].

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ» فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا** [٦].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، ، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٥٦٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) الجنة والنار / د. عمر الأشقر (١٠٧-١٠٩) بتصرف.

(٤) بتصرف من (ليلى بين الجنة والنار) د. خالد أبو شادى.

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٩٩).

(٦) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٨٢).

فإذا أردت أن تلحق بالعتيق، فما عليك إلا أن تسلك طريقه وتقلّد سلسلة أعماله وقائمة طاعاته ... وإليك أولها:

(١) الدموع النازفة:

وعينان بكتا من خشية الله هما عينان لا تمسهما النار، فوجب تقديم الشكر لهما على هذه الخدمة الجليلة بل على هذه النجدة المصيرية التي استنقذت صاحبها من عذاب الخلد ... وهذا هو الجمال الحقيقي للعين، وإلا فما جمال عين تسيل في النار غدًا وتتحول إلى جمرتين!!

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المِرجَل من البُكاء.

وبكاؤه ﷺ إنَّما هو محض تعليم للأمة، وأما هو فأعظم الآمنين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

وممن استجاب لدعوة رسوله: يزيد بن مرثد الذي سُئل: ما لي أرى

(١) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٢٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

عينك لا تجف؟! قال للسائل: وما مسألتك عنه؟! قلت: عسى الله أن ينفعني به. قال: «يا أخي!! إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار .. ووالله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكان حريًّا أن لا تجف لي عين»(١).

أَنَـأ إِنْ بَكيـتُ فَلـن أُلامَ عَلـى البُكَـا فلطالمـا اسـتغرقتُ في العِـصيانِ
يـا ربّ عبـدك مـن عـذابك مُـشفقٌ بِـكَ مـستجيرٌ مـن لَظَـى النيـرانِ
ارحـم تَـضرُّعَه إليـك وحُزنـه وامـنن عليـه اليـوم بـالغُفْرَانِ

وليس بعد الموت إلا أحد المستقرين؛ إن لم تكن الجنة كانت الأخرى: النار!! ... لذا لما عوتب عطاء السلمي في كثرة بكائه، فقال: «إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى مثَّلتُ نفسي بينهم، فكيف لنفسٍ تُغَلُّ يدها وتُسحَب إلى النار ولا تبكي؟»(٢).

ويساعد على البكاء ويستجلب دموعه: روحانية الصلاة والخشوع فيها... لذا لما سُئل سعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ قال: «ما قمتُ في صلاتي إلا مُثِّلت لي جهنم»(٣).

وآخرون ما بكوا في الدنيا قط فبكوا في الآخرة، ولكن هيهات .. بعد فوات الأوان وحلول الكارثة؛ ذهب العمل وجاء العقاب، ما بكوا على تضييع وقت أو مقارفة ذنب أو فوات طاعة، وما تأسفوا على عِظَم المُصاب فنالوا أشد العقاب.

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ١٦٤).
(٢) الياقوتة (ص ٥٣).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ٢٧٤) بتصرف.

قال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ»(١).

فأي البُكاءين تختار ولأي الفريقين تنتسب؟!

مع علمك أن البكاء من مُوجبات الرحمة لعل الله يَراكَ على حالتك هذه فيرحمك، وإذا كانت النار تستجير لك عند ربك فتقول: اللهم أجره مني كلما استجرت الله منها، فما ظنك بفعل ربك الرؤوف الرحيم إذا رآك ترتجف بالبكاء بين يديه؟!

(٢) اشترِ نفسك من الله:

لقول النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٢).

وفي رواية الطبراني: « اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٣).

وقد وعت الدرس أم المؤمنين عائشة فأنفقت ولو كان الإنفاق عنبة واحدة ... وتصدَّق عبد الرحمن بن عوف بعنبة حين لم يجد غيرها.

وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه تصدَّق بتمرة ... ولِمَ لا وقد حفظوا من كتاب ربهم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾(٤)، وتعلموا من نبيهم: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»(٥).

وحتى لو كانت هذه التمرة مبذولة لمن تجب له النفقة عليك.

---

(١) حسن: رواه الحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٣).

(٤) سورة الزلزلة: الآية: (٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة.

كما حدث مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي روت:

جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»(١).

(٣) الصلاة:

فريضة أو نافلة، ونبدأ بالأهم وهو:

۞ الفريضة:

عن حنظلة الكاتب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ: رُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَوُضُوئِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**» أَوْ قَالَ: «**وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»، أَوْ قَالَ: «**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ**»(٢).

وهي بمنزلة الصاحب الذي يدفع عنك كل ما يؤذيك، ويحميك من كل من يعاديك، كما فهم ذلك الأسود بن هلال وتمنى طول البقاء لهذا السبب، وذلك لما عاده أحد أصحابه قائلًا له: قد كنتُ أُحِبُّ أن تُنعى لي، فقال: «إن لي صاحبًا خيرًا منك، خمس صلوات في كل يوم وليلة، خمسون حسنة»(٣).

وفي رواية: «بئس ما تقول!! أليس أسجد كل يوم وليلة أربعًا وثلاثين

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة.

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد، بإسناد جيد، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب (٣٨١).

(٣) حلية الأولياء (٤/ ١٠٤).

سجدة»(١).

وبعض الصلوات أشق وتحتاج إلى مجاهدة أشد وجهد أصعب.

لذا شجَّع النبي ﷺ عليها بمكافآت مجزية فقال: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصرَ -(٢).

وهذا لأنَّ من تكبَّد مشقة هاتين الصلاتين فهو مستحضر لثوابهما وخائف من العقوبة النارية المترتبة على تضييعهما ... فهَلُمَّ بعيدًا عن النار بالمحافظة على المكتوبات.

ونائم الصبح فاته الخير الكثير

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ تبارك وتعالى، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ تبارك وتعالى فِي ذِمَّتِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَخْفَرَ ذِمَّتَهُ طَلَبَهُ اللهُ تبارك وتعالى حَتَّى يُكِبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ**»(٣).

ولهذا الحديث قصة تُظهر حفظ الله لمن حفظه وحراسته لمن حرس حدوده ... ذلك أنَّ الطاغية الحجَّاج بن يوسف أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل، فقال له سالم: أصليت الصبح؟! فقال الرجل: نعم، فقال له: انطلق، فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟! فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى الصبح كان في ذِمَّة الله يومه**»، فكرهت أن أقتل رجلًا أجاره الله .. قال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عمر: نعم.

---

(١) السابق (٤/ ١٠٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد.

النافلة:

وأما صلاة النافلة ودورها في درء النار:

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حُرِّمَ عَلَى النَّارِ»**(١).

بل حتى إذا دخل العبد النار فترة ثم دخل الجنة، لم تجرؤ النار في فترة تعذيبه على أن تقترب من أعضائه الساجدة تكريمًا لها، وتعظيمًا وتشريفًا لهذه العبادة الجليلة ... قال ﷺ: **«تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»**(٢).

قال النووي:

«ظَاهِرُ هَذَا أَنَّ النَّارَ لا تَأْكُلُ جَمِيعَ أَعْضَاءِ السُّجُودِ السَّبْعَةِ الَّتِي يَسْجُدُ الإِنْسَانُ عَلَيْهَا، وَهِيَ: الْجَبْهَةُ وَالْيَدَانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالْقَدَمَانِ، وَهَكَذَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَأَنْكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ وَقَالَ: الْمُرَادُ بِأَثَرِ السُّجُودِ الْجَبْهَةُ خَاصَّةً وَالْمُخْتَارُ الأَوَّلُ»(٣).

(٤) الجهاد في سبيل الله:

* قال رسول الله ﷺ:

«مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا النَّارَ»(٤).

لأن الجزاء من جنس العمل، فلماذا يدخل عبدٌ النار وقد سبق له أن

(١) صحيح: رواه أصحاب السنن، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٨) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

(٣) شرح النووي (٣/ ٢٢).

(٤) صحيح: رواه أصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٤٣).

خاض نار الجهاد وتعرَّض لغبار القتال، فكافأه الله بأن يقيه غبار جهنم.

قال رسول الله ﷺ: « **لا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ودخانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا** »[١]. وزاد النسائي في رواية أُخرى: «**فِي مِنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا**»[٢].

فكأنهما ضدان لا يجتمعان، وكأن غبار الجهاد ينادي: أنا الأمان من دخان جهنم ... وكأن الله يقول: لا أجمع عليك عذابين.

وبشارة أخرى للمجاهد يهديها له رسول الله ﷺ، وهذا إذا قتل كافرًا بيده، فيقول ﷺ: «**لا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا**»[٣].

فهنيئًا لساداتنا المجاهدين اليوم في فلسطين وغيرها من ديار الإسلام المغتصبة؛ بما أَمِنوا من عذاب النار حيث خاضوا نار الجهاد ولهيب المقاومة دفاعًا عن شرف الأمة.

(٥) دافع عن أخيك:

قال ﷺ: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعتقه مِنَ النَّارِ**»[٤].

وفي الحديث تربية على الذاتية وإنكار المنكر والجرأة في مواجهة الإثم والمروءة الإجبارية التي يتعلمها المرء طمعًا في عتق رقبته من النار.

❁ قال المناوي:

«وفيه أن المستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف

---

(١) صحيح: رواه النسائي، والحاكم ،وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦١٦).

(٢) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٩١) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٤٠).

فبقلبه فإن قدر على القيام أو قطع الكلام لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مُشتهٍ ذلك بقلبه فذلك نفاق ... قال الغزالي: ولا يكفي أن يشير باليد أن اسكت أو بحاجبه أو رأسه وغير ذلك فإنه احتقار للمذكور بل ينبغي الذَّبّ عنه صريحًا كما دلَّت عليه الأخبار»(١).

التلميح لا يغني إذن عن التصريح، والذَّبُّ الصريح باللسان ليس غير هو الذي يصرف عنك النار ويحميك منها.

قال ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

والسبب في ذلك أن «عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة »(٣).

(٦) اللين:

قال ﷺ: «**ألاَ أخْبِرُكمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عليهِ النّارُ غَدًا؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ**»(٤).

وفي رواية أحمد:

«**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**»(٥).

* قال الماوردي:

«بيَّن بهذا الحديث أن حُسن الخُلق يُدخل صاحبه الجنة ويحرمه على

(١) فيض القدير (٦/ ١٢٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦٢).

(٣) فيض القدير (٦/ ١٣٥).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٣٥).

النار فإن حسن الخلق عبارة عن كون الإنسان سهل العريكة ليِّن الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة كما سبق ... لكن لهذه الأوصاف حدود مقدرة في مواضع مستحقة فإن تجاوز بها الخير صارت ملقا وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقًا والملق ذل والنفاق لؤم»(١).

واللين ألوان لا يكون المؤمن لينًا حتى يجمع بينهما، فمن ألوان اللين:

لين القول: وهو لون من ألوان الصدقات، هكذا عدَّه رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الكَلِمَةُ اللَّينةُ صدقَة**»(٢).

وأعلاها: الكلمة اللينة مع مَن أغلظ لك القول، فترد إساءته بإحسان، وتأسر قلبه بخُلقك النبيل النادر.

ولين القلب مع الله: خشوعه وإنابته والوجل منه سبحانه ... خاصة عند سماع المواعظ والآيات، وأعلاها كتاب الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٣).

ولين معاملة الناس:

وذلك بقبول اعتذارهم إن أساؤوا وتجاوزوا:

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا ... إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ... وَقَدْ أَضَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا

ومن لين المعاملة: التسامح بيعًا وشراءً ... قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله

(١) فيض القدير (٣/ ١٠٥).
(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٠٩٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٣) سورة الزمر: الآية: (٢٣).

تَعَالَى يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ»(١).

وفيه الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة، ومعاملتهم بالعفو، والتنازل عن بعض حقك ليصفو لك قلب أخيك، ونظمها أبو سليمان الخطابي لك شعرًا فقال:

تسامح ولا تستوفِ حقَّك كلّه ... وأبقِ فلم يستوفِ قطُّ كريمُ

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

(٧) القرآن:

❁ قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، مَا أَحْرَقَتْهُ النَّارُ**»(٢).

❁ قال المناوي في الفيض:

«لو صُوِّر القرآن وجُعل في إهاب وأُلقي في النار ما مسَّته ولا أحرقته ببركته فكيف بالمؤمن المواظب لقراءته ولتلاوته!!

وقيل: المعنى مَن علَّمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة ... فجعل جسم حافظ القرآن كإهابٍ له ... قال الطيبي: وتحريره أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض؛ أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يُؤبَه به ويُلقى في النار ما مسته فكيف بالمؤمن الذي هو أكرم خلق الله وقد وعاه في صدره وتفكَّر في معانيه وعمل بما فيه كيف تمسه فضلًا عن أن تحرقه»(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٨٨).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٨٢).

(٣) فيض القدير (٥/ ٣٢٤) بتصرف.

فأي تكريم لحامل القرآن أشرف من هذا؟! وأي شرف للقرآن أجلُّ؟! فلنكن أهلًا لحمل هذا الكنز الثمين وإلا كنا نحن الخاسرين.

قال ﷺ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»(١).

إن الأبرار لفى نعيم .. وإن الفجار لفى جحيم

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال .. دَع التفكُّر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلي موردك فإنك أُخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(٢).

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شَكٍّ ... فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الرُّكَب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المُسوِّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل

(١) صحيح: رواه ابن حبان، والبيهقى، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٢) سورة مريم: الآيتان (٧١، ٧٢).

المُضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾(١).

فأُسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء مُظلمة المسالك مُبهمة المهالك، يُخلَّدُ فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تَقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصى واسودَّت وجوههم من ظُلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت منا الجلود. يا مالك أَخرجنا منها فإنَّا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تُكلمون، ولو أُخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب اللّه يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يُكَبُّون على وجوههم مغلولين...... طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومِهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا بالثبور صُبَّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهَر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تُهشَّمُ بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم

---

(١) سورة الدخان: الآية (٤٩).

ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها. كلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم، وقُصمت ظهورهم، وكُسرت عظامهم، وجُدعت آذانهم، ومُزقت جلودهم، وغُلَّت أيديهم إلى أعناقهم، وجُمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ... فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت ... فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائضٍ فيها إلى حدٍّ محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن اللّه لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان، بل لكل واحدٍ حَدٌّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم لو عُرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول اللّه ﷺ: «**أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه**»(١) فانظر الآن إلى من خُفِّف عليه واعتبر بمن شُدِّد عليه.

ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرِّب أصبعك من النار وقِس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا هو عذاب النار عُرف عذاب جهنم بها

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٦٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان.

وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربًا مما هم فيه.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فَوت نعيم الجنة وفَوت لقاء اللّه تعالى وفَوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهواتٍ حقيرة فى الدنيا أيامًا قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مُكدَّرة مُنغَّصة فيقولون فى أنفسهم: واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنَّا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُلوا بما بُلوا به ولم يبقَ معهم شىء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تَعظُم حسرتهم لكنها تُعرَض عليهم.

قال أحمد بن حرب: إن أحدنا يُؤْثِر الظل على الشمس ثم لا يُؤْثِر الجنة على النار.... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسدٍ صحيح ووجهٍ صبيح ولسانٍ فصيح غدًا بين أطباق النار يصيح...... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال واعلم أن اللّه تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلًا لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمرٌ قد قُضى وفَرغ منه اللّه

تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

فإن قلت: فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كُلًّا مُيسَّرٌ لما خُلق له، فإن كان قد يُسِّر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مُبعَدٌ عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرًا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار .... فقد قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾(٢).

فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين(٣).

---

(١) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة الانفطار: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى صفة جهنم وأهوالها (٥/ ١٤١ - ٢٤٢).

أسباب دخول النار

وبعد أن انتهينا من وصف الجنة والنار فإنى رأيت أن من تمام الفائدة أن أجمع لإخوانى وأخواتى تلك الأحاديث التى وردت فى أسباب دخول النار سائلًا الله عَزَّوَجَلَّ أن يعتق رقابنا من النار... وأنا لا أدَّعى أننى قد جمعت كل الأسباب، ولكنى ألقيت الضوء على أهمها بغير ترتيب لكى نعلم أننا ينبغى أن نبتعد عن كل ما يقرّب من النار، سواءً كان سببًا يسيرًا أو عظيمًا.

- وعند ذكر الأسباب، فإن بعض الأحاديث تُصرح بدخول النار لمن فعل كذا.... وبعضها يأتى بصيغة اللعن، ألا وهو الطرد من رحمة الله (لو مات على ذلك)... وأسأل المولى عَزَّوَجَلَّ أن يجيرنى وإياكم وسائر المسلمين من عذاب النار.

(١) الكذب على الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(١).

وقال ﷺ: **«إن الله أَذِنَ لى أن أُحدّث عن ديكٍ قد مرقت رجلاه الأرض وعُنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك! فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بى كاذبًا»**(٢).

(٢) التكذيب بآيات الله :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧١٤).

خَٰلِدُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

(٣) هجر القرآن:

قال ﷺ: «القرآن شافعٌ مُشفَّع وماحلٌ مُصدَّق مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٣).

(٤) قتل المؤمن متعمداً:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾(٤).

وقال ﷺ: «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمنٍ لكبَّهم الله عَزَّوَجَلَّ فى النار»(٥).

(٥) عدم الإيمان بالقدر:

قال ﷺ: «لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٩).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقى والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (٩٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٧).

لدخلت النار»[١].

(٦) من تألَّى على الله :

قال ﷺ: «كانَ رجُلان فى بنى إسرائيلَ مُتواخيان، وكانَ أحدهُما مُذنبًا، والآخرُ مجتهدًا فى العبادة، وكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الآخر علَّى الذَّنب، فيقولُ: أقصِر. فوجدهُ يومًا على ذنب، فقالَ لهُ: أَقصِر. فقال: خلِّنى وربى، أبُعثت على رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك - أو لا يُدخلك الله الجنة - فقُبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدىَّ قادرًا؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[٢].

(٧) الكذب على رسول الله ﷺ :

قال ﷺ: «إن الذى يكذب علىّ يُبنى له بيت فى النار»[٣].

وقال ﷺ كما عند البخارى: «ومن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

(٨) الرياء :

قال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتى به، فعرَّفه نِعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمهُ، وقرأ القرآن فأُتى به فعرَّفه

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٩٤).

نِعمةُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجلٌ وسع الله عليه، وأعطاهُ من أصناف المال كله، فأُتى به فعرفهُ نعمهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل يُحَبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقى فى النار»[١].

(٩) النفاق وإظهار الصلاح للناس:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٢].

وقال ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[٣] ... زاد البخارى: «وإنما الأعمال بخواتيمها»[٤].

(١٠) الكفر:

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[٥].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق.

(٥) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار»(١).

(١١) اقتطاع حق المسلم :

قال ﷺ: «من اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك»(٢)... قضيب الأراك: هو السواك.

(١٢) من كان له وجهان:

قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»(٣).

(١٣) الكذب والفجور:

قال ﷺ : «.... وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار»(٤).

(١٤) ظلم الناس :

قال ﷺ: «أتدرون ما المفلسُ؟» قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب، بلفظ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: هذا فكاكك من النار».

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنه فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»(١).

(١٥) أكل الحرام :

قال ﷺ: «كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به»(٢).

(١٦) الذى يتخوض فى مال الله بغير حق :

قال ﷺ: «إن رجالًا يتخوضون فى مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»(٣).

(١٧ - ١٩) الجعظرى والجواظ والمستكبر :

إن النبى ﷺ قد جمع فى هذا الحديث ثلاثة أصناف من أهل النار، فقال: «ألا أخبرك بأهل النار؟ كل جعظرى جواظٍ مستكبر جمَّاعٍ مَنُوع.....»(٤).

والجعظرى: هو الفظ الغليظ.

والجواظ: هو الجموع المنوع المختال فى مشيته.

والمستكبر: هو الذى يتكبر على عباد الله - جل جلاله.

وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر...»(٥).

(٢٠) من غَشَّ رعيته :

قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو نعيم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣١١٨) كتاب فرض الخمس.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٤) - وأصله فى الصحيحين.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة»(١)، وفى رواية: «أيما راعٍ غشَّ رعيته، فهو فى النار»(٢).

(٢١) دعاة السوء وأتباعهم :

قال ﷺ: «تكون دُعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها......»(٣).

(٢٢) من قال فى مؤمن ما ليس فيه :

قال ﷺ: «ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج»(٤).... وردغة الخبال هى: عصارة أهل النار.

(٢٣) من أراد المدينة المنورة بشرّ :

قال ﷺ: «إنى أُحرمُ ما بين لابتى المدينة، أن يُقطع عِضاهُها، أو يُقتل صيدُها، المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها، إلا أبدل الله فيها من هو خيرٌ منهُ، ولا يثبتُ أحدٌ على لأوائها وجهدها، إلا كنتُ لهُ شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة، ولا يُريدُ أحدٌ المدينة بشرٍّ إلا أذابهُ اللهُ فى النَّار ذوب الرصاصِ، أو ذوب الملح فى الماء»(٥).

(٢٤) من سألت زوجها الطلاق من غير بأس :

قال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه ابن عساكر، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٦) كتاب المناقب، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٣٦٣) كتاب الحج.

رائحة الجنة»[١].

(٢٥ : ٢٨) إيذاء الحيوانات والتمثيل بها ووسمها أو ضربها فى وجهها :

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرةٍ، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[٢].

وقال ﷺ: «لعن الله من مثّل بالحيوان»[٣].

وقال ﷺ: «أما بلغكم أنى لعنت من وسم البهيمة فى وجهها أو ضربها فى وجهها»[٤].

(٢٩) إيذاء الجار:

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[٥].

(٣٠) من قتل ذميًّا :

قال ﷺ: «من قتل رجلًا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»[٦].

(٣١ - ٣٣) عقوق الوالدين وترك العبادة فى شهر رمضان وترك الصلاة على النبى ﷺ :

قال ﷺ: «أتانى جبريل، فقال: يا محمد، من أدرك أحد والديه فمات

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٠٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٩) كتاب التوبة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٥١٥) كتاب الذبائح والصيد، ومسلم (١٩٥٨) كتاب الصيد والذبائح.

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٢٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه أحمد والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٨).

فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغفر له فأُدخل النار فأبعدهُ اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومن ذُكرت عندهُ فلم يُصلِّ عليك، فمات فدخل النار فأبعده اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين»[(١)].

(٣٤) ترك الاستعاذة من النار:

قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار»[(٢)].

ولقد علمنا النبى ﷺ أن نتعوذ من نار جهنم بعد التشهد من كل صلاة، فقال: «إذا تشهَّد أحدكم، فليتعوذ من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»[(٣)].

(٣٥) عدم إخراج الزكاة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٣) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢).

(٤) سورة التوبة: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»(١).

(٣٦) عدم السجود لله (جل وعلا):

قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فعصيت، فلى النار»(٢).

(٣٧، ٣٨) الذين يضربون الناس بالسياط والنساء الكاسيات العاريات:

قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(٣).

(٣٩) معصية الزوج:

فقد قال ﷺ لعمة حُصين بن محصن: «انظرى أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»(٤).

(٤٠، ٤١) المنان والعاق ومدمن الخمر:

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة منان، ولا عاق، ولا مدمن خمر»(٥).

(٤٢) إسبال الإزار:

قال ﷺ: «كل شىء جاوز الكعبين من الإزار فى النار»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٢٣) كتاب الأدب، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٥) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٧٦).

(٦) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٣٢).

(٤٣) ترك الصلاة:

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ (١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: والمصرُّ على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ(غيٍّ) وهو وادٍ في جهنم، بعيدٌ قعره، خبيثٌ طعمه... وقال أيضًا: وإضاعة الصلاة هنا ليس تركها بالكلية، وإنما تأخيرها عن وقتها.. أما عن ترك الصلاة بالكلية، فقد قال الله تعالى عن عقوبة تاركها: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٢).

(٤٤) من قتل نفسه:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردَّى في نار جهنم خالدًا مُخلدًا فيها أبدًا**»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾(٤).

(٤٥) مقاتلة المسلمين:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل**

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٢) سورة المدثر: الآيات: (٣٨: ٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النساء: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

والمقتول فى النار». قيل: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»(١).

(٤٦) احذر من تلك الحفرة:

قال ﷺ: «لا يُشر أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزعُ فى يده، فيقع فى حفرة من النار»(٢).

(٤٧) حصائد الألسنة:

قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفًا فى النار»(٣). بل قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «وهل يكبّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»(٤).

(٤٨) النميمة:

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»، وفى رواية: «لا يدخل الجنة قتَّات»(٥).

والقتات هو: النمام، ولكنه بالإضافة إلى أنه ينقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، إلا أنه يزيد على النمام فى أنه يتسمع لكلام الناس دون علمهم، فهو يتجسس ويفسد بين الناس.. والله أعلم.

(٤٩) إرادة الحياة الدنيا ونسيان الآخرة:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٨٨٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٧٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦١٧) كتاب البر والصلة الآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨)- وأصله فى الصحيحين.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١).

(٥٠) الشك ومجاراة الناس :

قال ﷺ فى نهاية حديثه عن فتنة القبر:

«..... وإذا كان الرجلُ السوء أُجلس فى قبره فزعًا، فيقالُ له: ما كنت تقول؟ فيقولُ: لا أدرى، فيقال: ما هذا الرجل الذى كان فيكم؟ فيقولُ: سمعتُ الناس يقولون قولًا، فقلتُ كما قالوا، فيُفرجُ له فرجةٌ من قِبل الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقالُ له: انظر إلى ما صرف اللهُ عنك، ثم يُفرج له فرجةٌ قِبل النار، فينظرُ إليها يحطمُ بعضُها بعضًا، ويقالُ: هذا مقعدك منها، على الشكِّ كنت، وعليه متَّ، وعليه تُبعث إن شاء الله، ثم يُعذَّب» (٢).

(٥١) الفخر بالأنساب :

قال ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلانُ بنُ فلان، حتى عدَّ تسعةً فمن أنت لا أمَّ لك؟ قال: أنا فلانُ بن فلان ابن الإسلام، فأوحى اللهُ إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أمَّا أنت أيُّها المنتسبُ إلى تسعة فى النار، فأنت عاشرهم فى النار، وأما أنت أيها المنتسبُ إلى اثنين فى الجنة، فأنت ثالثهما فى الجنة» (٣).

(٥٢) الذين يقطعون سدر الحرم :

قال ﷺ: «إن الذين يقطعون السدر يُصبُّون فى النار على رءوسهم صبًّا» (٤).

---

(١) سورة هود: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٦١).

(٣) صحيح: رواه النسائى والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٩٢).

(٤) صحيح: رواه البيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٩٦).

قال الشيخ الألبانى: يعنى: سدر الحرم.

(٥٣) سوء الخاتمة :

قال ﷺ فى جزءٍ من حديث رواه البخارى ومسلم: «.... **فإنّ الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار...**»(١).

(٥٤) المصورون :

قال ﷺ: «**كل مصورٍ فى النار يُجعل له بكل صورة صوّرها نفس، فتعذبه فى جهنم**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون**»(٣).

وقال ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصور**»(٤).

(٥٥) من كان من هؤلاء الجند :

قال ﷺ: «**بين يدى الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر وهم أهل النار**»(٥).

فمن كان من هؤلاء الجند، فهو من أهل النار بشهادة رسول الله ﷺ.

(٥٦) الذى يكتم العلم :

قال ﷺ: «**من سُئل عن علم فكتمه؛ ألجمه الله يوم القيامة بلجام من**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١١٠) كتاب اللباس والزينة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٥٠) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٠٩) كتاب اللباس والزينة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٥٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢١٠٧) كتاب اللباس والزيمة.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٥٩١) كتاب المناقب.

نار»[1].

(٥٧) **من أسباب زيادة العذاب (بكاء أهل الكافر عليه):**

قال ﷺ: «إن الله يزيد الكافر عذابًا ببعض بكاء أهله عليه»[2].

(٥٨) **قطيعة الأرحام:**

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[3].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»[4].

(٥٩) **العبد الآبق من سيده:**

قال ﷺ: «أيما عبدٍ مات فى إباقه دخل النار، وإن كان قُتل فى سبيل الله تعالى»[5].

(٦٠) **نبش القبور:**

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المختفى والمختفية»[6].

قال الألبانى: المختفى هو نباش القبور.

(٦١) **أهل الجفاء والبذاء:**

قال ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء،

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٢٩) كتاب الجنائز.

(٣) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٣٦).

(٦) صحيح: رواه البيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٢).

والجفاء فى النار»[١].

(٦٢) الذى يأتى امرأته فى دُبرها:

قال ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة فى دبرها**»[٢].

(٦٣) اتباع الشهوات:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٣].

وقال ﷺ: «**حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره**»[٤].

وقال ﷺ: «**.... ورُب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار**»[٥].

(٦٤، ٦٥) الراشى والمرتشى:

قال ﷺ: «**لعنة الله على الراشى والمرتشى**»[٦].

(٦٦) من حال دون القصاص:

قال ﷺ: «**من قتل فى عمِّيًّا أو رميًا يكون بينهم بحجر أو سوطٍ، فعقله عقل خطأ، ومن قتل عمدًا، فقود يديه، فمن حال بينه وبينه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٧]. العقل: الدية. والقود: القصاص.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٨٩).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٧) كتاب الرقاق.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٠).

(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١٤).

(٧) صحيح: رواه أبو داود والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٥٠).

(٦٧) من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا :

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا... كأن يربط عصفورًا أو هرة، أو كلبًا، ثم يتعلم فن الرماية بالضرب فى جسد هذا الطائر أو الحيوان (فهذا حرام).

(٦٨ ، ٦٩) الواصلة والمستوصلة

قال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة....»[١].

(٧٠) من سبّ أصحاب النبى ﷺ :

قال ﷺ: «لعن الله من سبّ أصحابى»[٢].

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

(٧١ - ٧٤) من لعن والديه ومن ذبح لغير الله ومن آوى مُحدثا ومن غيَّر منار الأرض :

قال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيّر منار الأرض»[٤].

(٧٥ ، ٧٦) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال :

قال ﷺ: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٩٣٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٤) كتاب اللباس والزينة.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨) كتاب الأضاحى.

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٠).

(٧٧ : ٧٩) الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور عند المصيبة :

قال ﷺ: «لعن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»(١).

(٨٠ ، ٨١) حلق الرأس وخرق الثوب عند وقوع المصائب :

ففى سنن النسائى أنه لعن رسول الله ﷺ من حلق أو سلق أو خرق(٢).

(٨٢) النياحة :

قال ﷺ: «.... وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطرانٍ، ودرع من لهب النار»(٣).

(٨٣ ، ٨٤) المحلل والمحلل له :

قال ﷺ: «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»(٤).

(٨٥ : ٨٩) الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجة للحسن :

قال ﷺ: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله»(٥).

(٩٠ : ٩٤) أهل النار خمسة!!!

ومن بين أصناف أهل النار، قال ﷺ: «....وأهل النار خمسة: الضعيف

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٢).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى سنن النسائى (١٧٦١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٧٥)-وأصله عند مسلم.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢١٢٥) كتاب اللباس والزينة.

الذى لا زَبَر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذى لا يخفى له طمع، وإن دَقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذَكَر البُخل والكذب والشنظير الفحَّاش»[١].

(٩٥) الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد:

قال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

(٩٦ : ١٠٤) الخمر:

قال ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»[٣].

(١٠٥) قذف المحصنات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٤].

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[٥].

(١٠٦) المرأة التى تهجر فراش زوجها:

قال ﷺ: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٩٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٥٢٩) كتاب المساجد.

(٣) صحيح: رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩١).

(٤) سورة النور: الآية: (٢٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح، واللفظ له.

(١٠٧ : ١١٠) آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه :

قال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء»(١).

(١١١) الذى يأكل أو يشرب فى آنية الذهب والفضة :

قال ﷺ: «إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب، إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم»(٢). (إلا أن يتوب).

(١١٢) آكل مال اليتيم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٣).

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - وأكل مال اليتيم»(٤).

(١١٣) الغيبة :

قال ﷺ: «لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم»(٥).

(١١٤) الديوث :

قال ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر»(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٩٨) كتاب المساقاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٥) كتاب اللباس والزينة.

(٣) سورة النساء: الآية: (١٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٧٦٧) كتاب الوصايا.

(٥) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

(٦) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٢).

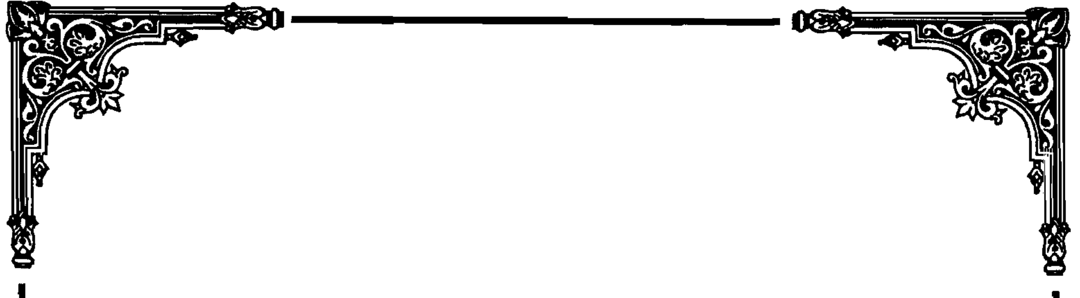
(١١٥) التولي يوم الزحف:

قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - والتولي يوم الزحف»(١).

وقال تعالى مصورًا مآلهم ومصيرهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان: (١٥، ١٦).



موانع إنفاذ الوعيد

أسباب سقوط العقوبة

عن العُصاة






موانع إنفاذ الوعيد



(أسباب سقوط العقوبة عن العُصاة)

۞ إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسُّنة ... ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع. فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة»، ثم ذكر منها ما يلى:

۞ **السبب الأول: التوبة:** فقد قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾(١).

وقال أيضًا: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

والتوبة التى تُسقط العقوبة هى التوبة النصوح، وهى الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان،.... وهى ما يصحبها الندم

---

(١) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦٠).

على ما فات من المعاصي، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة ... وليس شيء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يَبسط يده بالليل ليتوب مُسيءُ النهار، ويَبسط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2].

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**»[3].

وأما الإجماع: فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعاينة ... والتوبة مقبولة من الزنا، ومن فعل قوم لوط، ومن شُرب الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان[4]. فالتوبة مانعٌ شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول مختص بهذا المانع . فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة[5].

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٤) موانع إنفاذ الوعيد د. عيسى السعدي (ص٤١).

(٥) منهاج السنة (٣/ ١٨٠).

السبب الثاني: الاستغفار:

دلَّت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد.

ومن هذه النصوص:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[١].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[٣].

- وقال ﷺ: «أَنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٣٥، ١٣٦).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٦٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(١). فدلَّت هذه النصوص المُحكَمة على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد(٢).

والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التى وقع فيها العبد، وهو ما يدخل فى الندم على ما قدم الإنسان، فإنَّ طلب المغفرة عنوان هذا الندم ... وتزيد التوبة عن الاستغفار أن فى معناها العزم على اجتناب المعاصى فى المستقبل.

۞ السبب الثالث: الحسنات الماحية:

دلَّت نصوص شرعية كثيرة على أن الحسنات يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد السيئات ... والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٣).

- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تَمحُها، وخالق الناس بخُلقٍ حَسَن**»(٤).

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم الله عليه النار**»(٥).

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩) كتاب التوبة.

(٢) موانع إنفاذ الوعيد (ص٥٦).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٩) كتاب الإيمان.

فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من أظفاره»(١).

- وقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا، ما تقول ذلك يُبقى من درنه؟ قالوا: لا يُبقى من درنه شيئًا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا**»(٢).

- وقال ﷺ: «**من صام إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

- وقال ﷺ: «**مَن حَجَّ لله فلم يَرفُثْ ولم يَفسُق، رجع كيوم ولدته أمه**»(٤).

۞ السبب الرابع: المصائب المُكفِّرة:

المصائب اسمٌ جامعٌ للآلام التي تلحق بالإنسان نفسية كانت أو عضوية وهذه الآلام إما أن تكون قدرية وإما أن تكون شرعية.

أما الآلام القدرية فتنقسم باعتبار المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام:

- آلام دنيوية، كنقص الأموال والأنفس والثمرات.
- آلام برزخية، وهي ما يكون في القبر من الفتنة والضغطة والروعة.
- آلامٌ أُخروية، وهي ما يكون في عرصات القيامة من الأهوال والكربات والشدائد(٥).

وقد دلَّت النصوص الشرعية بعمومها على أن هذه الآلام مما يكفر الله به الخطايا ومن هذه الأدلة:

- قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كَفَّر الله بها عنه،**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥) كتاب الطهارة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٦٧) كتاب المساجد.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٢١) كتاب الحج، ومسلم (١٣٥٠) كتاب الحج.

(٥) موانع انفاذ الوعيد (ص١٦٠).

حتى الشوكة يُشاكها»(١).

- وقال رسول الله ﷺ: **«ما يصيب المسلم من نَصَب**(٢) **ولا وَصَب**(٣) **ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه»**(٤).

- وقال ﷺ: **«ما من مسلم يصيبه أذى مرضٌ فما سواه، إلا حَطَّ الله له سيئاته كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقها»**(٥).

- وقال رسول الله ﷺ: **«لا يموت لمسلمٍ ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تَحِلَّة القَسَم»**(٦).

- وقد ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن نفس المصائب مُكفرات ومُثيبات ... واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾(٧).

فرتَّب الله سبحانه الأجر على جملة أمور، منها ما هو من المصائب، كالنَّصَب، فدَلَّ ذلك على أن الإنسان يؤجر على المصائب نفسها(٨).

وقال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٠) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) نصب: تعب.

(٣) وصب: هو المرض.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٦٠) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٢) كتاب البر والصلة.

(٧) سورة التوبة: الآية: (١٢٠).

(٨) موانع إنفاذ الوعيد (ص ١٥٧).

درجة، ومُحيت عنه بها خطيئة»[١].

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلام التي هي عذاب، فإن ذلك مما يُكفَّر به خطاياه[٢].

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات لأنها زواجر وجوابر معًا، أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات، فالأمر فيها ظاهر، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣]، وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعاودة، ولزجر الناس عن فعلهم، وأما إنها جوابر بمعنى أن مجرد فعلها مُكفِّر لذنب المُعاقَب دون حاجة إلى مكفر آخر فدليله ما رواه عبادة بن الصامت ﵁، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه فأَمْرُه إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذَّبه**»[٤].

فدلَّ الحديث على أن العقاب مكفر للذنب بمجرد فعله وهذا يعم العقوبات الشرعية المُقدَّرة وهي: الحدود، وغير المُقدَّرة وهي التعزيرات[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٥).

(٣) سورة النور: الآية: (٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٨٤) كتاب الحدود، ومسلم (١٧٠٩) كتاب الحدود.

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص١٦١) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

السبب الخامس: إهداء القُربات:

ما يُهدَى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك. فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين:

الأمر الأول: ما تسبب إليه الميت فى حياته، لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثٍ: صدقة جارية، أو ولدٍ صالح يدعو له أو علمٍ يُنتفع به من بعده**»(١).

الأمر الثانى: دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج.

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾(٢).

فأثنى سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدلَّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة.

والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة، وكذلك الدعاء له بعد الدفن..وكان رسول الله ﷺ يُعلم الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز.

۞ ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد فى الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رجلا أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أمى افتُلِتت نفسها ولم توصِ، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»(١).

وقد ورد أكثر من حديث فى هذا المعنى.

۞ ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد فى الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»(٢).

۞ ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبى ﷺ، فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: **حُجِّى عنها، أرأيتِ لو كان على أمكِ دَينٌ، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٣).

۞ وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾(٤).

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾(٥)، وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦)، لأن الإنسان بدخوله الإسلام وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط الأخوة الإيمانية وبِحُسن عِشرته وإسداء الخير للناس، وتَودُّده لهم، يكون ساعيًا فى حَثِّهم على الدعاء له بعد مماته، والاستغفار والترحُّم عليه، وإهداء ثواب الطاعات له. فكان هذا الكسب أثرًا من آثار

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨٨) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٠٤) كتاب الوصية.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.
(٣) صحيح: رواه البخارى (١٨٥٢) كتاب الحج.
(٤) سورة النجم: الآية: (٣٩).
(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٨٦).
(٦) سورة يس: الآية: (٥٤).

سعيه ... فالقول بانتفاع الميت بما يُهدى إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمات، فإنها آيات مُحكَمة تقتضى عدل الله تعالى وتقتضى أنه لا يُعاقَب أحدٌ بجُرم غيره ولا يؤخذ بجريرة غيره وتقتضى أنه لا يفلح أحدٌ إلا بعمله، لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما تقدم .. وليس عليها دليل من الشرع ولم يَقُل بجوازها أحدٌ من العلماء، مثل استئجار قوم يقرأون القرآن، ويُهدونه للميت، فهذا العمل لم يُجزه أحدٌ. وإنما اختلف الفقهاء فى جواز الاستئجار على تعليم القرآن. وأما الاستئجار لقراءته وإهدائه للميت، أو الاستئجار لمن يصلى ويصوم ويهدى للميت، فهذا لا خلاف فى عدم جوازه ... ولكن الذى يدخل فيما سبق يقتصر على قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعًا بغير أجر[١].

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدَّين يُسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، أو من غير تركته، .. وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحلَّه منه أنه ينفعه ويبرأ منه، كما يسقط من ذمة الحي[٢]... ومن كل ما سبق يتبين أن النصوص الشرعية دلَّت على جواز إهداء القربات في الجملة[٣]، وأن الميت يمكن أن ينتفع بكل ما يُهدَى إليه من قربات عدا القربات التي يتعين أن يفعلها العبد بنفسه، كالإيمان والتوبة[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٧: ٣٣٠) بتصرف.

(٢) كتاب الروح لابن القيم (ص١٦٥).

(٣) موانع إنفاذ الوعيد (ص١١٧).

(٤) موانع إنفاذ الوعيد (ص١٢٩).

۞ السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم له:

النصوص الشرعية التي دلَّت على مشروعية الدعاء للمؤمنين، بالمغفرة والرحمة تدل قطعًا على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهم مظاهر انتفاعه عدم إنفاذ وعيده بسبب دعاء المؤمنين واستغفارهم، ولا شك أن الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد المدعو له إذا لقي الله متلبسًا بمُكفِّر، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر لأن الله أخبر في كتابه بأنه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(١)، كما أن النصوص الشرعية دَلَّت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعل معين لمن لقي الله كافرًا، فقد دَلَّ على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾(٢).

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾(٣).
- وقوله: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾(٤).
- وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١٣).

(٣) سورة محمد: الآية: (١٩).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٥) سورة الحشر: الآية: (١٠).

ـ وقال ﷺ: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه**»(١).

والشفاعة للميت ـ أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة ـ هي المقصود من هذه الصلاة أصالة، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت، فقد قال: «**إِذا صَلَّيْتُمْ على المَيِّتِ فأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاءَ**»(٢)، ومن دعاء النبي ﷺ للميت في صلاة الجنازة، قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدنس وأبدله دَارًا خيرا من دَاره وَأهلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأدخلهُ الْجنَّة وأَعِذه من عَذَاب الْقَبْر وَمن عَذَاب النَّار**»(٣).

فالاستغفار للمؤمنين وما في معناه إنما يمنع إنفاذ الوعيد ظنًّا لا قطعًا لأنه دعاء، والدعاء قد لا يُستجاب، إما لتخلُّف شرطٍ وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعًا، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهاد في ذلك، فقد يعتق الله بدعائه كثيرًا من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨) كتاب الجنائز.

(٢) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٦٣) كتاب الجنائز.

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٥).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «اشفعوا تؤجروا» [١].

والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وغير ذلك، فمن شفع لينفع أخاه كان له نصيب من الأجر، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب أمَّن المَلَك على دعائه، وقال: ولك بمثل [٢].

۞ السبب السابع: الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعة المقبولة يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد المعين من أهل الكبائر ظنًّا لا قطعًا.. والشفاعة المقبولة هي التي انتظمت فيها شروط القبول، وهي ثلاثة:

- إذن الله في الشفاعة ... ودليله قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٣].

- رضاه عن الشافع ... ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [٤]. أي إلا شفاعة مَن أَذِن له الرحمن [٥].

- رضاه عن المشفوع له ... ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [٦]. وأهل رضا الله هم أهل التوحيد، ولو كانوا أهل كبائر [٧].

وقد دَلَّ على هذه الشروط مجتمعة قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٤٣٢) كتاب الزكاة.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٥) - نقلًا عن (الإيمان باليوم الآخر).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٤) سورة طه: الآية: (١٠٩).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٧).

(٦) سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٦).

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[1].

أي: الشافع والمشفوع له[2].

۞ السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين:

دلَّت النصوص الشرعية المتواترة دلالة قطعية على أن الله تعالى عَفُوٌّ غفور، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب .. منها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾[3].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾[5].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾[6].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[7].

وهذه النصوص، وما في معناها، تدل قطعًا على أن العفو الإلهي من موانع إنفاذ الوعيد[8]... ولكن لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعًا، ودليل هذا الأصل القرآن والسنة... فالقرآن الكريم يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ

(١) سورة النجم: الآية: (٢٦).
(٢) تفسير السعدي (١٩١/ ٥).
(٣) سورة الرعد: الآية: (٦).
(٤) سورة الشورى: الآية: (٢٥).
(٥) سورة المائدة: الآية: (١٥).
(٦) سورة الحج: الآية: (٦٠).
(٧) سورة النساء: الآية: (٤٣).
(٨) موانع إنفاذ الوعيد (ص١٧٥).

﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[(٢)].

وأما السُّنة فقد قال رسول الله ﷺ: **«من مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا دخل النار»**[(٣)].

ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة[(٤)].

۞ والعفو الإلهي يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد أهل الكبائر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٥)]، أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركًا بالله[(٦)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[(٧)]، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»**[(٨)].

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٤٩٧) كتاب تفسير القرآن.

(٤) فتح القدير (١/ ٤٧٥) موانع إنفاذ الوعيد(ص١٧٦).

(٥) سورة النساء: الآية: (٤٨).

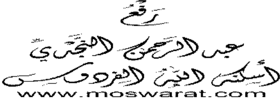
(٦) تفسير الطبري (٥/ ١٢٦).

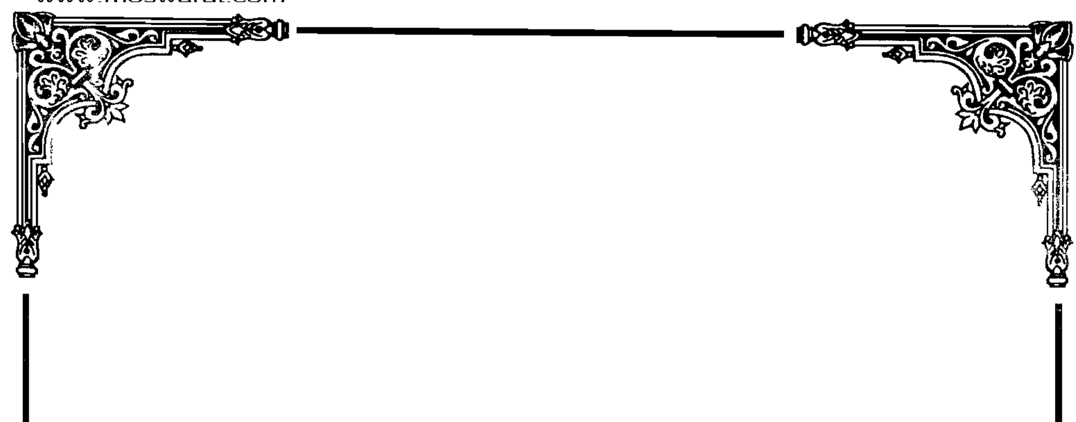
(٧) كنفه: ستره.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٨٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

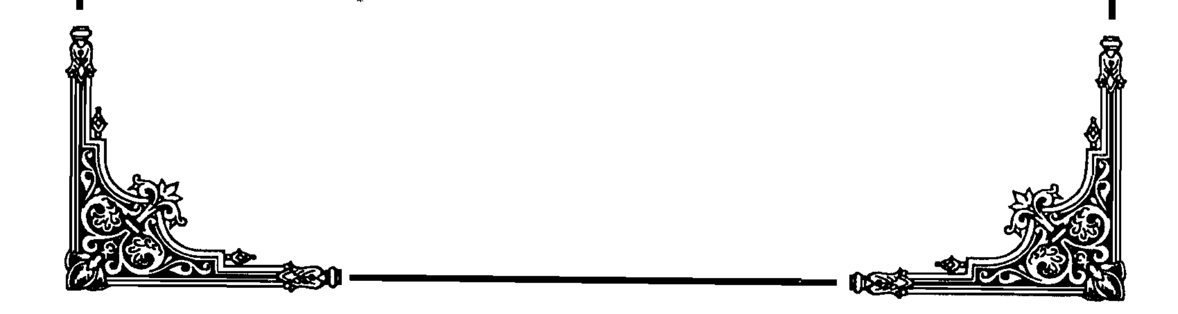
وعن أنس رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مغْفرَة »[1].

(١) حسن: رواه الترمذى، والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).





التوبة قبل الندم



التوبة قبل الندم

۞ وبعد أن تعايشنا بقلوبنا مع تلك الرحلة الطويلة إلى الدار الآخرة كان لابد من وقفة مع النفس لنتوب إلى الله تعالى من كل الذنوب ولنغتنم كل لحظة فى طاعته لعل الله أن يرحمنا فى الدنيا والآخرة.

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ومنزل «التوبة» أول المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به. واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هى بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها فى النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها فى البداية كذلك ... وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

وهذه الآية فى سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم .. ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة «لعلَّ» المُشعرة بالترجِّى، إيذانًا بأنكم إذا تُبتُمْ كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.

جعلنا الله منهم.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢) ... قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثَمَّ قِسمٌ ثالث ألبتة. وأوقع اسم «الظالم» على من لم يَتُبْ.... ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله.

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١١).

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فوالله إنى لأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**» ... وكان أصحابه يَعُدُّونَ له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم «**رب اغفر لى وتُب علىَّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**» وما صلى صلاة قط بعد إذ أُنزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1] إلى آخرها. إلا قال فيها: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. اللهم اغفر لى**».

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لن يُنْجِىَ أحدًا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**»[2][3].

الله يدعو الكون كله للتوبة

إن الله عَزَّوَجَلَّ دعا الناس جميعًا إلى التوبة الصادقة.

فلقد دعا المشركين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[4].

ودعا إليها أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[5]. والذين قالوا ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾[6]، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[7].

(١) سورة النصر: الآية: (١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة.

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٨١).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٦٤).

(٧) سورة المائدة: الآية: (٧٤).

ودعا المنافقين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(١).

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم بالمعاصي من أمة الحبيب ﷺ. فقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٢).

كما دعا إليها المؤمنين الصادقين. فأمر الله عَزَّوَجَلَّ أصحاب النبى ﷺ بالتوبة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٣).

بل فتح الله باب التوبة لأصحاب الكبائر ليتوبوا، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله (جل وعلا) فتح لهم باب التوبة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٥).

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات،

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٦).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٣) سورة النور: الآية: (٣١).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٣٤).

وظلموهم بلا ذنبٍ اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد،...

هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون في النيران ... وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا ... قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾(١).

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾(٢).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات ... قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾(٣).

ومع كل هذه الأمثلة التي تُثلج الصدور لسعة رحمة الله (جل وعلا)،

---

(١) سورة البروج: الآية: (١٠).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧١).

(٣) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾[٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[٣].

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله عظيم .... قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[٤].

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التُّقى
واصنع كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرة ... إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار فى هرة ... قال ﷺ: «**دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت**»[٥].

نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

أخى الحبيب: هل تدبرت هذه الآية ولو مرة واحدة ... أما علمت أن مغفرة الذنوب صفة من صفات الله وهى رحمة من الله يسوقها إلى عباده.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٢) سورة غافر: الآية: (٣).

(٣) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٤) سورة النور: الآية: (١٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٥) كتاب المساقاة، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾(٢).

فهو غفور لمن تاب إليه.... ودودٌ يتودد إلى عباده وهو غنيٌّ عنهم.

قال تعالى في الحديث القدسي: « **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا..**»(٣).

توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله (عَزَّوَجَلَّ)

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾(٤).

وقال ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٥).

وقال تعالى: «**يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب**

---

(١) سورة غافر: الآية: (٣).

(٢) سورة البروج: الآية: (١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة.

(٤) سورة النساء الآية: (٢٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم»[١].

وقال تعالى: «يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملإٍ ذكرت فى ملإٍ خير منهم، وإن دنوت منى شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منى ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن أتيتنى تمشى أتيت إليك أهرول»[٢].

فيا لها من رحمة من الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء... فتوبة العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ محفوفة بتوبتين من الله عَزَّوَجَلَّ: توبة قبلها، وتوبة بعدها ... الأولى: إذن وتوفيق، والثانية: قبولٌ وإثابةٌ ... قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣]، فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن توبته عليهم سبقت توبتهم. وأنها هى التى جعلتهم تائبين، فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم، وهذا القدر من سِر اسميه «الأول والآخر» فهو المُعِدّ والمُمِدّ، ومنه السبب والمسب، والعبد توَّابٌ والرب تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الرب نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإثابة.

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، بسلوك صراطه المستقيم الذى أمر بسلوكه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة.

(٢) رواه أحمد عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٨).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

ونهايتها الرجوع إليه فى الميعاد، وسلوك صراطه الذى نَصَبَه موصلًا إلى جنته، فمن رجع إلى الله فى هذه الدار بالتوبة، رجع إليه فى المعاد بالثواب.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[١].

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضىء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق (جل جلاله).

قال ﷺ: « **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ** »[٢].

وقال الله (جل وعلا): «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي ... يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي ... يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا** -أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - **ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** »[٣].

كتب الله الرحمة بيده ليدل على عِظَم المغفرة

إن الله خلق الكائنات بكُن فيكون... إلا أشياء؛ لشرفها وكرامتها على

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٤) كتاب التوبة.

(٣) رواه الترمذى والضياء عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

الله، خلقها بيده، وكتب أشياء لكرامتها عليه بيده، فخلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وكتب كتاب الرحمة بيده.. فما أعظم كرم الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: «**كتب ربكم على نفسه بيده، قبل أن يخلق الخلق: رحمتى سبقت غضبى**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق، كتب فى كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى غلبت غضبى**»(٢).

والمغفرة رحمة ... قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٤)(٥).

تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ

احمد الله يا أخى على أنك من أمة الحبيب ﷺ فلقد يسَّر الله التوبة لأمته ﷺ فجعل مجرد الندم توبة مقبولة... قال ﷺ: «**الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(٦).... بل جعل الله التوبة سببًا فى تبديل السيئات إلى

(١) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٥١) كتاب التوبة.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٥) البحار الذاخرة فى أسباب المغفرة/ د. سيد حسين (ص:٢٢).

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية عن أبى سعيد الأنصارى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٨٠٣).

حسنات فقال (جل وعلا): ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

۞ وتدبر معى كيف كانت توبة الله (جل وعلا) على بنى إسرائيل؟

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

۞ قال الإمام ابن كثير فى تفسيره:

«هذه صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل من عبادة العجل... عن ابن عباس قال: قال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقى من ولدٍ ووالدٍ، فيقتله بالسيف، ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن.

وعن ابن عباس أيضًا قال: أمر موسى قومه - من أمر ربه عَزَّوَجَلَّ - أن يقتلوا أنفسهم، واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر من أيديهم، وأصابتهم ظُلة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقى كانت له توبة(٣).

الله يحجب التوبة عن المنافقين والكافرين

ولما كانت التوبة محض فضل الله ورحمته حجبها عن المنافقين والكافرين لأنهم لا يستحقونها أبدًا.

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٥٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾(٢).

وليس معنى ذلك أننا نُقنط المنافقين والكافرين من رحمة الله .. لكن المقصود هنا أن من أصر على الكفر أو النفاق ولم يتب إلى الله فإن الله يحجب التوبة عنه .. أما من تاب وعاد إلى الله فإن الله يتوب عليه وإن كان كافرًا أو منافقًا ... بل ويبدل سيئاته إلى حسنات.

لمثل هذا اليوم فأعدوا

أخي الحبيب: لو أنك تملك الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل ثم جاء اليوم الذي ستدخل فيه قبرك... فهل تعدل الدنيا كلها أول ليلة في هذا القبر؟.

هل تفكرت أخي الحبيب كيف سيكون حالك في هذا القبر الموحش؟ قال ﷺ يومًا لأصحابه: **«لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر»**(٣).

بل تدبر معي هذا المشهد المهيب ... فعن البراء (رضي الله عنه) أنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: **«علام اجتمع هؤلاء؟»** فقيل:

(١) سورة التوبة: الآية: (٨٠).

(٢) سورة النساء: الآيتان: (١٦٨، ١٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة.

على قبرٍ يحفرونه، ففزع رسول الله ﷺ ، فبدر بين يدى أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثا على ركبتيه، فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع؟ فبكى حتى بَلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: أى إخوانى، لمثل هذا اليوم فأعِدُّوا»[١].

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنبُ
لم ينسهُ الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ
والروح منك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتُسلَبُ
وغرور دنياك التى تسعى لها ... دارٌ حقيقتها متاعٌ يذهبُ
الليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا بهما تُعَدُّ وتُحسَبُ

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا

۞ عن أبى ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إِنِّى أَرى مالا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا موْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ واضِعٌ جبهتَهُ ساجِدًا للهِ تَعَالى، والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وما تَلَذَّذتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرجْتُمْ إِلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلى الله تَعَالَى»**[٢].

۞ هل رأيت جنازة محمولة على الأعناق؟ هل تعلم أنك ستكون مكان هذا الرجل فى يوم من الأيام؟ فيا تُرى كيف سيكون حالك؟

قال ﷺ: **«إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدِّمونى قدِّمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين**

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٥٩).

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»(١).

۞ بل هل تفكرت فى مشاهد الآخرة لتكون لك حاديًا إلى التوبة والعودة إلى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ؟ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَا الْجِبْهَةَ وَأَصْغَى السَّمْعَ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ قَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا »(٢).

وقال ﷺ: « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا »(٣).

وقال ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٤).

وقال ﷺ: « إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ »(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣١٦) كتاب الجنائز.
(٢) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٢).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٠) كتاب الجنة.

حَمَلةُ العرش يستغفرون لك أيها الحبيب

بل إن حملة العرش يستغفرون لك أيها الأخ الحبيب.... فهل عرفت قدرك فى ظل هذا الدين؟.

إنك تستمد عزك ومكانتك من طاعتك للملك (جل وعلا) الذى يُسخِّر لك الكون كله من أجلك.

فها هم حملة العرش يستغفرون لك.. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾(١).

بل ها هو الكون كله يدعو لك إذا انشغلت بالدعوة إلى الله.

قال ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت فى البحر لَيُصَلُّون على مُعلِّم الناس الخير»**(٢).

خوف الصحابة (رضي الله عنهم)

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم فى غاية العمل مع غاية الخوف ... وكثيرٌ منَّا بين التقصير بل التفريط والأمن.

فهذا الصدِّيق رضي الله عنه يقول: وددت أنى شعرة فى جنب عبدٍ مؤمن.... بل كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

وكان يبكى كثيرًا ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى

(١) سورة غافر: الآية: (٧).

(٢) رواه الترمذى عن أبى أُمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

الصلاة كأنه عود من خشية الله عَزَّوَجَلَّ ... وأُتى بطائر، فأخذه فقلَّبه ثم قال: ما صِيد من صيدٍ، ولا قُطِعَت من شجرة إلا بما ضيَّعت من التسبيح، فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إنى أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعى به إلى ابن الخطاب ... وقال قتادة: بلغنى أن أبا بكر قال: ليتنى خضرة تأكلنى الدواب.

۞ وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[1] فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه -أى: زاروه-.

وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثًا) ثم قضى -مات- وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتُخيفه، فيبقى فى البيت أياما يُعاد، يحسبونه مريضًا ... وكان فى وجهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أنى أنجو لا أجر ولا وزر.

۞ وهذا أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسى يوم القيامة أن يُقال لى: يا أبا الدرداء، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟.

وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابًا على شهوة، ولا دخلتم بيتًا تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصُّعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تُعضد ثم تؤكل.

وكان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أسفل عينيه مثل الشراك البالى من الدموع.

---

(١) سورة الطور: الآية: (٧).

وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تُعضَد، ووددت أني لم أُخلق،... وعُرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها وحُمُر ننقل عليها ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإني أخاف الحساب فيها.

وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾(١) جعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: «أنشدك الله هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ، يعني في المنافقين؟ فيقول: لا. ولا أُزكي بعدك أحدًا»(٢).

أصحاب الأنبياء يسألون المغفرة

وأين نحن - أخي الحبيب - من أصحاب الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم .... وعلى الرغم من ذلك فلقد كانوا يحرصون كل الحرص على التوبة. وطلب المغفرة من الغفور الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(٣).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٢) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص: ٤٧-٥٠) بتصرف.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٤٦، ١٤٧).

كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(١)].

وقال تعالى عن قوم موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى فى شأن المهاجرين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٣)].

النبى ﷺ يتوب فى اليوم مائة مرة وأنت لا تتوب مرة!!!!

۞ عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**والله إِنِّى لأَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيْه فى اليَوْمِ أَكثر مِنْ سَبْعِين مرَّةٍ**»[(٤)].

۞ وعن الأَغَرِّ بْن يَسار المُزنِىِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أَيُّها النَّاس تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتغْفرُوهُ فإِنى أَتوبُ فى اليَوْمِ مائة مَرَّة**»[(٥)].

أخى الحبيب: النبى ﷺ يتوب فى اليوم الواحد مائة مرة... وأنت لا تتوب ولو مرة واحدة... وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعلى الرغم من ذلك يتوب فى اليوم مائة مرة ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

فأين أنت أخى الحبيب من هدى النبى ﷺ ؟.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية: (٥).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٩).

(٣) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء.

اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعفُ عنا

وها هو دعاء المؤمنين فى أعظم ليلة من ليالى العمر - ليلة القدر - يدور حول طلب العفو والمغفرة وذلك لنعرف قدر التوبة ونعيم المغفرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أى ليلةٍ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قولى: اللهم إنك عَفُوٌّ تُحب العفو فاعفُ عنى**»[1].

إياك والمعصية

عن معاذ قال: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: «**لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تَعُقنَّ والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربنَّ خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن المعصية تحل سخط الله**»[2].

قال أبو الوفاء بن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد فى ثلاثة دراهم، وجلد الحد فى مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار فى هرة، واشتعلت الشملة نارًا على مَن غلَّها، وقد قُتل شهيدًا.

۞ أما علمت أخى الحبيب أنك ستُسأل عن كل لحظة من عمرك وستبكى الدماء بدل الدموع على كل لحظة ضاعت فى غير طاعة الله (جل وعلا).

---

(١) رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) رواه أحمد عن معاذ، وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٠٢٦)، وصحيح الترغيب (٥٧٠).

❁ عن أبى بَرْزَة الأَسْلَمِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»(١).

❁ وعن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْس بيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمنَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلاَّ ما قَدَّمَ، ويَنظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، ويَنْظُرُ بيْنَ يَدَيهِ، فَلا يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٢).

❁ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ **إِذ سَمِعَ وَجْبَةً فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هذا؟»** قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**هذا حَجَرٌ رُمِىَ بِهِ فى النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يهْوِى فى النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلى قَعْرِهَا، فَسَمِعْتُمْ وجْبَتَهَا**»(٣).

الحجر يصل إلى قعر النار بعد سبعين سنة!!!. تالله لو كان الهبوط فى الماء أو الهواء لمات الإنسان من هول الهبوط فكيف إذا كان الهبوط فى دركات جهنم.... فاتقِ الله يا أخى واتقِ النار ولو بشق تمرة ... وإذا وقعت فى معصية فبادر إلى التوبة واعلم أنك غير معصوم ... فالعصمة دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد ﷺ ولكن احذر من الإصرار على المعصية... وتوجه إلى الله (جل وعلا) وتذلل إليه ليثبت أقدامك على طاعته وقُل بلسان الحال والمقال:

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة.

بـك أسـتجيرُ ومـن يُجيـر سِـواكَ فـأجِر ضـعيفًا يحتمـى بحمـاكَ
إنـى ضـعيفٌ أسـتعين علـى قـوى ذنبـى ومعـصيتى بـبعض قـواكَ
أذنبـت يـا رب وآذتنـى ذنـوبٌ مـا لهـا مـن غـافرٍ إلاكَ
دُنيايـا غرتنـى وعفـوك شـدَّنى مـا حيلتـى فى هـذه أو ذاكَ
ربَّـاه قلـبٌ تائـبٌ ناجـاك أتَـرُدَّه وتـرد صـادق تـوبتى
حاشـاك تـرفض تائبًـا حاشـاكَ
فليرضَ عنى الناس أو فليسخطوا أنـا لـم أعُـد أسـعى لغيـر رضـاكَ

كلا لا تُطعه واسجد واقترب

وإذا أراد شيطان من شياطين الإنس أن يأخذ بيديك إلى معصية الله فتذكر قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(١)... وتذكر رحمة الله التى وسعت كل شىء.

۞ عن أبى ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبىُّ ﷺ: «**يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها أَوْ أَزْيَدُ، ومَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ، فَجَزاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، ومنْ تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعًا، وَمَنْ أَتانى يمشى أَتَيْتُهُ هَرْولَةً، وَمَنْ لَقِينى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِى شَيْئًا لَقِيتُهُ بمثْلِها مغْفِرَةً**»(٢).

۞ وعن عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَدِمَ رسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْى فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْى تَسْعَى، إِذْ وَجَدتْ صبيًّا فى السبْى أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِها،

(١) سورة العلق: الآية: (١٩).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسُولُ الله ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طارِحَةً وَلَدَهَا فى النَّارِ؟» قُلْنَا: لاَ وَاللهِ. فَقَالَ: «للهُ أَرْحمُ بِعِبادِهِ مِنْ هَذِهِ بولَدِهَا»[١].

۞ وعن أبى هريرة قال: سمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فى الأَرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَراحمُ الخَلائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ ولَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[٢].

۞ وعنه عن النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحكِى عَن ربِّهِ تبارك وتعالى، قال: «أَذنَب عبْدٌ ذَنبًا، فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لى ذَنبى، فقال اللهُ تبارك وتعالى: أَذَنَبَ عبدِى ذنبًا، فَعلِم أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بالذَّنبِ قَدْ غفَرَتْ لِعَبْدِي، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ، فقال: أَىْ ربِّ اغفِرْ لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أَذنبَ عبدِى ذَنبًا، فَعَلَمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ، فقال: أَى رَبِّ اغفِرْ لى ذَنبى، فقال تبارك وتعالى: أَذنَبَ عَبدِى ذَنبًا، فعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنبِ، قدَ غفَرْتُ لِعبدى، فَلْيَفعَلْ ما شَاءَ»[٣].

وقوله تعالى: «فَلْيَفْعلْ ما شَاءَ» أَى: مَا دَامَ يَفْعَلُ هَكَذا، يُذْنِبُ وَيتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ، فإِنَّ التَّوبَةَ تَهْدِمُ ما قَبْلَهَا.

۞ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِى نَفْسى بيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تعالى، فيَغْفِرُ لَهُمْ»[٤].

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُدْنى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٠٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩) كتاب التوبة.

المُؤْمِنُ يَومَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبه، فيقولُ: أَتعرفُ ذنبَ كَذا؟ أَتعرفُ ذَنبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّى قَد سَتَرتُهَا عَلَيكَ فى الدُّنيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حسَنَاته»(١).

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا | وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ
فقلت يا أملى فى كل نائبةٍ | ومَن عليه لكشف الضُّرِّ أعتمدُ
أشكو إليك ذنوبًا أنت تعلمها | ما لى على حَملها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مددت يدى بالذُّل مبتهلًا | إليك يا خير من مُدَّت إليه يدُ
فلا تَرُدَّنها يا رب خائبةً | فبحر جودك يروى كل من يَرِدُ

لا تُشمت بك الأعداء

۞ قال يحيى بن معاذ الرازى: عجبت من ذى عقلٍ يقول فى دعائه: اللهم لا تُشمت بى الأعداء، ثم هو يُشمت بنفسه كل عدو له. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصى الله فيُشمت به فى يوم القيامة كل عدو.

وقد ذكر الإمام أحمد عن أبى الدرداء أنه قال: «اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى، واعلموا أن قليلًا يُغنيكم خير من كثيرٍ يُلهيكم، واعلموا أن البِرَّ لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى».

أخى: إن هيئتك الجميلة وأنت تلبس القميص القصير والعمامة وتضع السواك والمصحف فى قميصك وتُطلق لحيتك... إن هذا المنظر يغيظ أعداء الله... فكما امتلأت قلوبهم غيظًا فى الدنيا بهيئتك الجميلة فاحرص على أن تمتلئ قلوبهم غيظًا يوم القيامة بطاعتك لله (جل وعلا).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤١) كتاب المظالم، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

لا تغتر بحلم الله (جل وعلا)

ومع ذلك يا أخى إياك أن تغتر بحلم الله ... فلقد قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[(١)].

قال معروف: رجاؤك لرحمة مَن لا تطيعه من الخذلان والحُمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضوًا منك فى الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته فى الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء فقال: أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى.

وكان يقول: إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة ... يقول أحدهم: لأنى أُحسن الظن بربى ... وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وسأل رجلٌ الحسن فقال: يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يُخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟ فقال: والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمِّنونك حتى تلحقك المخاوف.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى فى النار، فتندلق أقتابه - الأمعاء - فيدور فى النار كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟**

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١].[٢]

لا تنظر إلى صغر المعصية

كان بلال بن سعد يقول: «لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيت».

وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يَعظُم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا نُكت فى قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبه، وإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذى ذكره الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾»[٣][٤].

وعن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل رجلٌ الجنة فى ذباب، ودخل رجلٌ النار فى ذباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مَرَّ رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قَرِّب، قال: ليس عندى شىء، قالوا له: قَرِّب ولو ذبابًا، فقرّب ذبابًا، فخَلُّوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قَرِّب، فقال: ما كنت لأُقرِّب لأحدٍ شيئًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فضربوا عُنقه فدخل الجنة»، وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب[٥].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد.

(٢) الداء والدواء/ (ص:٢٩).

(٣) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٤) حسن: رواه أحمد والترمذى والنسائى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٥) صحيح موقوفًا: رواه أحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية.

وقال ﷺ: « إيَّاكمْ ومُحَقَّرَاتِ الذنوبِ فإنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ على الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ كَرَجُلٍ كانَ بأرْضٍ فَلاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ القَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بالعُودِ والرَّجُلُ يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سوادًا وأَجَّجُوا نَارًا فأنضَجُوا مَا فِيهَا »(١).

الذنوب ... وهلاك الأمم من قبلنا

أخي الحبيب: هل سألت نفسك يومًا عن سبب هلاك الأمم من قبلنا؟ أما علمت أنهم هلكوا بسبب إعراضهم عن طاعة الله (جل وعلا) وعدم توبتهم.

وإذا لم تكن الذنوب هي سبب هلاكهم فما الذى أخرج الأبوين من الجنة ... دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟.

وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فجُعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع؟.

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال؟.

وما الذى سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، ودمرت ما مرَّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟.

---

(١) رواه أحمد والطبرانى والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٨٦) (٢٦٨٧).

وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قُطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟.

وما الذى رفع قُرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ... ولإخوانهم أمثالها، وما هى من الظالمين ببعيد؟.

وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلَل. فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تَلظَّى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟[١]

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميرًا؟ وما الذى أهلك قوم صاحب يس بالصيحة، حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذى بعث على بنى إسرائيل قومًا أولى بأسٍ شديد، فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتَبَّروا ما عَلَوا تتبيرًا؟. وما الذى سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[٢].

(١) بل الأجساد والأرواح للغرق والحرق .. وذلك جزاء الكافرين.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٦٧).

عن جبير بن نفير قال: «لما فُتحت قبرص فُرِّق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض. فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكى، فقلت: يا أبا الدرداء ما يُبكيك، فى يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبير ما أهون الخلق على الله عَزَّوَجَلَّ، إذا أضاعوا أمره .... بينما هى أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[1][2].

أسألك بعزك وذُلِّى إلا رحمتنى

فهيا - أخى الحبيب - ارفع يديك إلى من يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء، واطلب منه أن يعينك على التوبة وأن يغفر ذنوبك.

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزك وذُلِّى إلا رحمتنى. أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك ... هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواى كثير، وليس لى سيدٌ سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبُه».

يا من ألوذُ به فيما أُؤملهُ ... ومَن أعوذُ به مما أُحاذرهُ
لا يَجبرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ[3]

(١) الأثر رواه أحمد فى الزهد (ص: ١٧٦).
(٢) الداء والدواء/ (ص:٥٢).
(٣) مدارج السالكين: (١/ ١٨٧).

وقفة مع النفس

أخى الحبيب: قف مع نفسك لتعرف ماذا تريد... بل ولتعرف ما الذى يشغلك عن طاعة الله والقُرب منه.

۞ إن كان المال هو الذى يشغلك فاعلم أن المال لا ينفعك فى قبرك ولا فى آخرتك إلا إذا أنفقته فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله**»(١).

هذه هى الحقيقة... لا ينفعك إلا عملك الصالح.

۞ وإن كان الأولاد هم الذين يشغلونك عن الله فاعلم أن الأولاد نعمة لمن استعملهم فى طاعة الله... ونقمة لمن انشغل بهم عن الله.

ولذا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

وقال ﷺ: «**إن الولد مَبخلةٌ مَجبنةٌ مَجهلةٌ مَحزنةٌ**»(٣).

أما إن استعملت أولادك فى طاعة الله وجعلتهم وقفًا لخدمة دين الله فإنهم بذلك يكونون نعمة تنتفع بها فى حياتك وبعد موتك.

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثٍ: صدقة جارية، أو**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد.

(٢) سورة التغابن: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٣) رواه الحاكم، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»(١).

۞ وإن كان المنصب والجاه هو الذى يشغلك عن الله، فاعلم أخى الحبيب أن المنصب زائل ولو دام لغيرك ما وصل إليك.

۞ وإن كانت الدنيا كلها تشغلك عن الله فقد قال خالقها (جل وعلا) عنها: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٢).

۞ وعن المُسْتَوْرِدِ بنِ شدَّادٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَا الدُّنْيَا فى الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحدُكُمْ أُصْبُعَهُ فى الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟»**(٣).

۞ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وجنَّةُ الكَافِرِ»**(٤).

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أَخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَىَّ، فقال: **«كُنْ فى الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ»**.

وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما، يقول: إِذَا أَمْسيْتَ فَلا تَنْتظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصبحت فَلا تنْتَظِرِ المساءَ، وخُذْ منْ صِحَّتِكَ لمرضِكَ ومِنْ حياتِكَ لِموتكَ(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقائق.

قالوا في شرح هذا الحديث: معناه: لا تَركَن إلى الدُّنْيَا ولا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، ولا تُحدِّثْ نَفْسكَ بِطُول الْبَقَاءِ فِيهَا، وَلا بالاعتِنَاءِ بِهَا، ولا تَتعَلَّقْ مِنْهَا إلاَّ بما يَتَعَلَّقُ بِه الْغَرِيبُ فى غيْرِ وطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِما لا يشْتَغِلُ بِهِ الْغرِيبُ الَّذِى يُرِيدُ الذَّهاب إلى أَهْلِهِ ... وَباللهِ التَّوْفِيق.

۞ وعن أبى الْعبَّاس سَهْلِ بنِ سعْدٍ السَّاعدىِّ ﷺ، قال: جاءَ رجُلٌ إلى النبىِّ ﷺ: فقالَ: يا رسول الله دُلَّنى عَلى عمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحبَّنى الله، وَأَحبَّنى النَّاسُ، فقال: «**ازْهَد فى الدُّنيا يُحِبَّكَ الله، وَازْهَد فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحبَّكَ النَّاسُ**»(١).

۞ وعنْ عبْدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبىَّ ﷺ وهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾(٢) قال: «**يَقُولُ ابنُ آدم: مَالى، مَالى، وَهَل لَكَ يَا ابن آدمَ مِنْ مالِكَ إلاَّ مَا أَكَلت فَأَفْنيْتَ، أو لبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضيْتَ؟**»(٣).

۞ وعن عبدِ الله بن مَسْعُودٍ ﷺ، قال: نَامَ رسولُ الله ﷺ على حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فى جَنْبِهِ، قُلْنَا: يا رَسُولَ الله لوِ اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً، فقال: «**مَا لى وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فى الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(٤).

فيا أيها الأخ الحبيب: اجعل الهموم همًّا واحدًا ليكفيك الله هموم الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه ابن ماجه، والطبرانى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) سورة التكاثر: الآية: (١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٢٣٢) فى الزهد والرقائق.

(٤) رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

قال ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»(١).

۞ وعن عُبَيد الله بن مِحْصَنٍ الأَنْصارِىِّ الخَطْمِىِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ أَصبح مِنكُمْ آمِنًا فى سِرْبِهِ، مُعافى فى جَسدِه، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحذافِيرِها»(٢).

۞ وعن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، أَن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسلَمَ، وكَانَ رِزقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ»(٣).

۞ فهيا أيها الأخ الحبيب: تُب إلى الله من كل المعاصى والذنوب واعلم أنك ستنسى كل شقاءٍ بغمسة واحدة فى الجنة كما أخبر الحبيب ﷺ.

فقد قال ﷺ مخبراً عن هذا المشهد العظيم الذى يحدث يوم القيامة: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً ثُمَّ يُقال له: يا ابن آدمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ .. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٤).

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا ... واعصى الهوى فالهوى ما زال فتَّانا
أما ترينا المنايا كيف تلقطنا ... لقطًا وتلحق أُخرانا بأولانا

(١) رواه الترمذى عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٢) رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٠٤) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

في كل يومٍ لنا ميت نُشيعه ... نرى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس ما لى وللأموات أتركها ... خلفى وأخرج من دنياى عُريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبًا ... قد آن أن تقصرى قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ... ننسى بغفلتنا مَن ليس ينسانا
نزداد حرصًا وهذا الدهر يزجرنا ... كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تَخِرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائن كان العز مفرشها ... واستفرشوا حُفرًا غُبرًا وقيعانا
يا راكضًا في ميادين الهوى مرحًا ... ورافلًا في ثياب الغى نَشوانا
مضى الزمان وولَّى العمر فى لعبٍ ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا[1]

۞ أسأل الله (عَزَّ وَجَلَّ) أن يرزقنى وإياكم حُسن الخاتمة وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة وأن يحشرنا فى زُمرة الصالحين ويرزقنا صُحبة سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم فى جنات النعيم التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأخيرًا: فمن استفاد من هذا الكتاب فائدة فأرجو ألا يبخل علىَّ بدعوة صالحة عسى الله أن يتغمدنى برحمته وأن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى وأن يجعله ذُخرًا لى فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

---

(١) المدهش (ص: ٣٨٩).

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



دعوة مستجابة

❁ **أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل على بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

❁ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

❁ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

❁ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

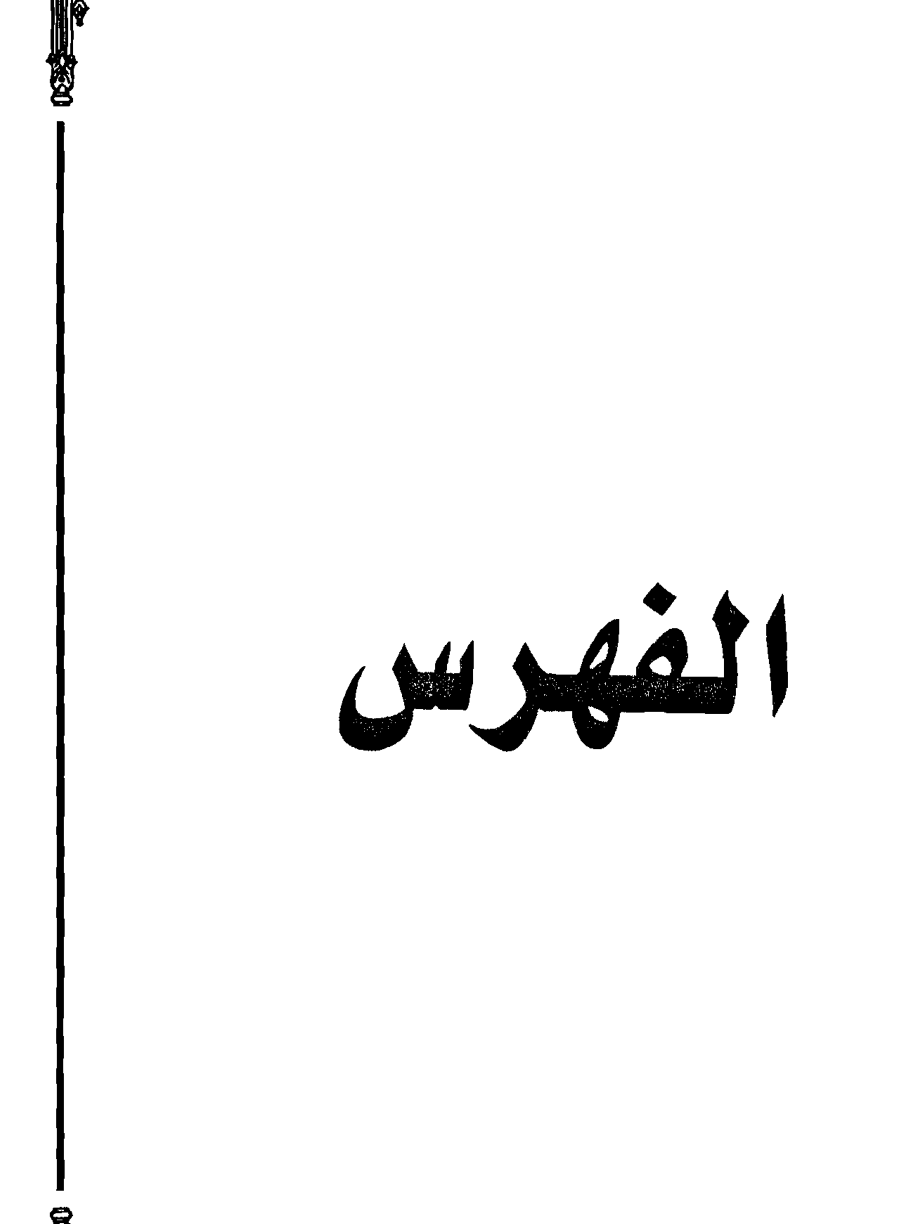
(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار





الفهرس

فهرس الموضوعات

وصف الجنة

وصف النار

التوبة قبل الندم




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
من إصداراتنا
أخلاق الرسول
أصحاب الرسول
سيرة الرسول
معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة
قصص الأنبياء
عقيدة المسلم
أمهات المؤمنين
الفقه الميسر
أذكار المسلم
الآداب الإسلامية
قصص التائبين
يوسف الأحلام
بيت النبي
ساعة وساعة
أسباب النزول
الجنة
نساء الأنبياء
الفتاوى المعاصرة
فقه المسلم
حكايات عمو محمود